رواية

أناقة القنفذ

الرواية الفائزة بجائزة المكتبات فرنسا ٢٠٠٦

مورييل باربرى



ترجمة وتقديم

محمود قاسم

مورييل باربري



أناقة القنفذ

رواية



وكالة الصحافة العربية

قبل أن تقرأ

هذه الرواية حالة خاصة, سواء بالنسبة لكاتبتها, أو لمن يقوم بترجمتها, وبالطبع لقارئها, إنها رواية ثقافة, لن تستطيع أن تتوغل فيها, إلا إذا كنت قارئاً للفلسفات الأوروبية البارزة فى القرن العشرين, خاصة الظاهراتية, والوجودية.

وأعترف, قبل أن أكتب مقدمة لهذه الرواية, أنها أنهكتنى بشكل ملحوظ, وقد توقفت عن ترجمتها أكثر من مرة, رغم أننى وجودى النزعة, وأننى قرأت فى الظاهراتية بما يجعلنى أفهم المصطلح الذى قدمته هنا.

هى رواية لا تكتبها سوى كاتبة من طراز موربيل باربرى, التى فازت عن هذه الرواية بأربع جوائز أدبية, وليست جائزة واحدة, لكن قبل أن نتحدث عن الرواية تهمنا الإشارة أننا أمام رواية من طراز "الغثيان", وثلاثية "دروب الحرية" لجان بول سارتر, فهى رواية سكبت فيها الكاتبة كل رؤيتها الفلسفية التى درستها فى الجامعة, والفكر الذى آمنت به, خاصة رؤيتها للحياة والموت, وسوف تجد شخصيات أقرب إلى روكنتان فى رواية "الغثيان" من خلال بالوما ورينيه ميشيل, علماً بأن فارق السن فيما بينهما يصل إلى ثلاثة وأربعين عاماً.

إذن, فالزمن يتواصل, إن الفلاسفة يكتبون الروايات, وفى هذه الروايات الصعبة يسكبون آراءهم وفلسفاتهم التى آمنوا بها, وقد فعل الكثير من تلاميذ سارتر الشئ نفسه, وأثاروا الضجيج والجدل برواياتهم, مثلما فعل الفيلسوف برنار هنرى ليفى فى روايته "الشيطان فى الرأس" 1984, وكذلك فعلت الكاتبة المصرية فوزية أسعد فى بعض رواياتها ومنها "مصرية", و"أطفال وقطط", وغيرها, وإن لم تسكب فلسفتها بنفس الصعوبة التى نراها فى رواية "أناقة القنفذ".

موربيل باربرى, المولودة فى الدار البيضاء بالمغرب فى 28 مايو 1969, لم تعاصر سارتر ورفاقه فى قمة مجدهم, لكنها درستهم فى الجامعة مثل كولومب إحدى بطلات الرواية, فهى التى درست فى المدرسة العليا فونتناى سان كلود, ثم تخرجت فى قسم الفلسفة, وعملت فى بداية حياتها مدرسة للفلسفة لطلاب الثانوى, قبل أن تتجه إلى كتابة الرواية, وتقدم نفسها إلى الحياة الأدبية فى عام 2000

بروايتها "شراهة" أى أنها نشرت هذه الرواية وهى فى الحادية والثلاثين، وهو سن متأخر نسبياً، بالنسبة لاكتشاف المواهب الجديدة فى فرنسا، وقد لاقت الرواية نجاحاً فى الموسم الأدبى لعام 2000، وترجمت روايتها الأولى إلى اثنتى عشرة لغة، إلا أن روايتها الثانية "أناقة القنفذ" كانت بمثابة المفاجأة الأدبية للعام 2006، حيث طبعت أكثر من مرة فى عام واحد، وبلغت فى هذا العام 600 ألف نسخة، وهو رقم يعكس أن القارئ الذى استوعب مثل هذه الرواية المليئة بالأفكار والفلسفة فى فرنسا قد يصل إلى أكثر من نصف مليون قارئ، وهذا يعنى أن الكاتبة ألفت الرواية لبنى ثقافتها، الذين منحوها أربعة جوائز متتالية هى: جائزة الأديب جورج بارسنس فور صدورها، ثم جائزة الروتارى العالمية، وجائزة المكتبات، وجائزة المكتبات عام 2007.. وهذه ظاهرة فريدة، ونادرة فى الجوائز الأدبية الأوروبية، فالكاتب يحصل على الجائزة نفسها مرة واحدة طيلة حياته، كما أن الجوائز توزع بالتساوى بين الروايات، فمن يحصل على جائزة جونكور يرفع اسمه من الفوز بأى جائزة أخرى فى نفس السنة.

إذن، فنحن أمام روائية استثنائية، رغم صعوبة مفرداتها اللغوية، والمفهوم الفلسفى بها، وهى رواية يمكن أن تعيش فى ذاكرة من يحبون هذا النوع من الكتابات، والغريب أن الكاتبة اتي تكتب بهذا الأسلوب، هى تلميذة وفية للرواية الكلاسيكية، فحسب المراجع حول مسيرة موربيل باربرى، فإن العمل الأدبى التى لا تكف عن إعادة قراءته هو "الحرب والسلام" لتولستوى، كما أن سيرة حياة الكاتبة قد انسكبت أيضاً فى هذه الرواية من خلال إعجابها بالثقافة اليابانية التى تحدثت عنها باتساع، وكان الأبطال فى هذه الرواية من اليابانيين أصحاب الثقافات العالمية، الذين ينتمون إلى أسرة يابانية أنجبت المخرج المعروف فرانك أوزو، وذلك كما سنرى، فالثقافة الثالثة للكاتبة - بعد الفرنسية، وثقافة تولستوى - هى اليابان، حيث اختارت الذهاب إلى بلاد الشمس المشرقة، وذلك للعمل هناك كمدرسة، لتقيم عاماً أو عامين، إلا أنها أقامت لسنوات طويلة، وعبرت عن حبها لثقافة هذا البلد كما أشرنا، فى جزء كبير من فصول هذه الرواية وأحداثها، ولذا فليس من الغريب أن تفوز الرواية نفسها بجائزة يابانية، عقب ترجمة الرواية إلى اللغة اليابانية، والجدير بالذكر أن موربيل تعيش الآن فى مدينة كيوتو، التى ذكرتها أيضاً على لسان بطلتها.

قبل أن نستكمل الحديث عن الكاتبة وروايتها، فمن المهم التعرف على الجائزة، جائزة المكتبات أو Priprides Libraires. فهى واحدة من أهم الجوائز الأدبية

ضمن قرابة 380 جائزة سنوية تمنح فى باريس, هذه الجوائز هى على الترتيب: جونكور – مدسيس – فيمينا – انتراليه – المكتبات وهى الجائزة الأدبية الوحيدة التى لا تمنح فى موسم الجوائز الأدبية, وهو بداية موسم العودة إلى المدارس, فهى تمنح فى نهاية شهر مايو سنوياً, أى أنها تمنح فرصة للقراء الذين سيذهبون إلى أجازاتهم أن يحصلوا على رواية جيدة, مضمونة الأهمية, وهى تمنح فى الأساس لرؤية مكتوبة مباشرة باللغة الفرنسية, وأغلب الحاصلين عليها من الفرنسيين, وذلك عكس الجوائز الأخرى التى تمنح أحياناً للروايات المترجمة, أو لروايات كتبها أدباء ناطقين بالفرنسية, مثل الرواية الأفغانية التى حصلت على جائزة جونكور فى عام 2008 بعنوان "حجر الصبر" من تأليف عتيق رحيمى.

هذه الجائزة منحت لأول مرة عام 1955, أى أنها أقدم من جوائز أخرى مهمة, مثل جائزة فيمينا, وتمنحها مؤسسة ثقافية تحمل اسم "المنظمة الفرنسية لنقابة المكتبات" FFSL, وهى منظمة تتبعها خمسة آلاف مكتبة فى أنحاء فرنسا, وبعض الدول الأوروبية الناطقة بالفرنسية, مثل سويسرا, وبلجيكا بالإضافة إلى كندا. حيث يتم التصويت عن طريق المراسلة. والكاتب الذى يحوز على الجائزة يحصل على ميدالية, وهو على ثقة تامة أن الرواية سوف توزع على كل هذه المكتبات, ومن المعروف أن أغلب جوائز الأدب فى فرنسا عبارة عن تقدير, وليست جوائز مالية, فالحاصل على جونكور, كل ما يناله دعوة عشاء مع أعضاء لجنة منح الجائزة بالإضافة إلى ضمان بيع مئات الألوف من النسخ.

كان ميشيل دوسان بيير هو أول من حصل على هذه الجائزة عام 1955 عن روايته "الأرستقراطية" التى ترجمت فى طبعة محدودة إلى اللغة العربية.

ورغم طول قائمة الفائزين بالرواية, فإن عدد الأسماء المعروفة لدينا من هذه الأسماء يكاد يقارب النصف, وقد كتبنا عنهم الكثير من المقالات فى صحف ومجلات عربية, الكثيرون منهم استمر فى مسيرته, وحاز على جوائز أخرى كثيرة, أى أن حصول الكاتب على جائزة المكتبات, هو بداية الحصول - فى السنوات التالية - على جوائز أخرى, أهم وأكبر, مثل الكاتبة البلجيكية فرانسواز ماليه – جوريس التى فازت بالجائزة عن رواية "الأكاذيب" عام 1957, وأيضاً الكاتب والسيناريست جورج كونشون الذى فاز بالجائزة عن روايته "ممر النصر" عام 1960, والكاتبة آن هيبير التى فازت بالجائزة عام 1971 عن روايتها "كاموراسكا", ثم ديديه ديكوان

عام 1973 عن روايته "إبراهام من بروكلين" وهو كاتب سيناريو للعديد من الأفلام الفرنسية اللبنانية التى أخرجها اللبنانى الراحل مارون بغدادى. كما فازت بالجائزة أيضاً الكاتبة ميشيل بيرين عن رواية "شريب جارون", وفى عام 1976, اكتشفت السلسلة الروائى باتريك موديانو، وهى تمنحه الجائزة عن روايته "فيللا حزينة" وهو الذى يعتبر أهم كاتب روائى فى فرنسا على الإطلاق, وفى رأيى أنه أكثر أهمية من لوكليزيو لكنه أصغر منه سناً.

وقد أعطت الجائزة فرصة التواجد الأدبى للكاتبة كرستيان سنجر عام 1979 عن رواية "الموت الفينيسى", ثم للمطرب الأديب إيف سيمون عام 1988, عن روايته "المسافر الرائع", وللكاتب المصرى الأصل جيلبير سنوحى عن روايته "كتاب الزبرجد" عام 1995. كما حصل عليها لوران جوديه عام 2003 عن روايته "موت الملك تسنجور" قبل أن يحصل على جائزة جونكور فى العام التالى. وفى عام 2006 حصلت عليها الكاتبة ياسمينة خضرة عن رواية "الاغتيال", أما آخر من حصلت عليها فهى الكاتبة دومنيك مينار عام 2009عن روايتها "من أجلك".

الغريب أن كل الذين حصلوا على الجائزة فى السنوات الأربع الأخيرة من النساء, ولعلنا سوف نقرأ اسم موريبل باربرى ضمن الفائزين بجائزة جونكور, أو غيرها من الجوائز الأخرى عندما ستنشر روايتها الثالثة.

لم تلفت روايتها الأولى "شراهة" أى انتباه إليها, إلا أن النقاد لم يكتبوا عنها بجدية وتعمق, إلا بعد أن نشرت روايتها الثانية, وصار النقاد يرون أن "شراهة" ليست سوى ارهاصات أولى لـ "أناقة القنفذ", حيث كتب جان لو أن الروايتين قد تمتعا بـ "عذوبة الكتابة" وهذا المزاج العالى لقصص مليئة بالذكاء الخفى, والرواية تدور حول رجل صورته الكاتبة أقرب إلى الشخصيات المقدسة. كأنه السيد المسيح عشية صلبة, فهو يعرف أنه سيموت فى اليوم التالى, وأن العلاج لم يعد يفيد, ولكن على عتبة الموت, فهو يفكر أن يكون منقذاً لشخص آخر, يمنحه قلبه, سواء كان طفلاً, أو شاباً مراهقاً. ويروح يتذكر, فى صمت, كيف عاش حياته, ابتداءً من مراحل الطفولة, وتهل عليه كافة الذكريات بروائحها, وحواراتها, ودخانها وفراشها, وأسماكها, ومشاريبها, ويكتشف أن حياته كلها كانت حالة مركبة من الشراهة لشراء الأشياء, أشياء عديدة ومتنوعة, وأنه لم يحس أبداً بالشبع, من هذه الشراهة وأن الموت الذى سيأتى غداً هو نوع جديد من الشراهة.

أما رواية "أناقة القنفذ" فنحن أمام عمل إبداعى نسائى، بطلته امرأتان، فى مرحلتين سنيتين متباعدتين، لكنهما تلتقيان معاً ثقافياً على الأقل، الأولى هى بوابة العمارة رقم 27 بشارع جرينل، فى الرابعة والخمسين من عمرها، هى امرأة قرأت الآداب العظيمة، والفلسفات الإنسانية، جاءت من الريف، وتمتلك كبرياءً عظيماً، وتشعر بالغربة عمن حولها، السكان يمثلون الطبقات العليا، بعضهم من أسر فرنسية ذات مكانة مرموقة، وفى إحدى الشقق يسكن العجوز أوزو الساكن الجديد الوحيد الذى يحاول أن يدخل البوابة إلى عالمه، فتعمد أن "يدهشها"..

أما الطفلة بالوما، فهى فى حالة دهشة دوماً، هى أشبه بروكنتان، لكنها طفلة، تقرأ بعمق، وتقدم نفسها من خلال عناوين تسميها تارة "فكرة عميقة" ثم "يوميات حركة العالم".. تلتقى مصادفة بالبوابة، تذهب إليها فى محاولة لفض اشتباك بين المرأة، وبين أختها، ثم تكتشف كل منهما الأخرى، ونحن لا نقص ما فى الرواية، فهذا النوع من الروايات لا يعتمد على الحكى، ويخلو من الحدوتة، ولكن عبقريته فى التفاصيل التى ترويها كل من المرأتين، كل منهما على لسانها وبلغتها الخاصة؛ لذا فإن لدينا هنا مستويان من الأسلوب، الأول أسلوب امرأة مثقفة، والثانية تلميذة، تدرك الظاهراتية وتسخر من أختها دارسة الفلسفة، أى أن الروائية هنا قسمت نفسها إلى ثلاثة نساء ومراحل: مرحلة تشبهها، وهى الدارسة للفلسفة، أي فى سن مقابلة للأخت كولومب..

أما المرحلة الثانية، فهى تمثل ماضيها، أى حين كانت فى سن الثانية عشر مليئة بالتساؤل، ومحاولة طرح أسئلة بلا إجابات، أسئلة تكبرها، أما المرأة الثالثة فهى حين تبلغ الكاتبة سن الرابعة والخمسين، بصرف النظر عن الوظيفة، فنحن هنا لسنا أمام بوابة إلا من خلال وظيفتها، ونحن لم نقرأ عنها أنها قامت بالتنظيف أو المسح، لدرجة أنها تغلق الباب فى مواجهة كولومب لمجرد أنها طرقت عليها قبل موعد العمل الرسمى للبوابة بساعة، وكل ما نعرفه عن وظيفة البوابة هنا، إنها يمكن أن تستلم رسالة كى تأتى صاحبتها وتأخذها فى الوقت المناسب.

إذن، فالفكرة والفلسفة، هما الهم المشترك بين النسوة الثلاث، وإن كانت بالوما تسخر من أختها حيث أنها تراها مسطحة، مدعية، وغير متعمقة، كما أن هناك رابطة أسرية تربط بين بالوما وأبيها وأمها، لكنها تحس أن مستواها الفلسفى والفكرى أعمق بكثير ممن حولها، دون مكابرة أو ادعاء.

وبالوما تتحول من مجرد فتاة, تود أن تلفت الأنظار إليها, تفكر فى أن تحرق المسكن الذى تعيش فيه إلى أن تتبنى الأفكار العظيمة التى تناقشها فيها رينيه البوابة. لذا, فإن هذه المرأة لها جانب,و الآخرون يرونها مجرد بوابة لا أكثر, أما جوهرها فإنه مختلف تماما, وتحتاج إلى شخص بالغ الحكمة مثل السيد كاكورو أوزو, كى يفهمها, ويدعوها بكل أناقة كى تتناول معه العشاء فى مسكنه.

ورينيه هذه هى كما أشرنا, صورة من الكاتبة, فهى مثلها معجبة بتولستوى, لدرجة أنها أطلقت اسم "ليو", وهو اسم ليو تولستوى مؤلف "الحرب والسلام" على قطها الوحيد الذى يعيش معها, وتبدو له مكانته القريبة جداً, فهى تكرس وقتها للقط وللقراء, حيث تبدو المرأة كأنها قد اختفت داخل هذه الوظيفة, ورينيه تستقبل من وقت لآخر مانويلا البرتغالية, امرأة تقول إنها صديقة, تتناول معها الشاى, لكن رغم قوة العلاقة التى تربطهما فإن المرأة ليست فى نفس المستوى الثقافى للشخصية الرئيسية فى الرواية, ومانويلا هذه وظيفتها أن تنظف المطابخ, ودورات المياه, وهى صديقتها.. وهناك امرأة أخرى فى حياة البوابة, هى أختها ليزيت التى ماتت إثر خطيئة ارتكبتها.

رينيه ميشيل, هى قارئة للروايات الفرنسية الصعبة - صعوبة الرواية التى تقرأها - فهى تقرأ بروست, وتتردد على مكتبة الحى القريبة, كما أنها متعمقة فى دراسة الفلسفة المسيحية القديمة, وهى تتكلم عن جيرانها باعتبار أنهم مجرد "سادة" لا يحظون بعمق ثقافى حقيقى إلى أن تكتشف بالوما جوس.

مستوى الحكى الأول يعتمد على ما تقول رينيه عن الواقع الذى تعيش فيه, أما المستوى الثانى فترويه - أو تعبر عنه - بالوما من خلال يومياتها التى تدونها, وتطلق عليها أرقاما وأسماءً, وليست هناك فروق واضحة بين أنواع هذه اليوميات. بالوما, طفلة ذكية, ولامعة, وهى ترفض عالم الناضجين, وتعتبر مثل حوض أسماك مليئة بالطين, وبالأخطاء المتشابهة المتكررة؛ لذا فهى تقرر أن تنتحر فى آخر أيام الدراسة, فى اليوم التى ستصبح فيه على أعتاب سن البالغين, سن الثالثة عشر, وذلك بإحراق شقة العائلة. لكن الطفلة لن تلبث أن تغير من موقفها عندما سيدخل فى حياتها العجوز اليابانى كاكورو أوزو, وهو الذى سيدخل أيضاً فى حياة رينيه.

إذن, فالكاتبة عبرت عن جزء من حياتها, وما تحبه, ابتداء بتولستوى, والثقافة

اليابانية التى هاجرت إليها، وأيضاً الفلسفة الظاهراتية، وقد تحدثت المؤلفة من خلال بطلتيها عن الظاهراتية وهوسرل، ومارست مهنتها كمدرسة فلسفة أن شرحت لنا الكثير عن هذه الفلسفة، وكنا نتوقع أن تتكلم عن سارتر، أكثر الفلاسفة المعاصرين والأدباء تأثراً بهذه الفلسفة، الذى كتب عن تأثره كثيراً بهوسرل فى كتبه، خاصة سيرته الذاتية المعنونة "الكلمات".

ولهذا السبب، سوف نلاحظ مدى صعوبة النص، والجملة الروائية، رغم بساطة المفردة اللغوية عند بالوما، وتركيبته المعقدة فى حكى رينيه. وذلك لأن المرأة متوحدة تماماً مع الأدب والفلسفة، ولذا فإن المفردة اللغوية، والجملة، أقرب إلى الفلسفة. لذا، فإن هذه الفلسفة تنعكس على سلوك رينيه ميشيل، فهى تؤثر البقاء فى المنزل، وهى قليلة الخروج من البيت، حتى أنها فى المرات القليلة التى فعلت ذلك، فإن إحدى سيارات الكواء تصدمها، وتكون الصدمة سريعة للغاية.

لذا، فمن السهل أن تتوحد المرأتان: العجوز، والطفلة، وأن تحس كل منهما - رغم الفارق فى السن - أنهما متوحدتان بشكل ما، وكما أشرنا، فرغم أن الكاتبة لا تذكر أساتذة فلسفة العبث وكتابها، إلا أن سلوك بالوما على سبيل المثال ملئ بالعبث، خاصة رأيها فى أختها التى تعد دراسة عليا.

تقول الناقدة إيفا يانوفيتش أنه بعد روايتها الأولى، فإن موريل باربرى أخذت وقتها كى تشركنا معها فى عواصفها حول اليابان فى رواية باريسية جداً.. "أناقة القنفذ" التى تلعب دوراً فى جمع التناقضات التى تخص شخصيات تتوق، لكنها مثيرة للدهشة.

هى شخصيات عميقة، غريبة حساسة، فيلسوفة، فأناقة القنفذ هى السيدة ميشيل التى تركت قطها ليو وماتت، هى امرأة جادة، وغامضة، تعشق الأدب الروسى، والسينما اليابانية، وطوال 27 عاماً أخفت ثقافتها العميقة بداخلها، من أجل أن تحافظ على سلامها، إلى أن كشف هذه الثقافة السيد أوزو اليابانى، فدعاها إلى العشاء، وقد وجدت ميشيل فى بالوما توأما روحياً، هى فتاة حزينة، ترى العبث فى الحياة، وهى التى لا تستطيع التواؤم مع من حولها، فتجد التوحد لدى رينيه ميشيل.

تقول المعلومات التى بين يدينا إن رواية "أناقة القنفذ" قد بيع منها عقب صدورها

فى عام 2006 أكثر من مليون نسخة, وظلت على قمة مبيعات الروايات طوال ثلاثة أسابيع وظلت الرواية من بين أفضل 50 كتاباً فى المبيعات, ولمدة 133 أسبوع. والغريب بالفعل رغم صعوبة هذه الرواية وخصوصيتها, أن تحولت سريعاً إلى فيلم سينمائى فى عام 2009 تحتى اسم "القنفذ" أخرجته منى أشاش وقامت ببطولته الممثلة المشهورة جوزيان بلاسكو, وجاراتس لوجيللر ميل. أى أننا أمام عمل نسوى, سواء كنص أدبى, أو كفيلم سينمائى, فالمخرجة هى كاتبة, وممثلة, أخرجت الكثير من الأفلام الوثائقية, وفيلمين روائيين قصيرين, أما فيلم "القنفذ" فقد عرض لأول مرة فى 3 يوليو 2009, وذلك بعد أن تحمست كثيراً لهذه الرواية, والغريب أن الصحافة الفنية قد صنفت الفيلم على أنه "كوميديا درامية" بما يعنى أن المخرجة لعلها قد فرغت الفيلم من مضمونه الرئيسى, وركزت على العلاقة الجدلية بين البوابة والتلميذة, علماً بان جوزيان بلاسكو هى فى الأصل ممثلة كوميدية.

مهما كانت المقالات حول كتاب من هذا النوع, فإن ما قاله نابوكوف فى مقدمة روايته "دموع فى الظلام" إن التفاصيل هى الأهم, لذا فإن قراءة هذا النوع من الروايات هو الأكثر متعة.

ملحوظة مهمة:

قارئ هذا النوع من الروايات يجب أن تكون له عقلية الثقافة الفرنسية بشكل خاص, والثقافة العالمية بشكل عام, فبطلتا الرواية تسكبان كافة قراءتهما فى الأدب والفلسفة دون أى إحالات سواء فى الأدب, والسينما, والفلسفة, والتاريخ, ولو قمنا بعمل تفسيرات وشرح للأسماء والمصطلحات لامتلأت الصفحات بالشروح, مما يجعل النص غير أدبى بالمرة, وقد كتبت باربرى روايتها بثقافتها للقارئ, ولذلك فإن القارئ العربى الذى ليست لديه الخلفية الثقافية لبطلة الرواية رينيه ميشيل أو حتى للطفلة بالوما, عليه ألا يدخل هذا العالم منذ اللحظة الأولى.

أما الذين ينتمون إلى هذا العالم, وهم قلة فى عالمنا العربى, فسوف يقومون بفك ألغاز الرواية بسهولة, ويحسون أنها الرواية الأكثر قرباً منهم, ولعل هذا يفسر صعوبة النص وترجمته, ومتعة التوغل فى كل أركانه.

محمود قاسم

إلى ستيفان الذى كتبت معه هذا الكتاب.



ماركس
(تمهيد)

(1)
من يبذر الرغبة

- غيّر ماركس نظرتى تماماً للعالم.

هكذا حدثنى الصغير باللير الذى لم يوجه لى الكلام العادى أبداً, أنطوان باللير, هو الوريث الناجح لأسرة صناعية عريقة, وابن لواحد من سكان الشقق الثمانية, هو التجشؤ الأخير لبرجوازية الأعمال الكبرى التى أنتجت الخوازيق الجيدة الصنع وبدون عيوب, إنه يلمع فى وظيفته ويحدثنى عنها كردود أفعاله دون أن يفكر أنه بإمكانى أن أفهم شيئاً ما.. كيف يمكن أن تفهم الطبقة العاملة فى كتاب ماركس؟.. فالنص صعب, واللغة جامدة, والنثر بليغ, والموضوع معقد. لذا, فإننى أفتقد أن أخون نفسى بشكل غبى. قلت لهذا الغبى الذى يرتدى معطفاً أسبانياً:

- عليك أن تقرأ "الأيديولوجية الألمانية".

وكى نفهم ماركس, وندرك لماذا هو على خطأ, يجب أن نقرأ كتابه "الأيديولوجية الألمانية", إنه المرجع الأنثربولوجى الذى نبنى عليه كافة الآمال لعالم جديد, وعليه يرتكز الإيمان الرئيسى بأن الناس الذين يضيعون وسط رغباتهم, عليهم التمسك بحاجاتهم, فى عالم يتم تجحيم الرغبة الخاصة بهدف تكوين مؤسسة اجتماعية جديدة, مغسولة من النضالات, والظلم, والأفكار البالية والضارة.

- من يبذر الرغبة يحصد التوتر.

تابعت كلامى الأقرب إلى الهمس، وكأنما يسمعنى قطى الوحيد أنطوان باللير, ذو الشارب الكريه فى منبته. لا يمارس معه أى نوع من الملاطفة, ينظر نحوى, غير واثق فى كلماتى الغريبة, وكالعادة, فقد تم إنقاذى من العجز الذى يدفع الكائنات

إلى الاعتقاد أنها سوف تفجر إطارات عاداتهم العقلية الصغيرة؛ فبوابة العمارة لا تقرأ "الأيديولوجية الألمانية" ستكون عاجزة بشكل تلقائى أن تذكر رواية قضية الحادية عشرة حول فورباخ, بالإضافة إلى أن بوابة تقرأ ماركس الذى ينزع بقوة نحو التجريب، تباع إلى شيطان يمكنها قراءته من أجل ارتقاء الروح, هو نوع من الفظاظة لا يمكن لأى برجوازى أن يؤديه.

همست وأنا أغلق الباب فى وجهه آملة أن تعثر صوتى فى الجملتين سوف يعطى بقوة رأياً مسبقاً للألفية الجديدة.

(2)
معجزات الفن

اسمي رينيه. أنا فى الرابعة والخمسين. منذ سن السابعة والعشرين, وأنا بوابة فى شارع لاجريتل. فندق جميل خاص, له فناء وحديقة داخلية. مقسم إلى ثماني شقق فاخرة. مسكونة جميعها. كلها بالغة الفخامة. أنا أرملة, قصيرة القامة, دميمة. أميل إلى التلحيم. لدى ورم كالبصلة فى قدمى, مما يجعلنى أعتقد أنه برز ذات صباح بشكل تلقائى, إنه يضايقنى, أنفاس ماموث. لم أنل أى قسط من التعليم. فقيرة دوماً, رزينة, أبدو غامضة, أعيش وحدى مع قط ذكر كبير شديد الكسل. لا يتمتع فى سماته العامة سوى برائحة مخالب عفنة, عندما يكون فى حالة غيظ أحس انه مثلى, لا نبذل أى مجهود كى ندخل دوائرنا. فأنا نادراً ما يحبنى أحد, رغم أننى مهذبة دوماً. انهم لا يحبوننى. لكنهم مع ذلك يتحملوننى, فأنا أتفهم جيداً أن الإيمان الاجتماعى يعتبر نموذجاً لبوابة العمارة أكثر منى كواحدة من التروس العديدة التى تعيد الوهم العالمى الكبير, وحسبه فإن الحياة هى معنى سهل لتجديد وحل شيفرتها. طالما أنه مكتوب فى بعض الأماكن أن البوابات نساء عجوزات دميمات وشرسات, منقوشة بحروف من نار فوق نفس الجلد الغبى الذى للبوابات اللائى لديهن قطط ضعيفة الإرادة, تنام طيلة النهار فوق وسائد مغطاة بالكروشيه.

يقال إن البوابات يشاهدن التليفزيون دون توقف, بينما تنام القطط الكبيرة أمام ممرات العمارة, تنبعث منها روائح الخشب المحترق، وحساء الكرنب, أو يخنة الفاصوليا التى تعدها الأسر. أنا محظوظة, حظى غريب لأننى بوابة فى مسكن يسكنه أشخاص أصحاب إقامة طويلة. فمن العار على أن أطهو الطعام المقزز حين يدخل السيد. دوبروجلى مستشار الدولة من الطراز الأول الذى عليه أن يكون قريباً من زوجته اللطيفة والتى توجه اهتمامها للخدمة العامة, والفجاجة الشعبية العفنة. تثير انفراجاً ضخماً لا شك أن إخفاءه أفضل من إظهاره تحت مظهر الطاعة الواجبة.

كان هذا قبل سبعة وعشرين عاماً. طوال تلك الآونة, أذهب كل يوم إلى الجزار لشراء شريحة من لحم الخنزير, أو كبدة عجل, وأنزوى مع سلتى بين باقات المكرونة الشريطية وحزم الجزر, أسترخى لإرضاء هذه المؤن الفقيرة. ترفع من السمات

الواضحة التى لا تحس بى لأننى فقيرة فى منزل أثرياء، حتى الوصول إلى تغذية بالشراكة، للتوافق بينى وبين قطى ليو الذى لا يأكل إلا من الوجبات التى يجب أن تكون من نصيبى. وأيضاً من دهون لحم الخنزير والمكرونة ذات الزبدة، بينما أستطيع أن أشبع دون تناول المزيد من الدهن، ودون أن يرتاب الشك أحد فى مهاراتى فى الطبخ.

الأكثر صعوبة هو موضوع التليفزيون، ففى زمن المرحوم زوجى، كنت أفعل ذلك دوماً، لأن المثابرة التى اكتسبتها فى مشاهدة التليفزيون وفرت لى عملى المسخر فى ممر العمارة، تحدث جلبة ويكفى هذا أن تسند لعبة الرتب والطباقات الاجتماعية التى يتجاوزها لوسيان، يجب أن أجز رأسى كى أحافظ على المظهر، يكلفنى بالظلم الضرورى. ويصنع حاجزاً لا يتحرك ضد شكوى الآخرين.

ووجدت الحل بفضل أن لا تكون هناك أزرار.

حذرتنى مجموعة أجراس مربوطة تحت الأحمر إلى من الآن إلى ممرات فى القاعة، تجعل كل زر ملتمساً غير مجد من المارة الذين يقرعونه كى أستطيع أن أعرف حضورهم رغم أننى بعيدة عنهم تماماً، لأنه بهذه المناسبات فإننى أجلس فى أعماق غرفتى، حيث أقضى ساعات فراغى، أحمى نفسى من الضجيج والروائح التى تضعنى ظروفى فى إطارها. أستطيع العيش حسب قلبى دون أن أهتم بالمعلومات الحيوية عما يدور فى الممر: من يدخل، من يخرج، ومع من وفى أى ساعة.

وهكذا يعبر السكان القاعة، ويسمعون الأصوات المخنوقة ليتعرفوا أن التليفزيون يعمل، دون أن يفتقدوا أى شريان من التخيل، يشكلون صورة البوابة القابعة أمام جهاز الاستقبال. أنا فى مسكنى المصنوع من اللباد، لا أسمع شيئاً لكننى أعرف أن شخصاً ما يمر وفى الغرفة المجاورة، وبعيون البقرة أمام السلم، مختبئة وراء الزجاج الأبيض، وأنا أرقب خلسة هوية العابر.

ظهور شريط الفيديو هذا، فيما بعد، من آلة DVD، غير أيضا الكثير من سخرية الأشياء فى مفهومى. لأن البوابة منشغلة بقراءة رواية "الموت فى فينسيا" وفى مسكنها، فإنها تهرب إلى مالر، وأطرق فى الاقتصاد المنزلى. وادخر بكل حرص، وكأننى مكلفة بعمل آخر وأنا باقية فى مخبأى. بينما أضمن خفائى فإن تليفزيون

المسكن يصرخ دون أن أسمعه قبل الانتباه لعقول المراعى, وأنا يغشى على, الدموع فى عينى, أمام معجزات الفن.

فكرة عميقة رقم "1"

انتهاء متابعة النجوم فى حوض السمك الأحمر

ظاهراً, من وقت لآخر, يستهلك البالغون وقتاً فى الجلوس وفى تأمل حياتهم المدمرة, يندبون دون أن يفهموا, كأنهم الذباب الذى يضرب نفس الزجاج دوماً, يثورون، ويعانون، وينضغطون، ويحبطون ويتساءلون حول التعقيدات التى تؤدى بهم إلى حيث لا يريدون الذهاب, الأكثر ذكاءً منهم يخلقون عقيدة: آه إنه الفراغ الحقير للوجود البرجوازى, هناك مهاويس من هذا الطراز يتناولون العشاء حول مائدة أبى "ماذا صارت عليه أحلام شبابنا؟" تساءل أحدهم فى ثقة ورضاء, لقد تبخر كل شئ والحياة أصبحت ككوبة أكره هذا الوضوح الكاذب للكهولة. الحقيقة أنهم مثل الآخرين. مراهقين لا أقزام لا يفهمون ما حدث لهم ويلعبون ألعاباً كبيرة بالجملة تثير عندهم شعوراً بالبكاء.

إنه أمر سهل الفهم. أما الشئ غير المفهوم أن الأطفال يؤمنون بمحاضرات الكبار أو الذين صاروا بالغين. الذين ينتقمون من أنفسهم, ويخدعون أطفالهم الأعزاء. "الحياة لديها معنى أن الشخصيات الكبار متماسكون" إنها الكذبة العالمية التى يضطر العالم كله إلى تصديقها. فى سن الكبر عندما نفهم زيف الأمور يصبح كل شئ متأخراً. ويظل الغموض غير ملموس، ولكن كل الطاقة الطبيعية التى استهلكت منذ وقت طويل فى أنشطة غبية. لم يعد يبقى منها سوى التحذير مثلما يمكن أن تجرب التقنع بواقعة ليس لها أى معنى فى الحياة. فالكبار يخدعون صغارهم لمحاولة إقناعهم بأنفسهم.

من بين الأشخاص الذين يتردد عليهم أسرتى المتكاثرة يسير الجميع فى نفس الدرب, هناك شباب يحاول استغلال ذكائه, يضغط مثل ليمونة لينجح فى الدراسة, والتأكيد على مكان النخبة, التى تتساءل طوال حياتها فى ذهول لماذا اصطدمت بعض الآمال بوجود لا جدوى منه؟ يعتقد المؤمنون أنهم يتبعون النجوم, وينتهون مثل الأسماك الحرة داخل حوض. أتساءل أليس هناك أمر سهل لتعليم الأطفال منذ البداية أن الحياة عبث. هذا ينزع بعض المشاعر الطيبة من الطفولة لكنه سوف يحتاج وقتاً، دون أن نأخذ فى الحسبان أننا نوفر على الأقل صدمة الصعود نحو

القمقم.

أنا فى الثانية عشر, يسكن المزل رقم 7 شارع جرنيل فى شقة الأثرياء, أبواى ثريان, وأسرتى غنية، وأنا بالتتابع بالغة الثراء. كان أبى نائباً بعد أن كان وزيراً, وانتهى أمره إلى المعاش أى البقاء فى كهف فندق لاسى، أما أمى فهى مثقفة جيدا(!!) حصلت على دكتوراه فى الآداب, تكتب دعوات العشاء بدون أخطاء, وتقضى وقتها تضجرنا من مصادر ومؤلفات.. "لا تتمثلي الأديبة كولومب, يا عزيزى, أنت سانفرينا الحقيقية".

ورغم هذا, ورغم كل هذه الظروف, وكل الثراء فمنذ وقت طويل جداً, أعرف الهدف المنشود, إنه حوض السمك.. كيف أعرف هذا؟ أنا فتاة بالغة الذكاء, ذكية بشكل استثنائى. لو نظرت للأطفال فى مثل سنى, فإنه أمر لو تدرك أعماقه, لم أرغب أبدا أن يلاحظونى فأنا فى أسرة يعتبر الذكاء فيها قيمة عظمى, طفلة صماء لن تبلغ السلام النفسى أبدا. حاولت أن أقلل امتيازاتى فى مدرستى لكن رغم هذا, كنت الأول دائما. يمكن أن أفكر فى لعبة الذكاء العادية عندما كنت فى الثانية عشر مثلا فى مستوى الخال الكسول يبدو الأمر سهلا. أبدا يجب أن نمنح انفسنا الشر كى تصبح أكثر غباءً مما نحن لسنا عليه. لكن بطريقة ما, فإن هذا يمنعنى من الضجر, لست فى حاجة أن أقضى طيلة وقتى فى التعلم أو الفهم, واستخدام أسلوب الإثارة فى الردود، وأساليب المعاملة, والانفلات والأخطاء الصغيرة للتلاميذ العاديين الطيبين.

أقرأ كل ما كتبه "كونستانس باريه", الثانية على الفصل, فى الرياضيات, واللغة الفرنسية والتاريخ. وأتعلم كيف أن هذا هو ما يجب أن أفعله باللغة الفرنسية بتتبع كلمات ملتصقة مكتوبة بشكل صحيح. الرياضيات هى إعادة الإنتاج الآلى للعمليات الخالية للمعانى, والتاريخ هو التابع للوقائع المرتبطة برابط موضوعى. ولكن إذا قارنَا أمرنا بالبالغين, فإننى أذكى وأكثر فطنة من أغلبهم. وهكذا, فلست فخورة بشكل خاص لأننى لست شيئاً. ولكن ما هو مؤكد أنه فى حوض السمك لن أنسى أنه قرار فكرت فيه جيداً. حتى بالنسبة لشخص ذكى غيرى، مخلص للدراسة مختلف عن الآخرين, ومتميز عن الأغلبية؛ فالحياة تترك أثرها تماما، وبالغة الحزن حتى البكاء: لا أحد يبدو أنه فكر فيما إذا كان الوجود عبثا. وقد نجح فى ذلك بشكل لامع وليست له قيمة أنه يفشل فى ذلك, إنه أمر ملائم تماماً. وأيضاً, أعتقد أن الصفاء يجعل

النجاح مريرا أكثر من التفاهة تعنى دائما شيئاً ما.

لقد اتخذت قرارى, سوف أترك الطفولة عما قريب, رغم ثقتى أن الحياة ملهاة ولا أعتقد أننى أستطيع المقاومة حتى النهاية, فى الواقع, لقد برمجنا كى نؤمن بما غير موجود, لأننا كائنات حية لا تريد أن تعانى، وعليه فإننا نعتمد على كل قوانا فى أن نقنع أنفسنا أن هناك أشياءً تستحق المعاناة؛ ولهذا فإن للحياة معنى. أنا شديدة الذكاء، ولا أعرف كم من الوقت سوف تكون عندى قوة الكفاح ضد هذه الدعوة الحيوية. عندما سوف أدخل فصول الكبار, هل سأكون قادرة على مواجهة مشاعر العبثية؟ لا أعتقد, لهذا فإننى اتخذت قراراتى: فى نهاية هذا العام الدراسى, عندما سأبلغ الثالثة عشر (السادس عشر من يونيه القادم سوف أنتحر) حذاري, أنا لا أتعمد أن أجعل هذا أمراً صاخباً، وكأن هذا مشهد من الشجاعة والتحدى.

من ناحية أخرى, فإننى أهتم ألا يشك شخص فى شئ, فالكبار لديهم علاقات هيستيرية مع الموت, فالأمر يتطلب استعدادات ضخمة, ويتصرفون على أن الحدث هو أشد كوارث العالم. وما يهمنى - فى الواقع - ليس الشئ, ولكن توابعه فجانبى اليابانى معلق بشكل خاص بكارثة. عندما أقول جانبى اليابانى, فإننى أعنى حبى لليابان, أنا فى الصف الرابع, وبطبيعة الحال, فإننى أدرس اليابانية كلغة ثانية. ولم يكن مدرس اليابانية فظا. كان يأكل الكلمات بالفرنسية, يقضى أغلب وقته يهرش رأسه بشكل متردد هذه الطريقة ليست سيئة بالمرة. ومنذ بداية الدراسة, تقدمت بشكل ملحوظ, وأتمنى لو أستطيع خلال عدة أشهر, قراءة مفرداتى المفضلة فى النص, لم تفهم أمى أن فتاة صغيرة يمكنها أن تقرأ المفردات, لم تكن لدىّ الصعوبة أن أشرح لها "المفردة" باليابانية. يعنى هذا "القصص المرسومة" إنها تعتقد أننى أبحث عما وراء الثقافة, وأننى لا أخدعها. باختصار, فبعد شهور سوف أستطيع قراءة الكاتب تانجويشى باليابانية, ولكن هذا سوف يقودنا إلى مهمتنا: يجب أن يتم هذا فى 16 يونيه, لأننى سوف أنتحر فى السادس عشر من يونيه. لكن ليس بكارثة، بل أنه ملئ بالحس والجمال، ولكن.. حسنا.. ليست عندى رغبة فى المعاناة فى الواقع, فإننى أكره المعاناة, أرى أننا عندما نتخذ القرار بالموت, ذلك لأننا نعتقد أنه يدخل فى نظام الكون. يجب أن نفعل ذلك فى رقة الموت, يجب أن يكون حدثاً عابراً رقيقاً، معبراً نحو الراحة. هناك أناس ينتحرون بإلقاء أنفسهم من نافذة الدور الرابع أو بابتلاع السموم أو بالشنق.. إنه شئ أحمق! أجد أن هذا بشع.

فيما يفيد الموت إذا صحبته معاناة؟.. أنا جربت موتى، منذ عام طوال الشهور كنت أتناول منوماً من علبة على وسادة أمى، التى تتعاطاها دائما، على كل فهى لم تلاحظ أبدا أننى أتناول منها كل يوم، لكننى قررت أن أكون بالغة الحذر لا يجب ألا أترك المصادفة عندما نتخذ قرارا، قليل من الحظ فى أن يكون مفهوماً.

لا نتخيل السرعة التى بها ينجز الناس مشاريع بلا أهمية. باسم اللغو من طراز "شعور الحياة" أو "حب الانسان" ثم "السمات المقدسة للطفولة".

إذن، أنا أعبر الطريق بهدوء نحو السادس عشر من يونيه، لست خائفة إلا من بعض الندم. ربما، لكن العالم كما هو لم يخلق بلا ميراث بما يعنى أننا يجب ألا نلقى بأنفسنا إلى الموت، يجب أن يكون مثل قطعة خضار أصابها العطن. بل على العكس، المهم هو ألا نموت فى أى سن. أن نموت يعنى أننا فى حالة لحظة موات. فى قصص تانيجيشى يموت الأبطال بالسقوط من فوق قمة إفرست. لحسن الحظ أننى أستطيع أن أفعل ذلك قبل 16 يونيو القادم. لأن إفرست وأنا، هما ضرورة فكرية. قد أعطيت لقضيتى أن تكون لدى أعمق الأفكار الممكنة، وأن ندونها فى هذا الكراس: إذا لم يكن للأمر معنى، فعلى الأقل، فإن الروح تدخل فيها، أليس كذلك. لكن لأن لدى جانبى اليابانى العميق، فقد أضفت إلى فكرى هذه الفكرة العميقة يجب أن تتشكل فى صورة قصائد قصيرة على الطريقة اليابانية: "الهوكو" (ثلاثة أبيات) أو "تانكا" (خمسة أبيات). والهوكو المفضلة لى، هو من شعر "باشو"

كوخ الصيادين

ممزوج بالجمبرى

وصرصار الليل!

ليس هذا حوض سمك.. لا، ليس هذا شعراً!

لكن فى العالم الذى أعيش فيه، هناك من الشعر أكثر فى كوخ الصياد اليابانى، هل ترى أنه من الطبيعى ان أربعة أشخاص يعيشون فى مساحة أربعمائة مترا مربعا عندنا الكثير من الأخير، وربما من بينهم شعراء ملعونين ليس لديهم مسكن مناسب، ويتكومون بالخمسة عشر شخصاً داخل عشرين متراً مربعاً! عندما سمعنا،

فى الصيف, أن أفارقة خاطروا لأن نيران السلم التهمت عمارتهم غير الصحية. أعطانى هذا فكرة أنهم يعيشون فى حوض السمك. إنه تحت أنوفهم طيلة النهار لا يستطيعون الهروب منه وهم يحكون القصص. ولكن والدى وكولومب يتخيلان أنهما يسبحان فى المحيط لأنهما يعيشان داخل الأربعمائة متر المكدسة بالأثاث واللوحات.

إذن ففى 16 يونيه سوف أضع فى الحسبان أن أنشط ذاكرتهم قليلا عن السردين: سوف أشعل النيران فى الشقة (من عيدان ثقاب الشواء) انتبه, لست مجرمة, سوف أفعل ذلك عندما لن يكون هناك أحد, 16 يونيه يقع يوم السبت, وفى بعد ظهيرة السبت, سوف تذهب كولومب إلى آل تيبير, وأمى إلى اليوجا وأبى فى دائرتى, وأنا سأبقى هناك, أرمى القطط من النافذة, وسوف أخبر عمال الإنقاذ قبلها بوقت كاف حتى لا يكون هناك ضحايا, ثم سوف أذهب كى أنام بهدوء عند أمى. بدون شقة, أو ابنة, سوف يفكرون فى كل الأفارقة الموتى, أليس كذلك؟

زهرة كاميليا

(1)
امرأة أرستقراطية

فى يومى الثلاثاء والخميس، تتناول صديقتى الوحيدة مانويلا الشاى معى فى مسكنى. مانويلا امرأة بسيطة، عشرون عاما قضتها فى طرد الأتربة عن بيوت الآخرين، لم تسلب منها أناقتها، طرد التراب هو فى النهاية تعبير شديد التحفظ، لكن فى بيوت الأثرياء، فإن الأشياء لا تسمى بأسمائها.

قالت لى بنبرة رقيقة كأزيز البوم: أفرغ السلات المليئة بالفوط الصحية، وأجمع تقيؤات الكلب، وأنظف قفص العصافير، لا أصدق سوى أن الحيوانات الصغيرة ليس عليها سوى إطلاق الكثير من البراز، وأنا أنظف دورات المياه، وأيضا التراب، إنه العمل الجميل!.. يجب أن أقدم نفسى عندما أنزل إلى مسكنى فى الساعة الثانية ظهراً. يوم الثلاثاء من شقة آل آرتين، والخميس من شقة آل بروجلى.

مانويلا تضع القطن فى المراحيض المطلية بجلود الغزال، وبالرغم من ذلك فهى تظل قذرة، تفوح منها رائحة كل سخرية العالم لأنه من الجميل أن يساهم الأثرياء فى إسعاد الفقراء. إنها أشياء داخلية مقززة، تنتهى دوماً بالتخلص من شئ ما تفوح منه رائحة كريهة. يمكن أيضا أن نقدم تبجيلا إلى مانويلا، مقابل تضحيتها فوق مذبح العالم، حيث المهام الكبرى مخصصة للبعض، بينما يثقب الآخرون أنوفهم دون أن يفعلوا شيئاً. إنها لا تعرف التراجع فى خطاها مقابل اتباع هواها، مفرطة فى الدقة تمسح كل كساء الورق الذهبى اللون، أو بالأحرى الصحية.

قالت مانويلا أنها استأصلت من سلتها القديمة قطعة صغيرة من الخشب الفاتح تجاوزت فيها ورق الحرير القرمزى معششة فى هذه السلة الثمينة المعلقة فى قرميدة على شكل أصابع اللوز. عليها أن تضع مفرشاً، بينما أعد القهوة لنشربها معاً.

كلانا ونحن نرتشف - فى صمت - فنجان شاى أخضر، ونقرقض أصابع اللوزية،

ورغم أننى أعيش فى نموذج مثالى لإخلاص دائم, فمانويلا هى خادمة برتغالية حاذقة تجهل حقيقة نفسها, هى ابنة فارو, ولدت تحت شجرة تين, بعد سبعة من الأبناء, وقبل ستة آخرين. تم إرسالها للعمل فى الحقول فى سن صغيرة, وسرعان ما تزوجت من بنّاء مهاجر, وصارت أماً لأربعة أطفال فرنسيين حسب قانون الأرض, لكنهم برتغاليون حسب المنظور الاجتماعى, ابنة فارو, إذن, توضع ضمن طبقة السود والخمار على الرأس هى امرأة أرستقراطية, حقيقية, وراقية, من النوع الذى لا يعانى أى نوع من المعاناة الحالية, تأتلف إلى قلبها نفسه, تضحك حسب اللوائح الاجتماعية "الإتيكيت" والتفاصيل, لكن من هى الأرستقراطية؟, إنها امرأة لم تمسها الفجاجة أبداً, رغم أنها مطوقة بفجاجة أسرتها, فى يوم الأحد, تعبر الضحكات الحادة الألم, ولدت ضعيفة, وبلا مستقبل.

وكجارة فهى موصومة بنفس الشعار الحزين، مثل أضواء نيون المصنع حيث يأتى الرجال صباح كل يوم, وكأنهم يعودون إلى الجحيم. فجأة العاملات اللاتى لا يعرف المال كيف يخدمهن, تتحدثن اليها كأنهن تتحدثن إلى كلب مكسو بالشعر الكثيف, يجب أن نرى مانويلا تقدم, وكأنها ملكة, فواكه لإعداد حلوياتها, معبرة عن الطيبة التى تسكن هذه المرأة. نعم أشبه بملكة, فعندما تظهر مانويلا يتحول مسكنى إلى قصر, مثلما يحول الحكاء الحياة فى نهر فياض تبتلع الألم والملل. تحول مانويلا وجودنا إلى ملحمة حارة, بهيجة. قالت فجأة, وهى تقطع الصمت:

- أطل على باللير الصغير تحية الصباح عند السلم.

زمجرت فى ازدراء. قلت وأنا أهز كتفى: إنه يقرأ ماركس.

تساءلت وهى تنطق حرف "س" كأنه "ش": "ماركش"؟ شين مبللة قليلا مثل سحر السموات الصافية.

أجبت: أبو الشيوعية. قالت لى:

- السياسة, هى لعبة أبناء الأثرياء الذين لا يعيرون أنفسهم لأحد.

فكرت لحظة, وهى تدعك رموشها. وقالت:

- ليس نفس النوع من الكتب كالعادة

الرسوم التى يخفيها الشباب تحت معاطفهم لا تفلت من بصيرة مانويلا, وباللير الصغيرة يبدو وفقا للاستهلك المطبق. مثل شهادة تدل على صفحة لعنوان واضح "الماركيزات المحتالات".

ضحكنا، ومازحنا لحظاتنا فى موضوعات أخرى, فى طمأنينة الصداقات القديمة, تبدو لى هذه اللحظات غالية ويخفق قلبى عندما أتذكر اليوم التى تحقق فيه مانويلا حلمها وتعود للأبد إلى بلادها, وتتركنى هنا وحيدة. منهكة بلا رفقة, مرتين فى الأسبوع. إنها ملكة خفية. أتساءل أيضا, بكل وعى, عما سيصير عليه حالى عندما تتركنى صديقتى الوحيدة التى حصلت عليها, الوحيدة التى تعرف كل شئ دون أن تنظر قط وراءها, امرأة مجهولة من كل شئ. سيدفنها هذا الفراق تحت أستار النسيان

سمعت خطوات عند بهو المدخل, ثم سمعنا بوضوح أصواتاً غريبة تحدثها يد رجل فوق زر استحضار المصعد, مصعد قديم له باب حديدى أسود, وبابان يصفقان, باب مبطن بالخشب, أعرف صاحب هذه الخطوة, إنه بيير آرتين, الناقد الذواق فى الطابق الرابع, عضو فى حزب الأقلية، وهو حزب من الشرور أشبه بالطريقة التى يغلق بها عينيه عندما يقف فوق عتبة مسكنى. يجب أن أفكر أننى أعيش فى غرفة مظلمة, رغم أنه يراها عكس ذلك تماماً. حسناً, لقد قرأت مقالاته النقدية الشهيرة.

قالت لى مانويلا التى ترى أن الشواء الطيب هو شواء طيب, وليس أكثر: "أنا لا أفهم شيئاً". لا شئ يستحق الفهم, من المؤسف أن أرى قلماً كهذا يفسد نفسه بقوة ضاربة.

الكتابة فوق ثمرة طماطم لصفحات الحكى البراقة – لأن بيير آرتين ناقد, كأنه يحكى قصصاً, وهذا وحده يجعل منه شخصاً عبقرياً – دون أن "ترى" دوماً أو أن "تمسك" بثمرة الطماطم وهى قطعة من اليأس المحزنة, إنه موهوب, ولا يتبصر لتأثير الأشياء. أتساءل دوماً وأنا أراه يمر أمامى بأنفه المتعجرف. نعم يبدو أن بعض الأشخاص غير قادرين على الإمساك بما يتأملونه من أمور الحياة وجوهر النفس, يمضون حياة كاملة يثرثرون عن البشر كأنهم يتصرفون بشكل آلى فوق الأشياء

بدون الروح التى تسكنها وتتلخص فيما يمكن أن يقال, حسب الموحيات الشخصية.

وكأمر متعمد, تراجعت الخطى فجأة, ودق آرتين جرس مسكنى. قمت وأنا أضع فى اعتبارى الاعتناء بوضع قدمى فى حذاء مناسب, وأنا أمسك الخبز الطويل, والبيريه, يمكن أن يمثل تحديات مقبولة الرسوم . هذا الشكل. أعرف أننى أغيظ السيد. نشيد نابض موحى لفراغ الصبر لكبار النشالين, وأن هذا ليس لشئ فى التطبيق التى فيها وأنا أفتح الباب ببطء شديد أضع أنفاً حذراً متمنية أن يكون لونه أحمر ولامعا.

قال لى وعيناه مطويتان, والأنفان مركزان:

- أنتظر باقة سباق الخيل. عندما ستصل أحضريها إلىَ على وجه السرعة

بعد الظهيرة, وضع السيد آرتين رابطة كانت ترفل حول عنقه فبدا كالنبلاء, لا تضايقه أبداً, حيث برزت شعيراته كأنه الأسد, كان يرتدى تنورة من الحرير صالحة للرقص حيث تضيع الرجولة, أدهشتنى رابطة العنق. افتقدت الابتسامة وأنا أتذكره. إنه لوجراندين, فى رواية "البحث عن الزمن الضائع" لمارسيل بروست, بواب آخر مشهور, يدعى لوجراندين, إنه حقا موجود بين عالمين, هذا الذى يعاشر, وذلك الذى أراد أن يدخل فى تجربة مليئة بالأمل المر والعبودية الحقيرة.

تعبر رابطة العنق عن التغيرات الخاصة, أيضاً فى ميدان كوميراى, لا ترغب أن يقوم أحد بتحية آباء الرواية، ولكن أحياناً أمام مفترق طرق. وهو يضع الوشاح الذى يعبر عنه، يتركه يطير فى الريح, مزيج كئيب ينتشر ويوزع تحيات عادية.

بيير آرتين الذى كان يعرف بروست الخاص به, لم يكن يعرف الأسلوب التى يجب به معاملة البوابات بوداعة خاصة, يحك الحنجرة بنفاذ صبر.

أذكر سؤاله:

- هل يمكنك إحضاره لى على وجه السرعة الباقة من الساعى – حزم السباق. لا تفترض "طرق البريد المألوف"؟.

قلت وأنا أضرب على ذاكرة الوعى, وقد شجعنى على ذلك غياب الأحلام التى يشكل التسائل: "نعم.. عذراً كاملاً".

أضاف: "إنه أمر هش للغاية انتبهى من فضلك".

تصريف الفعل فى زمن الأمر فى "أرجوك" لم يعجبنى, رغم أنه اعتقد أننى غير قادرة عن مثل هذه الترجمة النحوية, التى لم يوظفها سوى فى التذوق, دون أن يكون لديه لطف الافتراض أننى أستطيع أن أحس بها مهينة. لقد لمس أعماق المد الاجتماعى عن سماع صوت رجل سرى, إنه لا يتوجه إلا لنفسه, ورغم الكلمات التى ينطق بها تجعلك مؤهلاً تقنياً, لم يتخيل أبداً انك يمكن أن تفهميها.

تساءلت بنبرة جذابة قليلاً: "هش.. كيف؟"

تنهد بصوت مسموع ولاحظت فى تنهيدته بعض التخفف بدرجة ملحوظة.

قال وهو يحدق فى عينى: "إنه يتعلق بكتاب قديم".

حاولت أن أتشبه بطبقة زجاجية نظرت الرضاء للمالك الكبير. قلت وأنا أبدو غير منشرحة:

- حسناً.. حسناً ما تفعل. سوف أحضره لك بمجرد أن يحضر ساعى البريد.

ثم أغلقت الباب فى وجهه.

وجهة النظر التى حكاها بيير آرتين هذا المساء حول المائدة, شكلت حالة امتنان خاص لسخط بوابته لأنه أظهر أمامها كتاباً قديماً وأنها بدون شك رأت شيئا ما من الصعوبة, لقد جعلنى هذا مبتهجة للغاية.

يعرف الله أياً منا عليه أن يتواضع أكثر من الآخر.

يوميات حركة العالم رقم (1)

البكاء بعمق فى ذاته دون أن يفقد المرء سرواله.

رائع أن يكون للمرء فكرة عميقة، لكننى أعتقد أن هذا لا يكفى. أخيراً، قررت أن أنتحر، وأن أشعل النيران فى البيت خلال بضعة أشهر، بالطبع لا أستطيع أن أزعم أن لديّ الوقت، يجب أن أمارس شيئاً ما من التماسك فى جلدى الذى يتعبنى، وخاصة أننى أوجدت نفسى فى تحد صغير: إذا انتحرت، يجب أن أكون واثقة فيما أفعل، لا يمكن أن أحرق الشقة. "من أجل بضع ثمار من الخوخ". إذن، إذا كان هناك شئ ما فى هذا العالم، الذى يساوى ألم الحياة، فلا يجب أن أسئ التنفيذ لأننا سوف نموت مرة واحدة. لقد تأخر الوقت على الندم، ولأنه الموت ولأننا نخدع، فالأمر بالغ الغباء.

إذن، عندى أفكارى العميقة، لكن برغم أفكارى العميقة، فإننى أعزف على ما أكونه وفى النهاية، فإن مفكراً (الذى يسخر من مفكرين آخرين)، ليس أبداً فخوراً، ولكنه مروح للنفس، فكرت أنه يجب مكافأة هذا الجانب "مجد الروح" بيوميات أخرى تتكلم عن الجسد، ولكن فأعظم الأعمال المادية، هى شئ ما متقمص، ملموس، وجميل، وعلم الجمال يدور حول الحب، والصداقة، وجمال الفن، لا أرى أشياء كبرى أخرى يمكنها أن تغذى الحياة الإنسانية، الحب والصداقة، أنا شابة صغيرة للغاية كى أزعم أننى أفهم جيداً، لكن الفن.. إذا كان يجب أن أعيش فإن هذا سيكون طوال حياتى. أخيراً، عندما أقول الفن.. يجب أن أفهم نفسى: أنا لا أتكلم عن أعظم أعمال الشوامخ حتى ولا فرمير، فأنا لا أتمسك بالحياة، إنها عظيمة لكنه الموت. لا، أنا افكر فى جمال العالم، فيما يمكن أن يرفعنا فى خضم الحياة، يوميات حركات العالم، ستتركز على تحركات البشر، والأجسام، والرؤية.

حقاً ليس هناك ما يقال عن الأشياء، نجد فيها شيئاً ما، جميلاً بشكل كاف كى تعطى للحياة قيمة المتعة، والجمال، والإيقاع، والقوة. إذا وجدت فيها، فإننى ربما سوف أعيد النظر فى الاختيارات. إذا وجدت حركة جسدها جميل، أو فى خطأ فكرة روحية جميلة، ربما سوف أفكر أن الحياة تستحق أن نعيشها.

لديّ هذه الفكرة حول يوميات مزدوجة، واحدة للروح والأخرى للجسد، بالأمس كان أبى يشاهد مباراة فى الرجبى فى التليفزيون، حتى الآن فى مثل هذه الحالة،

أنظر إلى أبى، أحب النظر إليه عندما يشمر أكمام قميصه، يخلع حذاءه، وعندما يستلقى فوق الأريكة، أمام زجاجة بيرة وسجق، يشاهد المباراة، ويهتف: أنظر إلى الرجل الذى أعرفه أيضاً، لا تنتابه بشكل ظاهر صورة الرجل التافه فى روح جهاز الاستريو (الجاد السيد وزير الجمهورية)، وآخر (شاب طيب محب للبيرة الطازجة)، وهذا يجعل الاستريو قوة 2، باختصار، يوم السبت، عاد أبى مبكراً كالعادة، ورمى الفوطة بشكل مفاجئ، خلع الحذاء، وشمر أكمامه، وتناول البيرة فى المطبخ، ثم تمدد أمام التليفزيون، وهو يقول لى "يا عزيزتى، هاتى له سجقاً من فضلك، لا أريد أن يفوتنى الهاكا"، وحتى لا يفوته الهاكا، كان لدي الوقت أن أقطع شرائح السجق وأحضرها له، كانت هناك فقرة إعلانات، جلست أمى فى اتزان فوق ذراع أريكة، وقد كشفت بوضعها عن معارضتها للأمر، (فى أسرة ذات وتيرة واحدة أسأل الضفدعة اليسارية المفكرة)، أرهقت إلى بقصة عشاء معقدة حيث سأل عن دعوة زوجين غاضبين كى يصالحهما، وعندما تعرف البعد النفسى لأمى. فإن المشروع الذى نسخر منه، باختصار، لقد أعطيت السجق إلى أبى، ولأننى أعرف أن كولومب فى غرفتها تسمع الموسيقى الطليعية حسيا من المحطة الخامسة. تساءلت: بعد كل هذا، لم لا، لنؤلف قصيدة هاكا صغيرة، فى ذاكرتى، فإن الهاكا هى نوع من الرقص الساخر، يؤديها الفريق النيوزيلندى قبل المباراة كنوع من التهديد بطريقة العلامات الكبرى. وفى ذكرياتى أيضاً فإن الرجبى هى لعبة ثقيلة، فيها شباب يرتمون فوق العشب دون توقف، ثم يقومون كى يسقطوا ويتراكمون على مسافة ثلاث خطوات.

توقفت الإعلانات، وبعد عرض شامل ملئ بقوة التمرغ فوق العشب، سمعنا فى الاستاد صوت معلقين، ثم خطبة كبرى للمعلقين "عبيد يخنة الفاصوليا"، ثم عودة إلى الملعب، دخل اللاعبون أرض الملعب، هنا بدأت فى النباح، لم أفهم أولاً، إنها الصورة نفسها المعتادة، ترك هذا فىَ أثراً جديداً، نوعاً من التثميل، انتظار نوع من "أمسك نفسى"، وبجانبى راح أبى يتجرع، أول كوب بيرة وبدأ يستعد لاستحضار أصول الغال التى تسكنه وهو يسأل أمى التى التصقت بذراع أريكته وتحضر له واحدة. أما أنا فاستعدت أنفاسى "ماذا يحدث"؟ تساءلت وأنا أنظر إلى الشاشة، ولم أتمكن من معرفة ما أراه، إنه يوخزنى.

فهمت، عندما بدأ اللاعبون النيوزيلنديون لعبة الهاكا، فيما بينهم، كان هناك لاعب طويل ماورى، شاب صغير، تعلقت به عيناى منذ البداية. بالطبع بسبب قامته الطويلة ثم فيما بعد بسبب طريقته فى التحرك. نوع من الحركة البالغة الجدية. إنه شديد

الاندفاع، لكنه متحكم، أعنى أنه يتحكم فى نفسه. أغلب الناس الذين يتحركون يفعلون ذلك وهم يوظفون كل ما حولهم. فى هذه اللحظة عندما أكتب، هناك قطتى كونستيتبوتمر وبطنها تزحف فوق الأرض. هذه القطة ليس لديها أى مشروع مؤسس فى حياتها، لكنها تتجه نحو شئ ما، ربما مقعد فوتيه، ويمكن أن نرى هذا فى طريقتها فى التحرك: اتجهت نحوى قادمة من اتجاه باب الدخول، خرجت محدثة حركة، لقد صارت الآن فى الخارج، نفس حركتها السابقة. لا أعرف كيف أشرح هذا، ولكن عندما نغادر أماكننا فى نوع ما من التخريب فى هذه الحركة: نحن هنا، وفى نفس الوقت فى الحديقة، التى تذهب إليها. إذا فهمت ما أريد قوله، كى توقف التخريب، يجب ألا تتحرك مطلقاً، فمهما تحركت فإنك فى الداخل، ومهما دخلت فإنك غير قادر على الحركة، لكن هذا اللاعب، هناك عندما لا أراه يدخل الملعب، أحس بشئ ما مختلف، الإحساس برؤيته يتحرك. نعم، لكن أن نظل هناك أحمق، أليس كذلك؟ عندا بدأت الهاكا، بدأت أنظر اليها فقط، من الواضح أنها ليست مثل الألعاب الأخرى، من ناحية أخرى، فإن يخنة الفاصوليا رقم واحد قال: "فى سمو" النيوزيلندى المرعب. نحن نحس دائماً وكثيراً بقامته العملاقة. متران صفر سبعة، مائة وثمانية عشر كيلو، واحدى عشرة ثانية فى مائة متر، شاب جميل، نعم، يا سيدى!.. كل الناس مبهورة به لكن لا يبدو أن أحداً يعرف لماذا. ومع ذلك فقد صار فعالاً فى الهاكا. إنه يتحرك، ويقوم بعمل الحركات نفسها أكثر من الآخرين، يضرب راحة يده على ساقيه، ويدق الأرض بقوة منتظمة ويلمس الكيعان. وهو ينظر بعينيه إلى خصمه فى الهواء يبدو محارباً عصبياً، ولكن، لتذهب كل حركات الآخرين نحو الهدف، وينظر إليه الاستاد بأجمعه، تبقى حركات هذا اللاعب نقطة ارتكاز، ويعطيه هذا حضوراً، وقوة لا يصدقها أحد.

وفجأة، فإن الهاكا، وهى أغنية المحارب، تستبد بقوته، إنها قوة جندى، ليست الطاقة التى يقدر بها أن يقهر الآخر وهى ترسل له كل هذا الكم من الإشارات، إنها القوة التى يقدر أن يركزها فى داخله. إنه يركز على نفسه. اللاعب الماورى صار شجرة كستناء كبيرة ثابتة لها جذور عميقة. إشعاعات قوية، يحس بها كل الناس، ورغم ذلك فإن لديه اليقين أكثر من القوى الكبرى. يمكنه أن يطير وأن ينطلق أسرع من الريح، رغم، أو بفضل، جذوره القوية.

فجأة، شاهدت المباراة باهتمام وأنا أبحث دوماً عن الشئ نفسه: لحظات ملتحمة حيث يصبح اللاعب حركته الخاصة ليكون فى حاجة إلى اتساع، وهو يتجه نحوه.

لقد رأيته! رأيته فى كافة أشكال اللعبة. فى تلاحمها, وبنقطة اتزان تامة. لاعب يجد كافة جذوره. ويصبح هلباً صغيراً صلباً يعطى قوته للفريق, فى واجهة الانتشار مع لاعب يجد السرعة المناسبة. وهو يتوقف عن التفكير فى الهدف. ويركز فى حركته الدؤوبة, ثم يجرى فى حالة من النشوة, تلتصق الكرة بجسده, فى هتاف مرعب بتقاطع مع بقية العالم كى يؤدى الحركة المثالية للقدم, لكن لا أحد يصل إلى كفاءة لاعب الماورى الكبير. عندما لاحظ أبى المحاولة الأولى للاعب النيوزيلندى, بدا مندهشاً. الفم فاغر, وقد نسى مشروبه, كان عليه أن يتضايق لأنه يساند الفريق الفرنسى، ولكن بدلاً من ذلك, قال "يا له من لاعب" وهو يمرر بيده على جبهته. كان لدى المعلقين من الأبواق الخشبية، لكنهم غير قادرين على إخفاء أن ما رأوه هو شئ جميل، لاعب يجرى دون أن يتحرك تاركاً الجميع خلفه, أما الآخرون فتبدو عليهم حركات هستيرية يائسة. إنهم غير قادرين على اللحاق به.

هنا تساءلت: هل هذا هو؟ كنت قادرة أن أردد, وسط عالم الحركات الساكنة, هل هذا هو؟ هل يساوى عناء الاستمرار؟ فى هذه اللحظة, فقد لاعب فرنسى سرواله فى جول، وفجأة أحسست بالإحباط التام لأن هذا جعله سخرية من الجميع لدرجة البكاء، ومن بينهم أبى الذى ارتشف قليلاً من البيرة, رغم قرنين من الاحتجاج الأسرى فقد كان لى الشعور بالتدنيس. لا, هذا لا يكفى. تلزمنا حركات أخرى من أجل أن أقتنع. لكن على الأقل, لقد أعطانى هذا الفكرة.

(2)

حروب ومستعمرات

لم أحصل على أى قدر من التعليم. قلت لنفسى وأنا فى مستهل هذه المناسبة. ليس الأمر صحيحاً بالمرة, لكن شبابى التعليمى توقف عند شهادات دراسية, قبلها تنبهت أنهم لم يعلمونى خوفاً من الوساوس التى أعرف أن السيد الخادم, المعلم قد لاحظ منذ أن اكتشفنى, متخلصاً بلهفة من صحيفته حيث لم يكن يتكلم سوى عن الحروب والمستعمرات, وكنت آنذاك لم أبلغ العاشرة بعد.

لماذا؟ لا أعرف, هل تؤمنون حقاً أنه كان بمقدورى؟ إنه سؤال من أجل عراف العام الماضى. لنقل أن فكرة ضربى فى عالم من المراهنات, أنا, ابنة لا شئ, بلا جمال أخاذ, دون ماض ولا طموح, دون لباقة أو وميض, لقد أتعبنى كل هذا حتى قبل أن أحاول, لم أكن أرغب فى شئ, سوى أن يتركونى فى حالى. دون تطلب منى. وأننى أستطيع أن أستريح بضع لحظات يومياً, من شهادة إشباع جوعى.

إلى من لا يعرف شهية الأكل, أول هجوم للجوع هو المعاناة والتنوير معا, كنت طفلة بليدة وصاحبة شبه عاهة, الظهر مقوس أبدو كأننى حدباء. ومن لا يثبت فى الوجود التجاهل أن هناك طريقاً آخر. غياب المذاق عندى ساقنى إلى العدم. لا أحد يكلمنى. لا أحد يوقظنى, قشة, ضعف يغوص فى موجات من الغموض. كنت أجهلها بنفسى حتى تنتابنى رغبة الانتهاء.

فى بيتنا، لم نكن نتحدث قط.. يصرخ الأطفال, أما الكبار فإن عليهم أن يتفرغوا إلى مهامهم, كأن عليهم أن يظلوا داخل وحدتهم. كنا نأكل عندما نشعر بالجوع, ورغم التقشف لم نكن أبداً نتعامل بشكل سئ, وملابس الفقراء التى نرتديها تبدو نظيفة رغم أنها مرتقة من النوع الذى يجعلنا نشعر بالخجل. لم نكن نعانى من البرد, ولكننا لم نكن نتكلم.

وضحت الرؤى عندما كنت فى الخامسة من عمرى, ذهبوا بى إلى المدرسة للمرة الأولى انتابنى خوف وفوجئت أن سمعت صوتاً يوجه إلى وينطق باسمى.

سأل الصوت بينما كنت أحسس بيد صديقة تمسك بيدى: "رينيه؟"

كانت تمطر, بينما تكدس الأطفال فى الممر.

تتغير دائماً لغة الصوت القادم من أعلى ولم تكف اليد الحانية من التربيت على ذراعى – لغة غير مفهومة – من الخفة وضغطات رقيقة.

رفعت رأسى, وفى حركة غريبة أصابتنى بنوع من الدوخة وقاطعت نظرتى.. رينيه.. كان الأمر يتعلق بى, فللمرة الأولى يوجه لى أحدهم الكلام ناطقاً اسمى, فى مثل هذا الأمر فإن أسرتى تستخدم إشارات أو دمدمات امرأة, أعتبرها حتى الآن ذات عينين وضاحتين وفم مبتسم, تخترق طريقها نحو قلبى, وهى تنطق اسمى, تدخل معى فى تقارب لم تكن تدرى آنذاك أى فكرة عنها.

نظرت حولى إلى عالم سرعان ما تحلى بالألوان, وفى ألم كالسهم, رأيت المطر الذى يسقط بالخارج, النوافذ يغسلها الماء, رائحة الملابس المبللة, وضيق الممر, مثل الأمعاء الدقيقة حيث ترن أصوات جموع الأطفال, والمعاطف ذوات الأزرار الجلدية حيث يتكدس المسافرون من المفارش الرديئة, وعلو السقف, ومسافة السماء فى عينى طفلة.

هنا, وقعت عيناى الحزينتان على عينيها, واعتليت نحو المرأة التى جاءت لتلدنى من جديد تكرر الصوت:

- رينيه, هل تريدين أن تخلعى قبعة البحارة التى ترتدينها؟

أمسكتنى بقوة حتى لا أقع وقامت بتجريدى من ملابسى بسرعة تنم عن تجارب طويلة.

نعتقد بقوة فى إيقاظ الوعى المنغلق بساعة ميلادنا الأولى, ربما لأننا لا نعرف كيف نتخيل الجانب الآخر من الحياة. يبدو لنا أننا نرى دائماً ونحس, وأننا أقوياء بهذا الإيمان, نحن نجد هويتنا فى القدوم للعالم فى لحظة مصيرية حين يولد الوعى. وطوال خمس سنوات, كانت هناك طفلة صغيرة تسمى رينيه, عملية بشكل آلى بسبب قوة البصر والسمع, والشم والتذوق واللمس. يمكنها أن تعيش داخل

اللاوعى الكامل لنفسها وللعالم, كذبة لهذه النظرية المبكرة، فالوعى يحتاج إلى اسم.

وحسبما تمشى الظروف السيئة, يبدو أنه لا شئ فكر فى أن يعطينى ذاتى, قالت لى المدرسة, وقد قررت ألا أكذب أبداً: "هاتان عينان جميلتان".

فى هذه اللحظة لمع جمالى, وانعكست معجزة ميلادى ولمعت مثل تجمعات النيران. بدأت أرتجف وبحثت فى عينيها عن مشاركة تربطنى كل الفرحة المشتركة, فى نظرتها الرقيقة والحنونة, لم أقرأ سوى الامتنان.

فى تلك الساعة التى ولدت فيها, راحت تعاملنى بشفقة فقط.

كنت محسوسة طالما أن جوعى لا يمكنه أن يتخفف فى لعبة التناقض الاجتماعى التى تجعله ظروفى غير مناسبة وفهمت هذا متأخراً, هذا العطف فى عينى منقذتى. لأننى عشت أبداً فى فقر تخترقه سكرة اللغة, أمارسها مع آخرين, وجدت ذلك فى الكتب, للمرة الأولى, ألمس واحداً منها, رأيت كبار الفصل ينظرون إليها خلسة، كانسلاخ بنفس القوة, وهم يغوصون فى الصمت, ينهكون فى الورقة الميتة, شيئا ما يبدو حياً.

تعلمت القراءة بعيداً عن الجميع. تلعثمت المدرسة وهى تردد الحروف للأطفال الآخرين الذين أعرفهم منذ وقت طويل, القوة التى تنسج العلامات المكتوبة والتدبيرات اللانهائية والأصوات الرائعة التى سلحتنى فى هذه الأماكن. اليوم الأول, عندما رددت اسمى, لم يكن أحد يعرفه, لقد قرأت كأننى مجبرة, مختبئة فى البداية, ثم فى الوقت العادى بدا لى الفهم شيئا متجاوزا, وعند الرؤية والعلم بكل شئ صرت معنية بإخفاء المتعة والمصلحة التى اكتسبتها. أصبحت الطفلة الواهنة والجائعة روحا. فى سن الثانية عشرة تركت المدرسة، وعملت فى المنزل فى الحقول المجاورة لمنزل أسرتى وإخوتى وشقيقاتى, ثم تزوجت فى سن السابعة عشرة.

(3)

الكانيش مثل طوطم

في التخيل التجميعي، كون الأزواج البوابين ثنائياً متوحداً يتمثل في كيانات تافهة تماما, عدا أن اتحادهم يكشفهم وهم يمتلكون كلبا (كانيش) مثلما يعرف كل شخص, فالكانيش هى أنواع من الكلاب المجعدة الشعر محبوسة فى ملامح خاصة, هن نساء وحيدات متعلقات بالماضى, بوابات عمارات يقبعن فى مساكنهن المعتمة. الكلاب يمكنها أن تكون سوداء أو مشمشية. المشمشى منها أكثر شراسة من الأسود. تبدو أقل جودة, تنبح كلاب الكانيش بفظاظة عند أول بادرة, لكن بشكل خاص عندما لا يمر أحد إلى جوارها. أنها تنبح سيدها, وهى تدخل بين أربعة أقدام دون أن تحرك باقى جذعها الصغير فى المكان. لديها عيون سوداء غائرة فى حدقات بلا معانى. الكانيش كلاب قبيحة وغبية, خانعة ومتبجحة, هذه هى الكانيش.

وهكذا الأزواج البوابون, ممسوخون من كلابهم الطوطمية, تبدو مخصصة لمشاعرها بالحب والرغبة, مثل الطوطم نفسه الذى يجب أن يظل دميماً حيواناً, ممتثلا ومتعجرفا فى بعض الروايات.. يتخذهم الأمراء كعمال, والأميرات يحكمن عليهن بالأشغال الشاقة. هن لا ينتجن قط, بين بواب وبواب آخر, حتى من جنس متعارض, رومانسية مثل التى تحدث للآخر والتى تستحق أن تُحكى فى كل مكان.

ليس فقط لأننا لم نملك كانيش, لكن أعتقد أننى أستطيع أن أقول أن زواجنا كان ناجحاً. مع زوجى مارست ذاتى من خلال الحنين الذى مارسته فى صباحات الآحاد الصغيرة. هذه الصباحات المباركة كانت ممتعة, عندما يكون المطبخ صامتاً يشرب هو قهوته بينما أقرأ.

تزوجته فى سن السابعة عشر, بعد علاقة سريعة لكنها صحيحة, كان يعمل فى المصنع مثل إخوتى الكبار, وكان يتردد أحياناً فى المساء عليهم لشرب القهوة. كنت دميمة, ومع ذلك, لم يكن للأمر أهمية فى القرار إذا كنت دميمة على طريقة الآخرين، لكن دمامتى كانت من الفظاظة التى لا تخص أحداً سواى، والتى تجعلنى متألقة, أكثر مما كنت عليه كامرأة. كانت دمامتى تجعلنى أبدو كأننى فى الخامسة عشر أو فى الخمسين. كان ظهرى مقوساً وقامتى كثيفة.. ساقاى قصيران, وقدماى

متباعدتان, وشعر جسدى غير مقصوص, وملامحى المبهمة دون محددات أو أناقة, مما أعفانى من جمال السحر الذى تملكه الشابات, لكن بدلاً من ذلك أحسست فى سن العشرين بأننى امرأة مثيرة للسخرية.

وهكذا، فعندما تتحدد نوايا زوج المستقبل, وأنه يبدو ما بإمكانه أن أتجاهله. انفتحت عليه, أتكلم للمرة الأولى بصراحة إلى شخص آخر عداى. وأنا أبوح له بدهشتى بفكرة أنه يمكنه الاقتران بى.

كنت مخلصة, كنت منذ وقت طويل قد آلفت بشكل نظرى حياة الوحدة. أن أكون فقيرة, دميمة, علاوة على أننى ذكية, محكوم على فى مجتمعاتنا, فى مناطق مظلمة, ومنكشفة, من الأفضل أن نعتاد فى وقت مبكر على الجمال, يمكن أن نعذر كل شئ, خاصة الدمامة, لم يبد الذكاء عدلاً متوازناً للأشياء. مثل عدم توازن الطبيعة التى تقدم تفضيلا أقل للأطفال. لكن اللعبة التى تهز قيمة الحلية, إن القبح دائماً مذنب, لقد عانيت بهذا المصير المأساوى الكثير من الألم لأننى لم أكن غبية. أجابنى بكل جدية يمتلكها, وهو منهمك فى هذا المقطع الطويل كاشفاً كل الخصوبة التى لم يمارسها أبداً فيما بعد:

- رينيه. رينيه, لا أريد امرأة واحدة من هؤلاء العباقرة اللاتى يمارسن الفسوق الأكبر. وأسفل وجوههن الجميلة. ليست لديهن سوى مخيخ عصفور. أريد امرأة مخلصة. زوجة طيبة وأماً طيبة, وسيدة بيت مناسبة, أريد صحبة سهلة واثقة فى الوقوف بجانبى وتتبعنى فى هدوء البيت وحنان اللحظة, لست شريراً وسأبذل ما بوسعى.

ثم فعل..

قصير, ونحيف مثل جذور شجرة النبق, لديه وجه رائع وابتسامة ساحرة, لم يشرب قط ولم يدخن, ولا يتظاهر, ولا يتراهن. فى المنزل - بعد العمل - يشاهد التليفزيون, ويتصفح مجلات الصيد, أو يلعب الكوتشينة مع أصدقاء المصنع, اجتماعى بقوة, يدعو الناس إليه بسهولة, وفى يوم الأحد يذهب للصيد, أما أنا فإننى أتولى أمور المنزل لأنه يعارض ما أفعله عند الآخرين.

لم يكن يفتقد الذكاء, رغم أن الذكاء ليس من النوع الذى يمارسه, إنه ذكاء

اجتماعى يسمو به إذ كانت مهاراته تتحدد فى الأعمال اليدوية, هناك تظهر موهبة لا تبدو إلا فى الاستعدادات القوية, ورغم الجهل كل شئ يتم بشكل كريم, فى عمل تافه مثلما تتميز مهارة الفنانين, وفى الأحاديث يتعلم أن المعرفة ليست كل شئ..

- يبدو لى أن التسامح الذى وهبته لى السموات قد تبدى بين يدى زوجة شريكة بطريقة رائعة. ليست من أجل عمل فكرة, ولا على الأقل أمراً ماكراً.

كان يمكن أن أقع فوق واحد من أسرة جرلييه.

برنار جرلييه هو واحد من الكيانات النادرة فى 7 شارع لاجرنيل, أمامه لا أخشى أن أخون نفسى, وكم قلت له أن الحرب والسلام هى رؤية محددة للتاريخ, أو تأكيداً جيداً ان تشحيم المفاصل لحفظ القمامة, لا يعير لهذا أى حس, ولا أى بادرة. أتساءل بنفسى كيف يمكن أن نمارس ما لا نفهمه؟ بلا شك, فهذا النوع من المواقف لا يتطلب الغايات العقلية ومثل هذه المنبهات التى تدور فى حلقة من النخاع الشوكى تشن الانعكاس دون أن تغوى أو تجذبه المخ, الإيعاز الذى يسبب التشحيم ليس ربما سوى جذب أمى تسبب ارتجاج الأعضاء دون أن يتدخل فيها العقل.

برنار جرلييه هو زوج فيوليت جرلييه, عمدة "آل ارتين" دخلت منذ ثلاثين عاماً فى خدمتهم كخادمة بسيطة تفعل كل شئ, ثم أخذت تترقى بشكل عادى, وهم يقومون باثرائها, وصارت "عميدة" تسيطر على مملكة ساخرة تتمثل فى شخصيات مثل الوصيفة "مانويلا" كبيرة الخدم بالصدفة "انجليزية" ورجل العمل "زوجها", كانت تكن لهذه الأسرة الصغيرة نفس الازدراء, وكأنها من عائلة برجوازية من الأسياد, وفى كل يوم, وأثناء ما هى تثرثر مثل العصفور "كندش" فإنها تنهمك فى كل الاتجاهات, وتبدو مهمة تعاقب كافة الخدم, وكأنها فى قصر "سافى" فى الأيام الخوالى, وترهق مانويلا من نقاشات متبجحة حول حب العمل الجيد, والتحليل بطرق مثالية.

قالت لى مانويلا ذات يوم: أنها لم تقرأ ماركس.. صدمنى هذا التقرير, حول خادمة برتغالية, غرقت فى دراسة الفلسفة, أثر بنفسى الامر, فيوليت جرلييه لم تقرأ ماركس بالتأكيد, بدافع انه غير موجود فى أى قائمة من مواد النظافة لتلميع الاشياء الثرية, ومقابل هذه الفجوة, فقد ورثت من مجلة مرجعية ومزيفة بكتالوجات لا

تنتهي تتكلم عن النشادر وممسحة من الكتان

كنت آنذاك زوجة سعيدة، رغم كل ذلك فإنني بحت لزوجي بأخطائي الكبرى، على وجه السرعة.

فكرة عميقة رقم 2

هذا القط الذي هنا

هذا الطوطم المعاصر

والمزدان أحياناً

هذا هو الحال في منزلنا. إذا أردت أن تفهم أسرتنا، يكفي أن تنظر إلى القطط. قطان كبيران مدللان على أحسن ما يكون التدليل، ليست لديهما أي تفاعل مهم مع الأشخاص. إنهما ينسحبان من أريكة إلى أخرى، تاركين الزغب في كل مكان. ولا أحد يبدو أنه فهم أنهما ليس لديهما أقل قدر من العاطفة تجاه كل منهما للآخر. الفائدة الوحيدة للقطين أنهما يمثلان ديكوراً متحركاً، ومفهوماً أجده مهما من الناحية الفكرية، لكن لكل من قطينا بطن تنثني كثيراً وتنطبق كل منها على صاحبها.

قرأت أمي كل أعمال بلزاك، وتسمع فلوبير عند كل عشاء، تشير كل يوم إلى أي شخص مؤكدة أن التثقيف هو حالة من الزيف المستشيط، يكفي أن تنظر إليها مع القطين. إنها واعية بقوة لهذا المظهر الشكلي، لكنها تعاند رغم ذلك تتكلم إليهما، كأنهما شخصان يبدو أن الأطفال يعتقدون - حتى سن متقدمة - أن كل ما يتحرك لديه روح، وأن ذلك يعود إلى الكوامن. لم تكن أمي سوى طفلة ترى الحياة في مصباح، أو تمثال روماني قديم أن تعتبر أن القط كونستنتيو والقط بولمان ليسا سوى فهماً أكثر للمصباح، أسلم أن الاختلاف بين المصباح وبينهما يتمثل في أن القط يمكنه أن يحس بالمتعة والألم. لكن هذا لا يعني أيضاً أن هناك الكثير من القابلية في الاتصال مع الإنسان، أبداً. يجب أن يحثنا هذا أن نأخذ حذرنا العام. مثل مع شئ سهل الكسر للغاية، عندما أسمع أمي تقول "كونستنيو هو قط صغير بالغ الكبرياء، وشديد الحساسية" فإن القط يبدو قابعاً في أريكة بعد أن أكل كثيراً، يبعثني على الضحك، ولكن إذا فكرنا في الافتراضية التي بها تكون للقط وظيفة أنه طوطم حديث، فإن نوعاً من التقمص المرتبط بالشعار وحماية البيئة ينعكس بكل سعادة على أفراد البيت، يصبح هذا فعالاً، فأمي تفعل بالقطط ما تريد أكثر منا، وأكثر مما لم تكن أبداً، ليس هناك أقل كبرياء وحسية من ثلاثة أفراد فيما يسمى بعائلة جوس: أبي، وأمي،

وكولومب, إنهم ضعفاء تماما ومخدرون, ويخلون من المشاعر.

باختصار, أفكر أن القط هو طوطم عصري. لقد قلنا ذلك, ومارسنا أحاديثاً طويلة حول التطور والتحضر. وكم من الكلمات تبدأ بـ "ت", فالإنسان لم يتقدم كثيراً منذ بداياته, كان يؤمن دائماً أنه ليست هناك سوى المصادفة, وأن أرباباً عظاماً يسهرون من أجل راحته ومصيره.

(4)

رفض المعركة

كم قرأت من الكتب.. ورغم ذلك - مثل كل ثقافة ذاتية - فأنا لست واثقة دوما فيما لم أفهمه فيها, يبدو لى ذات يوم يقبل بنظرة واحدة شمولية المعرفة, مثل التفرعات الخفية التى تولد فجأة, وتنسج فيما بينها كل النصوص المتناثرة، ثم وبشكل وقح, فإن المعنى يختفى ويهرب منى الإحساس وأعود لقراءة نفس السطور, وتهرب منى فى كل مرة أكثر, بينما أحس أننى امرأة عجوز مجنونة, تؤمن أن معدتها ممتلئة تقرأ قائمة الطعام بعناية, يبدو أن تصريف هذا الاستعداد وهذا العمى هو العلامة المخصصة للتثقيف الذاتى, باختصار موضوع الأدلة المؤكدة التى لها كافة الأشكال الجيدة الملحوظة, وهى على الأقل قربان حرية, ولمفهوم فى الفكر حيث تطرح الأحاديث الرسمية, تضع الفواصل وتمنع المغامرة.

هذا الصباح, تماسكت, حائرة فى المطبخ, كتاب صغير موضوع أمامى.

كنت فى أحد هذه اللحظات, حيث أن جنون مشروعى الوحيد يمسك بى, وبإصبعين من التخلى, خشيت أن أجد سيدى أخيراً.

من يكون اسم هوسرل, اسم لا نطلقه قط على الحيوانات الأليفة, أو على أنواع الشكولاتة, بدافع أنه يثير الإحساس بالجدية, والتجهم والحركة البروسية, ولكن هذا لم يبعث العزاء فى نفسى, اعتبرت أن مصيرى قد علمنى, أفضل من أى شئ, مقاومة كل المبالغات السلبية للفكر العالمى, سوف أقول لك حتى الآن, تخيلت أنه بدافع قبح الشيخوخة أو الترمل وعملى كبوابة, فإننى أصبحت شيئاً بائساً صرت فى أدنى الدرجات. وأن ما ينقصى هو الخيال, لقد تراجعت بالتأكيد, رافضة كافة المعارك ولكنه فى أمن روحى, فليس هناك هذا التحدى الذى لا أستطيع إظهاره, فقيرة فى الاسم والوضع والمظهر, وأنا فى مفهومى ربة جمال منهزمة.

وأيضاً أدمون هوسرل الذى تعاملت معه على أنه اسم لمصاصات بدون حقيبة, وأنه يهدد استمرار مسابقتى الأوليمبية الخاصة.

قلت وأنا أطلق تنهيدة: حسنا, حسنا, حسنا, حسنا لكل مشكلة حل, أليس كذلك؟ - ونظرت إلى القط, الذى يطارد شجاعته.

هذا الجاحد, لم يرد. جاء ليلتهم شريحة كبيرة من لحم الخنزير المفروم, ويتحرك بخيلاء ملحوظ ويحتل الفوتيه. كررت بشكل غبى فى حيرة: حسنا, حسنا, حسنا, حسنا.

وتأملت الكتاب الصغير السخيف مجدداً. "التحولات الديكارتية – مدخل إلى علم الظاهراتية", فهمت سريعا من عنوان الكتاب, وبقراءة الصفحات الأولى أنه ليس من المستحيل أن نبلغ هوسرل, فيلسوف الظاهراتية, الذى لم يقرأ ديكارت أو كانط, لكنه سرعان ما أدمن سيطرة ديكارت عليه, وإلا ما فتح أبواب مداخل الظاهرتية الاستعلائية.

خسارة لأننى بالنسبة لكانط مزرعة إعجاب, بالنسبة للأسباب المختلطة, فإن فكره هو مثال إعجازى للعبقرية, والقسوة والجنون, وأن بعض الفكر الرومانى أقرب إلى النثر. لم تكن لدىّ أى صعوبة فى أن أخترق المعنى, فنصوص كانط هى نصوص ثرية للغاية, وأريد فيها برهاناً حول الاستعداد للعبور نحو انتصار اختبار شجرة الجانركة.

يطرق اختبار الجانركة بالتجريد التام من السلاح, فهو يستمد قوته من مفهوم عالمى: وأنا أقضم الفاكهة يفهم الانسان أخيراً, ماذا أفهم؟ كل شئ, إنه يعى بطء النضج الإنسانى الذى كرس نفسه للبقاء على قيد الحياة, ثم يحدث ذات مساء فى نوايا المتعة, غرور كل الشهيات المزيفة التى تتحول من الجاذبية الأولى إلى فضائل الأشياء البسيطة والنهائية, لا جدوى من الأحاديث, البطء وعشوائية العالم المرعبة التى لا يمكن تجاوزها قط, وابتداءً من هذا, فإن اللذة الرائعة للمعانى تتواطأ فى تعليم المتعة للناس, وجمال الفن المدهش.

يتم اختيار شجرة الجانركة فى مطبخى فوق مائدة من الفرومايكا, وضعت الفاكهة والكتاب وكوّمت الأولى, وغصت فى الثانى, قاومت بشكل متبادل هجوماتهم القوية, إذا فشل الاختبار فى أن يجعلنى أشك فى النص وإذا أفسد النص الفاكهة, فإننى يجب أن أعرف أننى فى حضرة مشروع له أهميته, ولنقل استثناء طالما أن القليل من الأعمال لا نرى فيها سوى حلولاً سخيفة, ومسطحة فى الطعم

الغريب لكريات المثلجات الذهبية الصغيرة.

قلت إلى ليو: أنا بائسة, لأن مفاهيمى فى المادية, الكانطية أنها القليل من الأشياء عند النظر إلى هذه الفلسفة الظاهراتية.

لم يكن لدىَ أى بديل, يلزمنى أن أتجه إلى المكتبة, وأن أجرب العثور على مدخل الأشياء, فى الأمور العادية فإننى أتحدى هذا التفسير أو الشروح التى تضع النص فى بؤرة الفكرة المدرسية, لكن الموقف بالغ الجسامة الذى من أجله أجد نفسى فى حيرة حقيقية فإن الظاهراتية أفلتت منى, وهذا أمر لا يحتمل.

فكرة عميقة رقم 3

الأقوياء

فى النوع البشرى

لا يفعلون شيئاً

إنهم يتكلمون.

ثم يتكلمون

هذه فكرة عميقة بالنسبة لى، لكنها ولدت من فكرة أخرى عميقة، إنها دعوة من أبى على العشاء أمس، الذى قال: "من يعرفون كيف يفعلون، من لا يعرفون التوقيع، هؤلاء من لا يجيدون التعليم، يعلمون المعلمين الذين لا يجيدون التعليم.. صار المتعلمون يمارسون السياسة".

بدا للجميع أنه وجد هذا مهماً للغاية لكن لأسباب سيئة، قالت كولومب - وهى المتخصصة فى النقد الذاتى المزيف - "حقا"، إنها جزء من هؤلاء الذين يفكرون أن المعرفة تعنى السلطة.. وكم آسفت، حين عرفت أننى أمثل جزءاً من النخبة التى تفعل الخير بتصرف وتعجرف، فإننى أهرب من النقد، وأحصد مرتين الكثير من الهيبة الشخصية، أما أبى فإنه يغرق بشكل عام فى التفكير المماثل، رغم أنه أقل حماقة من أختى، هو يؤمن أيضاً أن هناك شيئاً ما يُسمى الواجب، ورغم أن هذا هو رأىَ خرافى: فهذا يحميه من وهن الجنون، ولهذا، فإنه يؤمن أيضاً وبكل قوة أن العالم لديه حس، ولأنه لم يصل إلى التخلى عن لغو الطفولة التى تتبنى الموقف المتاجر، فإن الحياة عاهرة، ولا أعتقد كثيراً فى شئ، ولسوف أستمتع بها حتى الغثيان، إنها العبارة البسيطة المعاكسة.. وهكذا أختى، التى تؤمن بأن تكون عادية، وتؤمن أيضاً ببابا نويل، ليس لأنها صاحبة قلب طيب، ولكن لأنها طفولية تماما فهى تضحك بسخرية وغباء عندما يطلق صديق أبى جملته الجميلة، فى المجال الذى أسيطر فيه على تنفيذ عمل ما. هذا يجعلنى واثقة فى ما أفكر فيه منذ وقت طويل، إن كولومب هى كارثة كاملة.

لكن أنا, أعتقد أن هذه الجملة هى فكرة حقيقية عميقة, فقط لأن هذا ليس حقيقياً, على كل حال فهو ليس حقيقياً تماما, لا يعنى هذا ما نؤمن به حول الرحيل, إذا تمت التربية فى ميراث اجتماعى حسب القصور المعرفى, فإننى أضمن لكم أن العالم كله لن يسير كما يحدث, لكن المشكلة ليست هكذا, مما يعنى أن هذه الجملة, ليست سوى أن قصورا موجودة تحت الشمس, وأن لا شيئ أكثر قسوة وظلما من الحقيقة الإنسانية, فالناس تعيش فى عالم توجد فيه الكلمات، وليست الأفعال صاحبة السلطات, حيث أنه فى قصوره المعرفى الأعلى تسيطر اللغة, وهذا شئ مرعب, لأنه فى الأساس نحن كائنات مبرمجة نأكل وننام, نمارس الإنتاج, ونغزو ونؤمن أرضنا, والأكثر إحساسا بأننا مدانون لهذا, الأكثر حيوانية فى كل هذا, أننا كيان من بين الآخرين. هؤلاء الذين يتكلمون جيداً وغير قادرين عن الدفاع عن حديقتهم, وإحضار أرنب للعشاء أو للإنجاب مباشرة, يعيش الناس فى عالم يحكمه الضعفاء, إنه أمر مرعب لطبيعتنا الحيوانية، نوع من الفساد, والتناقض العميق.

(5)

ظروف حزينة

بعد شهر من القراءة الهيستيرية, قررت التوقف بشكل مكثف عن الظاهراتية التى هى احتيال, وأيضاً بنفس الطريقة أن الكاتدرائية قد أيقظت دائما فى داخلى هذا الشعور الغريب من العماء الذى نجريه أمام التظاهر الذى يمكن للبشر أن يبنوا أمجادهم فى شئ ما غير موجود.. الظاهراتية التى تزعج إيمانى فى النظرية أكثر من أن الذكاء يمكنه أن يفيد فى تداخل لا جدوى منه, مثلما نحن فى شهر نوفمبر, ليس لدى من مشروب الجانركة فى الصباح, حالة مماثلة, أحد عشر شهرا فى السنة, كانت ألتهم الشيكولاتة السوداء (70%) ولكننى لا أعرف مقدماً نتيجة الاختبار, هل حاولت فى تلك المساحة الضيقة, وأنا أخبط بصوت عال على وركى، وأنا أقرأ فصلاً جيداً مثل "إفشاء المشاعر النهائية للعلم فى مجهود الحياة.. مثل ظاهرة الجدية, "حسناً" "إنها مشكلة المفاهيم الأنا الداخلية المتحولة", هل يمكن أن ننفجر ضاحكين, التدفق بملء القلب فى مراعٍ ممتلئة بالماء, ومن شراب الجانركة وخيوط الشيكولاتة المنسابة فى ملتقى الجسمين.

عندما نريد أن نحدد الظاهراتية يجب أن نكون واعين, أنها تلخص سؤالاً مزدوجاً: ما هى طبيعة الوعى الإنسانى, ماذا نعرف عن العالم؟

لنأخذ السؤال الأول: هؤلاء الآلاف الذين "اعرف نفسك بنفسك", فى "أنا أفكر إذن أنا موجود" لا تتوقف عن شرح هذه السخرية الدائمة للإنسان التى تعنى معنى الوعى الذى يستمده من وجوده الذاتى, وخاصة مقدرة هذا الوعى أن يأخذ فى ذاته لشئ, عندما يحتك هذا بشر ما, فالإنسان يحتك ويصبح وعيه فى حالة احتكاك, ويسأله: ماذا تفعل؟.. فيجيئه الجواب: أنا أحتك, ويدفع بعيدا عن البحث (هل أنت واع أنك فى وعى أنك تقوم باحتكاك نفسك؟), ويجيب أيضاً نعم, وبنفس الطريقة على كل "هل أنت واعى ماذا يمكن أن تضيفه. فهل الانسان أقل تحرقا, لأن يعرف أنه يحتك وأنه فى حالة وعى؟.. الوعى الانعكاسى هو لهيب بشكل نفعى فوق نظام الاحتكاك؟ لا لا, أبدا, يعرف هذا الاحتكاك وأن يكون واعيا للفعل الذى يعيه للمعرفة, لن يتغير أبدا بشكل حاد بقدر ما يحدث الاحتكاك, سباق إضافى, يجب

أن نطيل فترة الصفاء التى تستمر من هذا الوضع الحزين, وأراهن بعشرة أكواب من الجانركة أن هذا سوف يزيد المضايقات بالنسبة لقطى, فإن أى حركة من مخالبه الداخلية تسبب العدوى، ولكن يبدو للناس أنه غريب تماماً, الآن لا يوجد حيوان آخر لا يستطيع ذلك، ونحن نهرب من الحيوانية.. إن أحداً يمكنه أن يعرف ما يحدث فى حالة الاحتكاك, هذا الحضور للوعى الإنسانى يبدو مليئاً بالاحتجاجات لشئ ما مقدس, الذى ينبه داخلنا إلى جوهر بارد يخضع لكل الأشياء الطبيعية.

يبقى كل علم الظاهراتية فوق هذا اليقين، والعيون المنعكسة, دليلا على معرفتنا لعلم الكائنات, هو الجوهر الوحيد فى داخلنا الذى يجعلنا ندرسه لأنه فى داخلنا يحدد الأبعاد الخيوية. لا أحد يبدو واعيا للواقع, طالما أننا حيوانات خاصة للبرد المحدد لأشياء طبيعية.

(6)

فستان بال

إذن السؤال الثانى: "ماذا نعرف عن العالم؟"

هذا السؤال يجيب عليه فلاسفة المثالية مثل كانط.

بماذا يجيبون؟

يرددون: "ليس شيئاً كبيراً".

المثالية, هى الوضع الذى يعتبر أننا لا نستطيع أن نعرف ماذا يبدو فى وعينا, هذا الجوهر شبه المقدس ينقذنا من حيوانيتنا, نحن نعرف العالم الذى يمكن لوعينا أن يدركه حسبما يبدو لنا, وليس أكثر.

لنأخذ مثالاً بالمصادفة فإن قطا حنونا يسمى ليو, لماذا؟ لأننى أجد أن الأمر أكثر سهولة مع القط, أسألك: كيف يمكنك أن تكون واثقا أن الأمر يتعلق بقط, وأن تعرف أيضاً أن هذا قط؟ الإجابة الصحيحة تتكون قبل أن تطرح الواقع الماثل فى إدراكك للحيوان, مكملا لبعض الآليات المقصورة واللغوية, سوف تؤدى بك إلى أن تشكل هذه المعرفة, لكن الإجابة المثالية تتكون من استحالة أن هناك ما يجب معرفته إذا كنا نلاحظ, ونفهم قطا, إذا بدا هذا فى كيف يظهر القط فى وعينا, أو نتأكد ما هو القط فى أعماقه الخاصة, ربما قطى الذى أراه حاضراً, له أربعة أقدام وشارب مرتجف, وأرتب فى عقلى فى درج عليه تيكيت ملصق صغير "قط" هل هو حقا, وفى جوهرة زجاجة صمغ أخضر لا يطلق مواء, ولكن مشاعرى مشكلة بطريقة بحيث يبدو لى هذا, وأن النجاسة الكثيرة من الصمغ الأخضر تفسد ذوقى, ويقينى الساذج, يتمثل فى وعى حول مظهر حيوان أليف شره وناعم الملمس.

هذه مثالية كانط, نحن لا نعرف العالم إلا من "فكرة" تتشكل فى وعينا, ولكن توجد نظرية أكثر إحباطا من هذه. نظرية تفتح المناظر الأكثر رعبا من تلك التى تداعب دون أن تجعلنا نأخذ جهد اللعاب الأخضر فى الحسبان, أن نغوص فى الصباح

فى مغارة بثور مدهونة بزبدة نعتقدها مخصصة لتحميص الخبز.

توجد مثالية إدمون هوسرل التى تثيرنى أكثر من علامة رداء من قس تم إغراؤه بانشقاق مظلم فى كنيسة معمدانية.

فى هذه النظرية الأخيرة لا يوجد سوى مفهوم القط، والقط؟ حسنا إنه يمر، لا أحد فى حاجة إلى قط، وماذا تفعل به؟ أى قط، من ناحية أخرى فإن الفلسفة تستخدم الألفاظ فى تفسير فجور الروح الخالصة، العالم هو حقيقة من غير المجدي أن نحاول التعرف عليها، ماذا تعرف عن العالم؟ لا شئ، كل المعارف ليست سوى انبثاق للوعى التجميعى ذاته، يمكن أن نرسل العالم إلى الشيطان.

هذا هو علم الظاهراتية: "العلم الذى يبدو للوعى"، كيف يمر يوم عالم الظاهراتية؟ إنه يستيقظ، يعى للتصبن تحت الدش جسد وجوده، هو بدون عمق، يلتهم الزبد المعدمة، ويتسربل فى ملابسه التى تشبه الأقواس الخالية، ويتجه إلى مكتبه، وهو يمسك قطه.

ما نعنيه قليلا أن هذا القط موجود أم غير موجود وأنه جوهرة نفسه، أما غيره فلا يهمه أنه لا يقبل الجدل، وفى وعيه يبدو قطا، وهذا الظهور الذى يشغل إنساننا. ظهور يبقى معقدا، ما يمكن عند هذه النقطة أن تصف توظيف مفهوم ان الوعى بشئ وجوده فى ذاته مختلف هو أمر واضح للغاية.

هل تعرف أن وعينا لا يبدو فجأة، ولكن من تأثير سلسلة معقدة من الأمور المتراكبة التى تصل إلى الظهور فى أحاسيسنا لمختلف الأشياء، مثلا على سبيل المثال: قط، مكنسة، أو مضرب ذباب، ويعلم الله أنها مفيدة؟ تمارس النظر إلى قطك وأنت تسأل وكأنه منتج أنك تعرف كيف أصبح، خلفه، فوقه، أو أسفله، ما يمثله، لن تلاحظ الوجه، لقد أردت أن يكون وعيك متيقظا، دون أن تأخذه فى الاعتبار بشكل مضاعف عن قطك من كل الزوايا الممكنة، وينتهى هذا بألا تغادرك هذه الصورة المتكاملة لقطك فى منظورك الحالى قط. هذا يشبه مضرب الذباب، الذى لن تلحظه قط إلا عند الشعور أنه يمكنك أن تراه فى داخلك وروحك، وإنه معجزة، تعرف كيف تعيده وكيف سيبدو لك على الجانب الآخر.

سوف تقتنع أن هذه المعرفة بالغة الإفادة، لن تتخيل مانويلا وهى تستخدم

مضرب ذباب دون أن تعرف كيف تستخدمه بكافة السبل اللازمة لاحتياجاتها, من ناحية أخرى, لا يمكن أن تتخيل أنه لا يوجد ذباب فى شقق الأثرياء, لا ذباب, ولا هاموش, ولا روائح كريهة أو أسرار عائلية, عند الأثرياء, كل شئ نظيف, ناعم, صحى, وعليه فإن سطوة مضارب الذباب غير موجودة.

هذه هى الظاهراتية: حوار داخلى متفرد, بلا نهاية فى الوعى مع الذات, توحد نقى وقاس لا يهم أى قط بالمرة.

(7)

فى الجنوب المتحد

سألتنى مانويلا التى وصلت, لاهثة, من عند السيدة بروجلى التى جعلها العشاء الذى أعطته إياها هذا المساء مسلولة: ماذا تقرأين؟

لقد منحنى موزع البريد سبع علب كافيار بروسى, وهى تتنفس مثل دارك فادور "بطل فيلم حرب النجوم". قلت: "مختارات من الشعر الفلكلورى".. ثم أعدت إغلاق ملف هوسرل للأبد.

اليوم, مانويلا عالية المزاج, أراها جيدا, قامت ببشاشة بفك سلة طيور صغيرة مرصعة بالتيجان البيضاء, تم طهوها, جالسة, ناعمة, بشكل معتنى به مفرش الطبق فى يدها. وضعت الفناجين, وجلست بدورى وانتظرت, بدأت:

السيدة بروجلى لديها ظروف غير موفقة

قلت بأدب: آه. حسنا؟ (أكملت بشكل سيىء وكأن هذا الفشل قد سبب لها إهانة شخصية وعظمى): إنها لا تشم أبدا.

نحن نسند هذه المعلومات إلى قيمتها الحقيقية, أحسست بمتعة أن أتخيل برناديت دو بروجلى فى مطبخها, تائهة, مشتتة, ومتبخرة فوق كل ما هو مخالف استخلاص عصير الفطر والقواقع الصفراء وسط أمل ساخر مجنون, سوف تفوح رائحة شئ ما يمكنه غزو الغابة.

أكملت مانويلا: تبول نبتون فوق ساقى السيد سان تيمس, الحيوان المسكين يتعلق بها طوال ساعات, وعندما خرج السيد وتركه, لم تتمكن من الانتظار علها عند الباب على أسفل بنطلونه.

نبتون هو كلب الصيد الخاص بصاحب الدور الثالث يمين, الثانى والثالث هما فقط الدوران المقسمان إلى شقتين "من مائتى متر مربع لكل منهما", فى الأول يسكن آل

بروجلى، وفى الرابع آل آرتين، وفى الخامس آل جوس، وفى السادس أسرة بالليير، وفى الثانى هناك أسرة كلوريس وآل روزن، والثالث هناك آل سان نيس، وأسرة بدواز، ونبتون هو كلب آل براوز، وبشكل خاص الآنسة براوز التى تدرس فى الحقوق فى آساس وتنظم السباقات مع ملاك آخرين للعبة الكوكرز، التى تمارس القانون فى آساس.

أكن مشاعر رقيقة إلى نبتون نحن نتبادل "التقدير" كثيراً، بلا شك بفضل التقارب المولود من المشاعر التى تؤدى كل واحدة منها بسرعة إلى الآخر، أحس نبتون أننى أحبه، رغباته المتنوعة تبدو لى شفافة، تذوق العمل يرتبط بالواقع الذى يعيش فيه، أن يكون كلباً عندما تريد سيدته أن تجعله مهذباً، عندما يخرج فى الفناء، فى الطرقة، فى البداية، عليه التخلص من الجلد الوحشى، ينظر بكل اشتهاء إلى بركة المياه المعكرة التى تقبع هناك، تسحبه سيدته برباط جامد بعبودية، فيبدو كأنه معلق بخلفية قطار، دون المزيد من الاحتفالية يلعق بنفس الطريقة.. لاتينا السخيفة من أسرة موريس تسحب لسانها مثل داعرة وهى تزفر نحو الأمام، الرأس مملوءة بالتهيج العضوى، إنه شئ غريب بشكل خاص عند كلاب الصيد، عندما يكون مزاجهم طيباً، فإن الطريقة المترنحة التى يتقدمون بها، يقال أنه يرقد أسفل حوافره زنبرك صغير يدفعه إلى أعلى، لكن برقة، ودون اهتزاز مما يحرك أيضاً الحوافر والآذان، مثل محركات السفينة، كل الصيد أشبه بسفينة صغيرة، تمخر فوق الأرض الصلبة. وهو يجلب فى مشيته إحساس أنه كائن بحرى ملئ بالشهوة.

نبتون، أخيراً هو أكول ضخم مستعد لأى شئ من أجل الحصول على قطعة لفت، وكسرة خبز بائت.. عندما تمر سيدته أمام صندوق الزبالة فإنه يتحرك كالمجنون فى اتجاه الزبالة، وقد لعق لسانه وذيله المنطلق، أما ديان بادواز فإن هذا يعنى بالنسبة لها اليأس، فى هذه الروح المميزة. يبدو ان الكلب قد اضطر أن يكون مثل مقتنيات المجتمعات الراقية للسافانا، فى الاتجاه الجنوبى قبل الحرب، حيث لا يستطيع أن يجد زوجة إلا إذا تكاسل وتظاهر أنه بلا رغبة.

فى مكان كهذا، يمارس نبتون جوعه الأمريكى.

يوميات حركة العالم رقم 2
من بيكون من أجل كلب الصيد

فى العمارة, هناك كلبان من نوع الوايب Whippet , كلب آل موريس الذى يشبه هيكلاً عظمياً, ببقع الجلد البيج, وكلب صيد نبيذى يخص ديان بادواز, ابنة المحامى البالغة الارتجاف, شقراء فاقدة الشهية, ترى بوربرى متكتمة, هذا النوع من الكلاب يسمى أنيتا, وكلب الصيد يسمى نبتون, فقط فى حالة أنك لن تفهم فى أى نوع من المساكن أقيم, ليس لدينا كيكى أو آنيتا فى دارنا, حسنا بالأمس, فى القاعة, التقى الكلبان وكانت أمامى الفرصة أن أحضر حفل باليه مهما. مررت بالكلبين اللذين راحا يهزان المؤخرة, لم أكن أعرف أن نبتون يحس بالألم من مساواته بالآخر, لكن أنيتا عقد ذيله للخلف وبدا كأنه يهز باقة ورد فيها توجد عصارة ضخمة دامية.

لا, ما كان أكثر أهمية, هو الطراز البشرى لهذين الشخصين, لأنه فى المدينة, فإن الكلاب تتبع السيد, ورغم أن شخصاً لا يبدو أنه فهم واقعة أن يكون مربوطا من كلب بشكل تطوعى عليه أن يتنزه مرتين يومياً, مهما كانت تمطر, أو شديدة الرياح, أو تسقط الجليد, لقد اعتادت أن تكون نفسها, تلف الطوق حول الرقبة, باختصار, ديان بادواز وآن هيلين موريس على نفس المنوال طوال عشرين عاما, تتقابلان فى المدخل كل منهما تمسك بلجام, فى هذه الحالة يبدو كل شئ أشبه بغلطة لفظية! هما أيضاً مرتبكتان إذا كانت لديهما أشياء فى الأيدى, تتبادلان التحية, فهما لا تستطيعان فعل الشئ الوحيد الذى سيكون فعالاً فى هذه الحالة: التعرف على ما يدور من أجل القدرة على منعه, لكن لأنهما على قناعة أنهما تنزهان كلاب شعناء مميزة دون أى غريزة جنسية بديلة, وأنهما لا يمكنهما الصراخ لكلابهما للتوقف عن هز المؤخرة أو لعق الأعضاء.

هذا ما يحدث: تخرج ديان بادواز من المصعد مع نبتون, وآن هيلين موريس تنتظر أمامها مع آتينا, وهكذا تطلقن كلبيهما الواحد على الآخر, وبالطبع, ليس هذا أمرا سيئاً, يصيب الجنون نبتون, تخرج الجدة من المصعد وتجد كمامتها عند مؤخرة آتينا, لا يحدث هذا كل يوم, كولومب تبللنا منذ أعوام مع الكايروس, مصطلح يونانى يعنى بالتقريب "لحظة مناسبة" هذا الشئ مثلما كان نابليون يعرف كيف يتماسك

فإن أختى بالتأكيد متخصصة فى الاستراتيجية العسكرية, حسناً, فإن كايروس, هو هذه اللحظة, فرغم أننى أستطيع أن أقول إن نبتون, لديه "لحظته" المليئة أمام الكمامة, وهو ليس مراوغاً, فإنه يمارس تشرده بأسلوب تقليدى, فإنه يمتطيه: "يا إلهى.." كما تقول آن هيلين موريس وكأنها هى ضحية الإهانة "أوه. لا"!, كما تهتف ديان بادواز, وكأن العار قد وقع عليها, وأراهن أن ديان لا يهمها أن يصعد كلبها إلى مؤخرة آتينا, وتبدأ كل منهما فى نفس الوقت بسحب كلبها من أطراف الكلبات, لكن هناك مشكلة واحدة, أن هذا يكسب المكان حركة مدهشة.

فى الحقيقة, فإن ديان عليها أن تنسحب إلى أعلى, والثانية إلى أسفل, وقد انفصل الكلبان, لكن بدلا من هذا فإنهما تغادران جانبياً, ولأن المكان أمام المصعد, فإنهما تصلان إلى طريق مسدود, إحداهما أمام باب المصعد, والثانية عند الحائط الأيسر, وفجأة يبدو نبتون غير ثابت عند أول جذبة, يستعيد نفساً جديداً, ويرتب نفسه كأجمل ما يكون أمام آتينا التى تدور عيناها وهى تنبح, فى هذه اللحظة تغير الآدميتان الاستراتيجية وكل منهما تحاول أن تسحب كلبها نحو مكان أكثر اتساعاً كى يمكن عمل مناورة أكثر روعة. وبكل عنف, تصرخان معا "يا إلهى يا إلهى", وهما تسحبان الكلبات كأن فضيلة كل منهما تغتصب, لكن فى سرعة تترك ديان بادواز بخفة هذه الحركة المدهشة: يبرز الوتد الملتوى نحو الأمام وفى نفس الوقت, فإن الجسد ينتصب فى الاتجاه نفسه, عدا ذيلها الحصانى الذى يصبح جزءا من الآخر.

أؤكد لكم أن هذا أمر رائع, يقال إن هذا كلب من نوع بيكون, هذا يؤكد أن هناك بيكون موضوع فى مكان فى دورة المياه, لأسرتى مع شخص فى دورة المياه, فقط, على طريقة بيكون, ماذا, نوع معذب وليس شهياً. أفكر دوما أن هذا ربما يترك أثره على صفاء الأحداث, لكن حسنا, هنا, كل العالم هو دورات مياه, إذن فأنا لم أشك قط, لكن عندما تفككت مفاصل ديان بادواز بشكل كامل وهى تستخدم ذراعيها ورأسها ذات الزوايا الغريبة, ذلك الجسد المتوج بذيل الحصان بشكل أفقى, جعلنى أفكر بسرعة فى بيكون. أثناء لحظة قصيرة جداً, بدت مية بديعة مفككة, مما ترك نشازاً جسمانيا ضخماً, وأثناء بضعة أجزاء من الثانية, لأن هذا حدث بسرعة جداً, لكن لأننى منتبهة الآن إلى حركات الأجسام, مقدرة كيف تتباطئ ديان بادواز تجمعت فى شخصية بيكون, من هناك لتخبرنى أن هذا الشخص فى دورة المياه, طوال كل هذه السنوات فقط من أجل أن تسمح لى أن أدرك هذه الحركة الغريبة, وبعد خطوة واحدة, سقطت ديان على الكلبين, بينما انطلقت آتينا, وهى تحطم

الأرض، نحو نبتون الذى يبعدها بآلية صغيرة، أرادت آن - هيلين أن تحمل ديان، وهى تمسك كلبها على مسافة من وحش داعر، بدا نبتون، غير عابئ تماماً بصراخات الأم سيدته التى ظلت تجره فى اتجاه العصا الوردية، لكن فى هذه اللحظة، خرجت السيدة ميشيل من مسكنها، بينما أمسكت الكلب نبتون، وأخذته بعيداً.

أصابت المسكين خيبة أمل، من ناحية جلس وبدأ فى لعق نفسه وهو يلهث كثيراً، مما أضاف يأساً إلى المسكينة ديان، نادت ميشيل على الكلب السامو، لأن وتده بدأ فى التجمع على شكل بطيخة ثم صحبت نبتون إلى دارها بينما ظلت آن - هيلين موريس مع ديان، أما أنا فعدت إلى مسكنى وأنا أقول لنفسى: حسنا، إنه بيكون حقيقى، هل يساوى ما يعانيه من الألم؟.. قررت "لا" لأن نبتون لن ينال قدراً من التدليل، بل ما هو أكثر من هذا، فهو لم ينل نزهته.

(8)
نبى الصفوة الحديثة

فى هذا الصباح، وأنا أسمع راديو فرانس أنتير، فوجئت باكتشاف أننى لم أكن من كنت أعتقدها، كنت أتصور أننى أنتمى إلى وضعى فى التثقيف الذاتى، بروليتاريا لأسباب تتعلق بصفوتى الثقافية لوجودى الذى يمكن أن يكون مطلقا فى ممارسة القراءة، ومشاهدة الأفلام وسماع الموسيقى، لكن هذا الهوس فى استيعاب الأشياء الثقافية بدا لى كأننى أعانى من خطأ التذوق الأكبر، وهو الخليط القبيح بين الأعمال العظيمة وأعمال أقل قيمة بكثير.

هذا بلا شك فى مجال القراءة التى كانت صفوتى هى الأقل قيمة، رغم تنوع المصالح البالغ التطرف، لقد قرأت كتب التاريخ، والفلسفة، والاقتصاد السياسى، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، وعلم أصول التربية، والتحليل النفسى، وبالتأكيد وقبل كل ذلك الأدب، الأوائل أثارت اهتمامى، أما الأدب فهو كل حياتى، قطى ليو سمى هذا بسبب تولستوى، القط الأسبق عليه كان يسمى كارنينا، بسبب "آنا"، ولم أكن أناديه إلا بكاريه، خشية ألا ينزعوا عنى قناعى، هورمى خانته ستاندال، توجه ذوقى بشكل محدد إلى روسيا قبل عام 1910، لقد تخلصت بجزء بالغ الثراء من الأدب العالمى الذى يأخذ فى الحسبان أننى ابنة الريف حيث آمال المهنة، قد تم تجاوزها ووصلت إلى البوابة فى 7 شارع جرنيل، مما يجعلنا نستطيع أن نعتقد أن بعض المصائر مخصصة إلى العبادة الأبدية لباريرا كارتلاند.

كانت لديّ نظرة مذنبة بالنسبة للروايات البوليسية، لكننى أمسكت بهؤلاء الذين قرأتهم فى أسمى درجات الأدب، كان من الصعب علىّ بشكل عام، فى بعض الأيام، أن أقتلع نصوص كوننلى، أو ماتكل، كى أرد على جرس برنار جرلييه أو سابين باللير، حيث أن انشغالى ليست متوافقا مع أوقات هارى بوش، الشرطي الذى يهوى موسيقى الجاز، خاصة عندما يسألنى: "لماذا تنبعث روائح عفنة دائماً فى الفناء؟"

ولأن برنار جرليه هو الوريث لأسرة قديمة بنكية يمكنها أن تهتم بنفس الأشياء المبتذلة، ويجهلون تباعاً استخدام الضمير الشخصى ما قبل الفعل فى صيغة الاستفهام التى تتطلب أن تلقى على الإنسانية ضياءً جديدا.

فى العروض السينمائية، على العكس، فإن اصطفائى ينشرح، أحب أفلام المغامرات الأمريكية، وأفلام سينما المخرج، فى الواقع لقد استهلكت بشكل مفضل، سينما التحذير الأمريكية أو الإنجليزية باستثناء بعض الأعمال الجادة التى أعتبرها فى عينى جمالية، العين عاطفية وحساسة ليست لديها معاشرة سوى مع التحذير، مثل أعمال جرينوى التى تثير فى داخلى إعجابا وأهمية وتثاؤبا، بينما أبكى مثل حلوى إسفنجية فى كل مرة، التى فيها تصعد ميلى وامى سلم بطلر بعد وفاة ابنته بونى بلو فى "ذهب مع الريح" أو آرى "الشفرة المنزلقة" باعتباره أفضل الأفلام حول انحراف فى سلم الأنغام، ولفترة طويلة كنت أعتبر نفسى - كشخصية قدرية - أن الفن السابع جميل، قوى، ومخدر، وأن سينما التحذير تافهة، وغير ممتعة، وتقلب الأوضاع.

خذ على سبيل المثال، اليوم، فإننى أخصب صبرى بفكرة أننى أقدمها إلى نفسى، إنها ثمرة من نسخ مريضة، إشباع طويل يؤجل الرغبة فى رؤية فيلم رأيته لأول مرة فى عيد الميلاد عام 1989.

(9)

أكتوبر أحمر

فى عيد الميلاد عام 1989, كان لوسيان مريضا, لم نكن نعرف أن الموت سوف يحل علينا, كنا قد ارتبطنا بيقين وجوده, ارتبطنا بأنفسنا, كل واحد مرتبط بالآخر. يجمعنا رباط خفى, وعندما دخل المرض فى حجره, تسلل داخل جسد ونسج بين القلوب نسيجا قائما أذل الأمل فينا, مثل خيط رفيع يلف حول مشاريعنا وأنفاسنا, فالمرض راح يلتهم حياتنا, يوما بعد يوم عندما عدت من الخارج, أحسست أننى أدخل كهفا, وأننى بردانة طيلة الوقت, برد لا يتحقق مهما كان, فى الأيام الأخيرة, عندما نمت إلى جوار لوسيان, بدا لى أن جسده يشع كل حرارتى التى أشعها فى كل مكان.

بدأت علامات المرض فى ربيع 1988, واستفحل طوال سبعة عشر شهرا, حتى بلغنا أمسية عيد الميلاد, قام بعمل لصالح العجوز السيدة موريس, قريبا من مسكنها فى الفندق, نقلوه إلى مسكنى, وقد أحيط بالزهور, يلفه بشريط ليست عليه أى علامة, جاءت وحدها لحضور مراسيم العزاء, إنها امرأة حادة, باردة, وقوية لكنه كانت لها طريقتها الحادة, وبعض الدهشة, فى شئ من الإخلاص, وعندما ماتت - بعد عام من رحيل لوسيان - فكرت فى أنها كانت امرأة خيرة, وأننى افتقدتها رغم أننا لم نتبادل أى كلمات طوال خمسة عشر عاما.

لقد أفسدت حياة زوجة ابنها حتى آخر لحظة, السلام فى روحها, كانت امرأة ملاكاً, مثلما أضافت مانويلا, وهى تتحدث إلى الشابة مدام موريس, بحقد ساخر, وهى تحضر جنازتها.

وبعيداً عن كورنيليا موريس, فإن زهور البنفسج, ومرض لوسيان لم تبد لأحد كشئ يلفت الانتباه.. بالنسبة للأغنياء, يبدو أن حياة الصغار سهلة, مليئة بأكسجين المال والأعمال والإحساس بالمشاعر الانسانية بشكل مكثف, مع الكثير من الاختلاف طالما أننا نحن البوابات, يبدو أن الموت كان بالنسبة لنا حادثا عابرا مثل ارتداء الملابس السوداء, لقد انطفأت حياة بواب, إنه أمر بسيط فى مسيرة الحياة اليومية, يقين حياتى لا يساهم فى أى مأساة, أما بالنسبة لأصحاب العقارات الذين يقابلونه

كل يوم فوق السلم، وعلى عتبة مسكنه، فإن لوسيان كان غير موجود؛ لذا فهو يعود إلى العدم طالما أنه عاش نصف حياة، بدون أهمية، وقد صار بلا شك فى لحظة الموت ما يؤكد أنه ليس سوى نصف متمرد، لكن مثل كل شخص، فإننا يمكننا أن نطيل من عمر الجحيم، وأن القلب يختنق من الغضب، وأن المعاناة توسع وجودنا، وتنتهى أن تتشكل فى داخلنا، فى عاصفة الخوف، والرعب الذى يوحى به الموت إلى كل شخص، وهو شئ لا يزهر روح أى شخص فى هذه الأماكن.

ذات صباح، قبل ثلاثة أسابيع من عيد الميلاد، عدت من جولتى مع سلتى المليئة بالمشتريات وأطعمة القط، وجدت لوسيان مرتديا ملابسه، ومتأهباً للخروج، لقد ربط شاله حول عنقه ووقف ينتظرنى، عبرت الغرفة إلى المطبخ، وأفرغت كل محتوياتها، وقد علانى الشحوب، بعد أسبوع لم يكن فى مقدوره أن يخلع البيجامة التى بدت لى نفس ملبسه، اكتشفت عينيه اللامعتين والسوقيتين، ياقة معطفه الشتوى تكاد تصل إلى خديه الموردين بشكل غريب، ينقصها أن تصيبنى بخيبة أمل.

هتفت: لوسيان! ثم أسرعت نحوه كى أساعده فى الجلوس، وأنزع عنه ملابسه، ماذا أعرف أيضا، كل هذا المرض علمنى أشياء مجنونة، وفى الأوقات الأخيرة أصبحت هى الوحيدة التى أعرف كيف أتصرفها، وضعت سلتى، ضممته إلى، ثم حملته فى كل هذه الأشياء، ثم بنفس لاهث، وبقلب مشاعر غريبة، من الانبساط.. توقفت، قال لى لوسيان:

- حان الوقت، الاجتماع أمامه ساعة.

فى حرارة القاعة، أكاد أبكى، سعيدة مثلما لم يحدث لى من قبل، أمسكت يده الدافئة، لأول مرة منذ عدة أشهر، كنت أعرف أن فيضا من النور المنبعث من الطاقة قد دب فيه من سريره، ومنحته قوة أن يرتدى ملابسه، إنه التعطش إلى الخروج، الرغبة التى نتشاركها مرة واحدة، هى المتعة الزوجية، وأعرف أيضاً أن هذه هى العلامة التى استمرت بعض الوقت، حالة امتنان تسبق النهاية، لكن هذا لم يشدنى، وأردت فقط أن أنتهز هذا، هذه اللحظات السرية فى نير المرض. ويده الدافئة فى يدى، وانبعاث السعادة التى سرت فينا نحن الاثنين، هذه السعادة القادمة من السماء، إنها فيلم يمكننا أن نشارك رؤيته معاً.

أعتقد أنه قد مات بعد ذلك مباشرة, قاوم جسده ثلاثة أسابيع أيضاً, لكن روحه كانت قد أفلتت فى نهاية الاجتماع, لأنه كان يعرف أن هذا أفضل لأنه قام بوداعى فى القاعة المظلمة, دون ندم مؤثر. هكذا وجد السلام صباحا فيما كنا قد قلناه, والكلمات تمر بنا, ونحن ننظر إلى موسيقى من الشاشة المضاءة, حيث تحكى حكاية.

لقد قبلتها.

مطاردة أكتوبر الأحمر, كان فيلم عناقنا الأخير, من أجل من يريد أن يفهم فن النص, ليس علينا سوى أن نراه, تساءلنا لماذا اتجه العالم إلى تعليم مبادئ الحكى والإيماءات, وعروض أخرى بدلا من نجلس فى صالة عرض. بواكير, دسائس, تمثيل, تغيرات مفاجئة, مهام, أبطال ومساعدون آخرون: يكفيك أن ترى شون كونرى فى رداء قائد غواصة روسى وبعض حاملات الطائرات فى أماكنها.

تمتمت "أوه".. لقد تعلمت هذا الصباح من إذاعة فرانس أنتير أن هذه العدوى التى تجذبنى للثقافة القانونية من خلال ميول أخرى للثقافة غير القانونية لا تتضمن النزوح من أصل وضيع, وأن مدخلى الوحيد لأضواء الأمل, يتضح فى سمات معاصرة للطبقات الفكرية السائدة, كيف لى أن أعرف - من فم عالم اجتماع - أننى سوف أحب أن أعرف بشكل عاطفى أن عليه أيضاً أن يعرف أن بوابة فى خف ماركة "شول" جاءت كى تجعل منه أيقونة مقدسة, تلميذ التطور لأفكار العصور القديمة السابح فى تربية عليا من ارتفاع وهبوط وأقطاب التأليف بواسطة حيث تدخل الحدود إلى الثقافة الحقيقية أو المزيفة, وتختلط معا بشكل نهائى, إنها نصف شهادة للأدب الكلاسيكى الذى كان فيما سبق يسمع باخ, ويقرأ موريak, ويشاهد أفلام الفن والتجربة, وهو أيضاً يسمع اليوم هاندل, أو م. س سولار, ويقرأ فلوبير وجون لوكاريه, ويذهب لرؤية فيلم فيسكونتى أو الجزء الأخير من "مت بصعوبة" Die Hard , ويأكل الهمبورجر, وفى الظهيرة والأطعمة اليابانية عند المساء.

إنه من المتعب جداً أن نكتشف عادات اجتماعية سائدة, فيها نعتقد أن لدينا علامات التفرد, عادات متعبة وربما مغيظة, أما أنا, رينيه, فى الرابعة والخمسين من العمر, بوابة ثقفت نفسى بنفسى, أكون حسب انحباسى فى مسكنى المؤكد, أحب العزلة التى تحمينى من الاحتكاك بالآخرين, حسب هذه الكميات الهائلة من الجهل

بتطورات العالم الواسع مما يدور حولنا, التى غصت فيها.. أنا, رينيه شاهدة على التحولات نفسها التى تحرك الصفوات المعاصرة. تتكون من صغار آل باليير من الذين يقرأون ماركس, ويذهبون معاً لمشاهدة فيلم "الجهنمى", وأيضاً صغار أسرة بادواز الذين يمارسون حقوقهم وهم ينتحبون عند مشاهدة فيلم "ننتج هيل" هى صدمة أكاد أن أسلم نفسى إليها, لأنه يبدو بوضوح شديد, بالنسبة لهذا الذى يشد الانتباه إلى التسلسل التاريخى أننى لا أوقع هؤلاء الفتية, ولكن فى ممارساتى الانتقامية, فإننى أتقدمهم.

رينيه, تمثل الصفوة المعاصرة.

قلت لنفسى وأنا أخرج من سلتى شريحة كبدة العجل للقط: "حسناً, حسناً, لم لا.". ثم وأنا أنبش عن لفافة, فى كيس بلاستيكى, قطعتين صغيرتين من اللحم الأحمر, ثم أتركها تتملح, كى تنضج فى عصير ليمون المنقوع فى الكزبرة، وهكذا تتخلق الأشياء.

فكرة عميقة رقم 4

اعتن

النباتات

الأطفال

هناك سيدة دار، تأتى هنا، ثلاث ساعات يومياً، من أجل النباتات، أنها أمى التى تنشغل بها، إنه سيرك لا يصدق، لديها رشاشاتان للسقى، واحد للماء بالسماد، واحد للماء بدون كالسيوم، ومضخة لها العديد من الأوضاع من أجل تحقيق "الأهداف" فى المطر أو "ضبابيات". فى كل صباح أحمر تمر أمام عشرين نبات أخضر فى الشقة وتتعامل معها بخبرتها، وهى تهمهم أمام كثير من الأشياء، مختلفة تماماً عن باقى العالم، يمكنكم أن تقولوا "لا يهم" إلى أمى وهى منشغلة بنباتاتها، فهى لا تعير أى انتباه، على سبيل المثال: "أعتمد أن أتخدر اليوم وأن أتناول جرعة"، تحصل على إجابة "النخيل الأسترالى يصفر من أطراف الأوراق، والكثير من الماء ليس أمراً جيداً بالنسبة لها".

وهكذا، يمكن أن تمسك أول نموذج: إذا أردت أن تفسد حياتك بقوة عليك أن تتفق مع ما يقوله الآخر، انشغل بنباتاتك الخضراء، لكن هذا لن يتوقف، عندما تسكب أمى الماء فوق أوراق النبات، أرى الأمل يحركها، فهى تعتقد أنه نوع من صمغ البلسم الذى سوف سيتغلغل فى النبات، ويجلب له كل ما هو بحاجة إلى النجاح، مشاية بالنسبة للسماء التى تضعه فى عبوات صغيرة فى الأرض، (فى الحقيقة فى مزيج الأرض – أرضى - الرمل الذى تكونه بشكل خاص لكل نبات فى حديقة باب آل اوتى)، إذن فأمى تغذى نباتاتها مثلما تغذى أطفالها، "الماء والسماد للنخيل الأسترالى، والفاصوليا الخضراء، وفيتامين ج لنا، هذا هو قلب النموذج، ركز فى الموضوع، أحضر له العناصر الغذائية التى تسرى من الخارج نحو الداخل، وهى تتقاوم فى الداخل، فتجعله يكبر ويصير أفضل، لمسة فوق الأوراق وهذا هو النبات المسلم لمواجهة الوجود. تنظر إليه بمزيج من القلق والأمل واعين لهشاشة الحياة، وقلق الحوادث التى يمكن أن تحدث، لكن فى الوقت نفسه، هناك رضاء لكل ما يجب، وأن تلعب

دورها كمرضعة تحس بالاطمئنان، وأنهما فى أمن بالنسبة للوقت, وهكذا ترى أمى الحياة, تتابع مشاهدها التآمرية, وأيضاً غير المؤثرة من لمستها, من يعطى الوهم المختصر للأمن.

هذا أفضل دائماً لو تقاسمنا أمانينا معاً, ولو وضعنا مجموعة فى الداخل من أنفسها لنقول إن الفاصوليا الخضراء وفيتامين ج, لو قاما بتغذية الحيوان, فلن تنقذا الحياة, ولا تغذيا الروح.

(10)

قط اسمه جرفيس

دق شابرو بأب مسكنى.. شابرو هو الطبيب الشخصى لبيير آرتين, هو رجل عجوز وسيم برونزى تماماً, يتموج أمام السيد مثل دود الأرض, وطوال عشرين عاما لم يقم بتحيتى, ولم يبد أى اشارة عندما أظهر أمامه, تجربة ظاهرتية مهمة, تشتمل على السؤال بعمق فى عدم ظهور الوعى لبعض ما يبدو من وعى الآخرين, فصورتى يمكنها أن تنطبع. بالتتابع فى جمجمة نبتون وتشكل انطباعاً مزيفاً إلى شابرو الذى يبدو خلاباً.

فى هذا الصباح, اكتسى شابرو بصبغة برونزية, وجنتاه متورمتان, اليد مرتجفة, والأنف مبلل, نعم, مبلل, شابرو طبيب الأقوياء لديه أنف ينزف, فضلاً عن أنه ينطق اسمى.. "السيدة ميشيل"

لا يخرج هذا ربما من شابرو, ولكن من مخلوق فضائى متحول يعمل فى مجال خدمة المعلومات, لأن شابرو الحقيقى لا يفتقد روح المعلومات التى تتعلق بتوابع ذوات محددات مجهولة. كرر الشكل المستثار لشابرو: السيدة ميشيل, السيدة ميشيل حسنا, لقد عرفنا, فأنا اسمى السيدة ميشيل.

استكمل الأنف المتهدل, الذى يبدو أحمر لكثرة شخير التمخط: "حدث أمر بشع." إذن فهو ينخر بصوت مسموع, عاكساً اللون المفقود الذى لم يأت أبداً, بينما أنا مصدومة من سرعة الحدث, وأنا أرى حركاته العصبية أو تفاحة آدم تتحرك, فيبدو بشكل منفر, ولكنه بشكل خاص غير مركز. نظرت يمينا ويسارا, المدخل خال, وهذا الـ E.T, صاحب النوايا العدوانية, لقد ضعت.

استعاد نفسه, وهو يكرر:

- مأساة مروعة, نعم, مأساة مروعة, السيد آرتين يموت.

سألت: يموت, يموت حقيقة؟

- يموت حقيقى, يا سيدة ميشيل, يموت حقيقى أمامه 48 ساعة.

قلت مندهشة: لكننى رأيته صباح الأمس, كان يبدو أنيق الملبس

- آه, يا سيدتى, آه, عندما يلهث القلب, فهذه مقصلة, فى الصباح ينطلق المرء كالجدى وفى المساء يكون فى القبر.

- هل سيموت فى بيته, وليس فى المستشفى؟

قال لى شابرو وهو ينظر إلى بنفس السحنة التى تبدو على نبتون عندما يغادر:

- أووووه.. يا سيدة ميشيل, من يريد أن يموت فى المستشفى؟.

لأول مرة, طوال عشرين عاماً, أحسست بموجة عاطفية, من الحنان ناحية شابرو. قلت لنفسى, بعد كل شئ, فهو انسان, وفى النهاية, فنحن متشابهان.

استكمل شابرو:

- سيدة ميشيل, أنا مذهول من هذا الإفراط يا سيدة ميشيل، بعد عشرين عاما من لا شئ, الكثير من الناس يريدون رؤية السيد قبل.. قبل.. هو لا يريد أن يرى أحداً, لا يتمنى أن يرى سوى بول. هل يمكنك تهدئة الغاضبين؟

لقد قاموا بإشراكى فى أمرهم, أقول كالعادة, انهم لا يبدون أى ملاحظة لحضورى إلا لتكليفى بالعمل، لكن بعد كل شئ, مثلما قلت لنفسى, فأنا هنا لهذا السبب, أدون أيضاً أن شابرو يتكلم بطريقة – تثيرنى – هل يمكنك تهدئة الغاضبين – أنا خاضعة لقواعد اللعبة. تساءلت: يجب أن أتذكر قطى جرفيس هذا النوع يزعجنى لكن لسانه شهى.

أخيراً من يريد أن يموت فى المستشفى؟ يسأل العجوز الوسيم, لا أحد, لا بيير آرتين, ولا شابرو, ولا أنا, ولا لوسيان, طارحاً هذا السؤال الذى بلا قيمة, شابرو يجعلنا جميعاً بشر. قلت:

- سأفعل ما بوسعى، لكن لا أستطيع أن أتبعهم سوى فوق السلالم وليس أكثر

- لا، لكن يمكنك مواساتهم، أخبريهم أن السيد أغلق بابه"

ونظر لى فى غرابة.

يجب أن أنتبه أنه انتبه جيدا.. فى الآونة الأخيرة، استرخى هناك حادث للصغير بالليير، هذه الطريقة المضحكة التى تعتمد على الأيديولوجية الألمانية، تعكس نصف ذكائه، من محارة يمكن أن تنفخ فى أذنه، رغم أن هناك أشياء مربكة، وهذه لأن شيخاً خرفاً يشرب فى نخب نفسه، ينهار من مظاهر بالية، ويغمى على أمامه، وقد نسيت كل القسوة، أرى فى عينى الشرارة التى تتدفق، وآخذ النظرة الحانية لكل البوابين الطيبين الذين يتأهبون لبذل أقصى ما بوسعهم لمتابعة الناس حتى السلم وتلاشى الشكل الغريب لشابرو.

ولمسح كل أثر للتحدى الخاص بى، فإننى سيطرت على عيوبى الصغيرة: سألت: "هل هذا نوع من القرض؟".. قال شابرو لى: "نعم، هو القرض".

صمت.. قال لى: شكراً. أجبته: عفواً. وأغلقت الباب.

فكرة عميقة رقم 5
الحياة كلها خدمة عسكرية

أنا فخورة بهذه الفكرة العميقة, إنها كولومب التى أوحت لى بالعثور عليها. ستكون مفيدة لى مرة على الأقل فى حياتها, لا أعتقد أننى قادرة أن أقول ذلك قبل الموت.

منذ البداية, تدور الحرب بينى وبين كولومب, فالحياة بالنسبة لها هى معركة دائمة حيث يجب أن تنتصر وهى تدمر الآخرين, هى لا يمكنها أن تحس بالأمان إذا لم تحطم الخصم وتقلل من قوته ومساحته, عالم فيه مكان للآخرين هو عالم خطر حسب معايير المحاربة.

فى الوقت نفسه, فهى فى حاجة إليهم من أجل واجب صغير مهم, يجب أن يعترف أحد بقوتها, إذن فهى تريدنى أن أخبرها - والسيف أسفل ذقنى - أنها الأفضل وأننى أحبها, هذا يجعلنى مجنونة مع الأيام مثل الكراز فوق الكعك.. من أجل سبب غامض فإن كولومب, التى ليست لديها أوقية واحدة من البصيرة , قد فهمت أننى أشك أكثر, فى الحياة, أنه الضجيج. أفكر أن هذا اكتشاف توصلت إليه بالمصادفة, ليست فى حاجة قط أن تنتابها الروح الغريزية, التى يمكن لشخص ما أن تجعله فى حاجة إلى الصمت, وأن الصمت يفيد فى الذهاب إلى الداخل, وأنه ضرورى لهؤلاء الذين لا يهتمون سوى بالحياة من الخارج, لا أعتقد أنه يمكنها أن تفهم لأن الداخل فيها هو أيضاً سديمى وملئ بالضجيج أكثر من خارج الشارع, لكن على أى حال لقد فهمت أننى فى حاجة إلى الصمت, إذن, فهى طوال النهار تسبب الضجة وتصدح فى الهاتف, وتضع الموسيقى العالية الإيقاع هذا يقتلنى تماما, تقرقع الأبواب وتعلق بصوت عال على كل ما تفعله, ومن بينها أشياء حساسة مثل تفريش الشعر, والبحث عن قلم فى الدرج, باختصار ولأنها لا تستطيع قط أن تغزو الآخر, إلا أننى أتبعها بشكل إنسانى دون توقف, فهى تغزو فضائى الصوتى, وتفسد على حياتى من الصباح إلى المساء, لاحظ أنه يجب أن يكون لدىّ مفهوم حول الإرهاب بالغ الفقر كى أصل إليه, أنا أتجه إلى الناحية التى أكون أرغب فى الذهاب إليها دون تراكم فى رأسى, لكن كولومب ليست سعيدة أن تتجاهل الواقع, أنها تحوله إلى فلسفة:

هى الملعونة هى شخص صغير متعصبة وعصابية تكره الآخرين, وتفضل أن تسكن فى مقبرة, حيث كل العالم ميت - بينما أنا, أنا طبيعة مفتوحة, سعيدة, ومليئة بالحياة.. إذا كان هناك شئ ما أكرهه، فهو عندما يحول الناس ضعفهم أو اتجاههم إلى التعاطف مع كولومب, أنا محظوظة..

لكن كولومب, منذ بضعة أشهر, ليست سعيدة أن تكون الأخت الأكثر رعباً فى العالم, فهى أيضا سيئة المزاج وهى ترتكب حماقاتها المقلقة. أما أنا فلست فى حاجة قط إلى ذلك, إنها تمارس تطهيرا عدوانيا على أختها, وأكثر من هذا, فهى تستعرض مآسيها الصغيرة, منذ بضع أشهر صارت كولومب مهووسة بشيئين: الأمر, والامتلاك, أمور مناسبة جدا: من وحوش الزومبى التى كنت أشكلها, أصبحت قذرة, انها تقضى وقتها وهى تصرخ فىَ لأننى تركت الفضلات فى المطبخ, ولأن هناك شعراً أسفل الدش هذا الصباح, يعنى هذا أنها لا تنشغل سوى بى, كل العالم مزعج من الصباح حتى المساء لأن هناك عدم نظام وفتات, غرفتها عبارة عن سوق لا تطاق, صارت عيادة, كل شئ مريح, لا توجد بذرة من التراب. الأشياء فى مكان محدد تماما, ويالسوء حظ السيدة جريون إذا لم تمتثل لها وهى تؤدى أعمال المنزل, كأننا فى مستشفى, عند أطراف المدينة لم يعد يزعجنى أن كولومب أصبحت مهووسة تماماً لكن ما لا أتحمله, أنها تستمر فى لعب دور الفتاة غير التقليدية "كوول", هناك مشكلة لكن كل العالم يفعل مثلها.

استمرت كولومب فى الزعم أنها الوحيدة فيما بيننا التى تتعامل مع الحياة "أبيقورية" أؤكد لكم أنه ليست أبيقورية, فهى تأخذ ثلاثة حمامات يومياً, وتصرخ مثل معتوهة لأن مصباح المخدع قد تحرك ثلاثة سنتيمترات.

ما هى مشكلة كولومب؟ لا أعرف, ربما قوة إرادة تحطيم العالم كله, لقد تحولت إلى جندى, بمعنى المصطلح, هى تلمع, تنظف, مثل, الجندى الموسوس بالأوامر والنظافة, انه أمر معروف. يجب النضال ضد عشوائية المعركة, وقذارة الحرب, وكل أنواع البشر التى تتركها وراءها, لكننى أتساءل إذا كانت كولومب ليست حالة ثائرة, هل نحن لا نحدد كل الحياة مثلما نفعل فى الخدمة العسكرية؟ ونحن نفعل ما يمكن أن ننتظره سواء التمرد أو المعركة؟ البعض ينظف الغرف, والبعض الآخر يسحب الفلانكات, ممضياً الوقت وهو يلعب الكوتشينة, مسافراً, قلقاً, الضباط يأمرون والجنود يطيعون, لكن لا أحد يخدع مهزلة الأماكن المغلقة: ذات صباح عليه

أن يذهب ليموت, الضباط كالجنود, المخابيل مثل الماكرين الصغار الذين يمارسون السوق السوداء في بيع السجائر, أو على مرور.

وعند المرور, أضع لك فرض تحليل القاعدة: كولومب سديمية تماما من الداخل, خاوية ومتراكمة معاً, تحاول أن تضع الأمر وهي ترتب وتنظف داخلها, مزاح, أليس كذلك؟ لقد استغرق الأمر طويلاً كي أفهم أن المحللين النفسيين هم مضحكون لمن يؤمن بالمسخ, إنها حيلة كبار العقلاء, في الحقيقة, فهي على باب أول شخص قادم, لكن يجب أن نسمع الحناجر الساخنة التي يمارسها المحللون النفسيون أصدقاء أمي الذين يمارسون لعبة الكلمات, ويجب أن نتفق أيضاً أن الأغبياء الذين تحضرهم أمي, لأنها تحكي لكل العالم عن جلساتها مع محللها النفسي, وكأنها ذهبت إلى ديزني لاند: جاذبية "حياة أسرتي", "قصر من الزجاج"، "حياتي مع أمي", "حياتي بدون أمي", "مفتاح الرعب", "حياتي الجنسية"، وأنا أخفض صوتي حتى لا أسمع, وكي أنتهي, فإن ممر الموت "حياتي كامرأة مهووسة".

لكن أنا, ما يخيفني مع كولومب دائماً هو أن لديّ الإحساس أنها نكرة, كل ما تشير إليه كولومب – كمشاعر - قد تم العزف عليه تماما بشكل مزيف, إنني أتساءل إذا كانت تحس بشئ ما, ومرات عديدة أثار هذا الخوف في, لعلها شديدة المرض, أنها تبحث بأي ثمن عن الإحساس, وشئ ما أهل للثقة, لعلها ترتكب حماقة أرى هنا عناوين الصحف: "نيرون شارع جرنيل: فتاة شابة تشعل شقة العائلة, سألوها عن أسباب فعلتها, أجابت: أردت أن أجرب شعوراً..

حسنا, اتفقنا, أنا أبالغ قليلا, ثم أنا في مكان سيئ كي أتخلى عن هوس الاحتراق, لكن وأنا أنتظر استمع صراخات الصباح, لأن هناك وبر القط فوق معطف أخضر, قلت لنفسي: "يا فقيرتي, لقد خسرت الحرب قبل أن تبدأ, سوف تكونين أفضل لو تعرفين".

11

تدمير ثورة المغول

طرقت برقة على باب مسكنى, إنها مانويلا التى جاءت تقضى أجازتها النهارية, قالت لى دون أن أكون قادرة على تحديد ما اختلطت به من قوة من استعادة لحن شابرو:

- السيد يموت. هل أنت مشغولة, كى نتناول الشاى الآن؟

هذه الوقاحة فى توافق الأزمنة, هذا الاستخدام لفعل الشرط فى صياغة نفى دون تصريف الفعل. هذه الحرية التى مارستها مانويلا مع علم النحو لأنها ليست برتغالية فقيرة مضادة للغة المنفى. لديهم نفس رائحة إعفاء التشكيلات التى يتحكم فيها شابرو.

قالت وهى تجلس, وتحرك رموشها:

- قابلت لورا عند السلم, كانت تمسك بالدرابزين وكأنها ترغب فى التبول, وعندما رأتنى ذهبت.

لورا هى الابنة الصغرى لعائلة آرتين, فتاة لطيفة. فى الزيارات تبدو متوترة قليلا. أما كليمانص الكبرى, فهى حالة من التقمص المؤلم المسبب للإحباط, متعصبة ومتخصصة فى إصابة الزوج والأطفال بالملل حتى فى نهاية أيام القداس, والأعياد الدينية, والابتهال على طرف الصليب, أما بالنسبة لجان فإن بنجامين هو مدمن يتنزه فوق الأطلال, طفل, كان غلاماً جميلاً, له عينان ساحرتان, يعدو دائما خلف أبيه, وكأن حياته معتمدة عليه, لكنه عندما يبدأ فى تعاطى المخدرات فإن التغيير يتضح عليه. يتوقف عن الحركة. وبعد طفولة استهلكت فى الجرى بدون جدوى وراء العقيدة, صارت حركاته مثل شخص مشوش بدل موقعه بالتتابع, يتوقف فوق السلم, أمام المصعد, وفى الفناء, منغمساً أكثر فأكثر, حتى ينام أحياناً فى حصيرتى, أو أمام مخزن المخلفات, ذات يوم وقف يتأمل أمام أصيص من شاى الورد, الكاميليا الصغيرة, سألته إذا كان فى حاجة إلى المساعدة ولم أفكر أنه يشبه

نبتون كثيراً, مع هذا الشعر المضفر الذى لا يعتنى به كثيراً, فتركه يطول عبر الزمن, وعيناه الدامعتان فوق أنف مبللة, مرتجفة.

أجابنى وهو يؤكد على وقفته الخاصة التى تعكس ما يعتريه: "أوه.. لا".

ألححت عليه: "ألا تريد أن تجلس على الأقل؟"

كرر مندهشاً: "أن أجلس, هه. لماذا؟"

قلت: "كى تستريح قليلاً".

قال بنبرة لاذعة: "آه.. أنت, حسناً, هه.. هه".

تركته فى صحبة الكاميليا, وراقبته من النافذة, وخلال لحظة بالغة الطول, نزع نفسه من تأمله للزهور, وبلغ مسكنى بسرعة, وفتحت قبل أن يفشل فى القرع.

قال لى دون أن يرانى: "سوف أتحرك قليلاً".

كانت أذناه الناعمتان معقدتين قليلاً أمام عينيه:

"هذه الزهور.. ما اسمها؟ سألت, مبغوتة: الكاميليا؟

كرر ببطء: "كاميليا.. كاميليا, حسنا شكراً يا سيدة ميشيل".

قال ذلك بصوت مكتوم مدهش، ثم أدار كعبيه ولم أره طوال أسابيع, حتى ذلك الصباح من نوفمبر الذى قضاه أمام مسكنى, لم أعرفه طالما أنه سقـ.. نعم, السقطة.. لقد بحنا بكل شئ, لكن شابا يصل قبل الساعة إلى نقطة البداية, وهى نقطة مرئية جيداً, وناضجة لدرجة أن القلب صار فى عناق الشفقة. لم يكن جان آرتين سوى جسد تم تعذيبه ينسحب فى حياة فوق الحافة.. تساءلت بصعوبة كيف قام بأداء الحركات البسيطة التى فعلها أمام المصعد عندما ظهر فجأة برنار جرليه, وأمسك به, ثم رفعه مثل ريشة ووفر علىَ التدخل, كانت لدىَ رؤية مختصرة عن هذا الرجل الناضج الضعيف الذى يحمل بين ذراعيه جسد طفل مذبوحا, ثم اختفيا فى هاوية

السلم. قالت مانويلا:

- لكن كليمانص سوف يأتى، إنه جامد، يتبع دوماً خط أفكارى الصامتة.

قلت:

- طلب منى شابرو أن أرجوه أن يذهب.. إنه لا يريد سوى بول.

أضافت مانويلا وهى تتكلم عن فيوليت جرليه:

- من المحزن، أن تتمخط البارونة فى الممسحة.

لم أندهش، فحين تأتى النهايات، يجب أن نبلغ الحقيقة، فيوليت جرليه ترى أن الممسحة من الحرير مثل بيير آرتين، وأن كل إنسان سجين لمصيره، يجب أن نواجهه دون مهرب جديد، وفى النهاية فإنها هى من أعماقها، وبعض الوهم الذى أراد أن يخترقها محاذياً الخيط الرقيق الذى لا يعطى أبداً الحق فى أن يتساوى المرض بالصحة.

أمسكت كوب الشاى وغصنا فى الصمت، لم نقض قط الصباح معاً، وهذا التحطيم لبروتوكول شعائرنا له منفذ غريب. همست مانويلا: "هذا رائع".

نعم، إنه رائع لأننا نتمتع بطبائع مزدوجة، هى رؤية مخصصة لهذه القطيعة فى أمر أشياء مستقرة والشعائر جربناها معاً، من بعد ظهيرة لأخرى، إن الواقع يتكيس إلى الحد الذى تهبه الحس والوعى، وأن هذا الصباح المنهك اتخذ فجأة كافة قواه. لكن نحن نتذوق أيضاً وكأننا لم نتهيأ لهذه الصبحية غير اللائقة، فتأخذ الحركات الآلية شكلاً جديداً، حيث يحتسى ويشرب ويستريح، ويخدم ويمزز كى يعود إلى الحياة، إنه مولد جديد، هذه اللحظات حيث يتبدى لنا وجودنا، بقوة شعائر تدفعنا وبكل المتعة أن نخرقها، إنها أقواس سحرية تضع القلب عند طرف الروح، لأن هروباً عاتباً، يأتى بالقليل من الخلود، ويخصب الزمن فجأة، فيما وراء ذلك، فإن العالم يزأر أو ينام، وتتوالى الحروب، ويعيش الناس، أو يموتون، وتتهالك أمم، وتظهر أمم أخرى، ستغرق عما قريب فى هذا الضجيج وكل هذا الغضب، وفى هذا الدوران والارتداد، يشتغل العالم كله، ويتمزق، ويعيد ميلاده، إنه أمر يتعلق بالحياة الإنسانية.

وأخذنا نشرب كوب الشاى.

مثل كاكوزو أوكاكورا, مؤلف "كتاب الشاى" الذى يأسف لثورة قبائل المغول فى القرن الثالث عشر ليس لأنها جرت وراءها الموت والخسارة, لكن لأنها دمرت, من بينها ثمار ثقافة السونج, الثقافة الأكثر ثراء من بين الثقافات, من الشاى أعرف أنه ليس شراباً دقيقاً, عندما أصبح من الشعائر, فإنه ينظم دقات القلب وقابلية رؤية العظمة فى الأشياء الصغيرة, أين يوجد الجمال؟ فى الأشياء الكبيرة, مثل الأشياء المحكوم عليها بالموت, أو فى الأشياء الصغيرة التى, بدون أى ادعاء, تعرف كيف يغش لحظة فى زر الخلود.

شعائر الشاى, هذه السلوكيات المحددة الحركة ونفس التذوق, هذا الإدراك ذو المشاعر البسيطة الموثوق فيه البالغ الصفاء, هذه الرخصة تعطى لكل شخص لديه القليل من الفكة, أن يصبح أرستقراطياً فى الذوق, لأن الشاى مشروب الأثرياء, وهو أيضاً مشروب الفقراء, شعائر الشاى هى الفضيلة الغربية للدخول فى عبثية حياتنا الحيوانية عبر إيقاع صاف, نعم.. العالم يتآمر فى الفراغ, والأرواح الضائعة تبقى الجمال, والمعنى يحوطنا, فحين نشرب كوب الشاى يسود الصمت, ونسمع صفير الرياح بالخارج وأوراق الخريف تتساقط وتتطاير, والقط ينام فى ضوء خافت, وفى كل جرعة نتسامى مع الوقت.

فكرة عميقة رقم 6

ماذا نشرب

ماذا نقرأ

فى الفطور

وأنا أعرف

من أنا

كل صباح, فى الفطور, يشرب أبى القهوة, ويقرأ الجريدة, الكثير من الجرائد, فى الواقع, هناك "لوموند", "لوفيجارو" "ليبراسيون" وأحياناً فى الأسبوع "لاكسبريس" و"ليشو", "تايم ماجزين", ومجلة المتاحف العالمية, لكن أرى أن هذا جيد بالنسبة لقناعات كبرى, عند أول فنجان قهوة تكون "لوموند" أمامه, ويستغرق فى قراءتها طوال نصف ساعة، وكى يستغل هذه النصف ساعة, عليه أن يستيقظ مبكراً لأن يومه مزدحم للغاية, ولكن فى كل صباح إذا كان لديه اجتماع ما, فإنه لا ينام سوى ساعتين, يستيقظ فى السادسة, ويقرأ جريدته وهو يشرب القهوة السادة, وهكذا يبنى أبى يوميا. أقول "يبنى" لأننى أفكر أنه فى كل مرة هناك بناء جديد, وكأن كل شئ يتحول إلى رماد أثناء الليل, وأنه يجب أن يبدأ من الصفر, وهكذا يعيش حياته كإنسان فى عالمنا, يجب - بلا توقف - أن نعيد بناء هويتنا كبالغين, هذا التجمع العابر والزائل بالغ البشاشة, يرتدى ثوب اليأس, وذاته أمام المرآة, يحكى الكذبة التى عليه أن يؤمن بها..

بالنسبة لأبى, فإن الجريدة والقهوة هما الخاتم السحرى الذي يحوله إلى رجل له أهميته, مثل قرعة فى عربة فاخرة, هذه الأمور ترضيه كثيراً, أنا لا أراه أبدا هانئاً, ومتمددا سوى أمام قهوته من الساعة السادسة, لكن الثمن مدفوع, الثمن مدفوع عندما تعيش حياة مزيفة! عندما تسقط الأقنعة, لأن مشكلة حلت – وهى تبقى دوما لدى الموتى – الحقيقة مرعبة!

أنظر إلى السيد آرتين، الناقد الفلكى فى الدور السادس، الذى يحتضر، هذا المساء عادت أمى من التدريب غاضبة مثل عاصفة، وما أن عبرت المدخل، حتى ألقت مرثاتها "بيير، آل آرتين يحتضر".. المرثية هى قطتى وأنا، طالما أنك تقول أن هذا قد أسفر عن أسطوانة كمبيوتر، فإن أمى التى كان شعرها غير ممشط قليلا، بدت عليها الخيبة، عندما عاد أبى، هذا المساء نظرت نحوه لتعلن له الخبر، بدأ أبى مبغوتا يسأل: "القلب! كيف هذا، وبكل هذه السرعة؟".

يجب أن أقول إن السيد آرتين، هو شرير حقيقى، أبى إنسان عامى يلعب دور الشخصيات الكبيرة، غير مسل، أما السيد آرتين فهو شرير باختياره، عندما أقول "شرير" فلا أعنى أنه سيىء النية، قاسي، أو استبدادى، رغم أن به القليل من هذه الصفات، عندما أقول "أنه شرير حقيقى" فأعنى أنه رجل يتجاهل دائماً كل ما يمكن أن يملكه من الطيبة فى داخله، كأن تقول جثة على قيد الحياة، لأن الأشرار الحقيقيين، يكرهون كل البشر، بالتأكيد، خاصة أنفسهم، لن تحس بذلك إلا عندما يكره أحد نفسه، هذا يقوده إلى أن يصبح ميتاً بينما هو فى إطار المشاعر السيئة، ولكنه أيضاً طيب لدرجة أنه لا يحس بالغثيان فى داخله.

بيير آرتين بالتأكيد، شرير حقيقى، يقال أنه كان عميد النقد الفلكى، وبطلا فى عالم الطبخ الفرنسى، إذن، هذا لا يدهشنى، إذا أردت رأيي، فالمطبخ الفرنسى، بدافع الشفقة به الكثير من العبقرية، ومن الأساليب، ومن المنابع من أجل نتيجة بالغة الثقل.. وصلصلة، وحشو، وحلوى تفجر البطن سيئة الطعم، عندما لا يكون ثقيلاً فالأمر يمشى قدر الإمكان، قد لا نموت من الجوع حين نتناول ثلاث فجلات ومحارتين من نوع جاك بالطحالب، فى أطباق مزيفة مع خدم يبدون سعداء أكثر من حفارى القبور، يوم السبت نذهب إلى مطعم بالغ الفخامة مثل "بار نابليون"، حين خرجت العائلة للاحتفال بعيد ميلاد كولومب، التى اختارت الأطباق بنفس الاعتناء أكثر من العادة: مهارات شخص دعى مع الكستناء، حريصة على تناول الاعشاب لاسم غير منطوق، قشدة من الحمرة، مع قطع بحرية كبيرة "منتهى الرعب"، القشدة (سابايون) إنه شعار المطبخ الفرنسى: مهارة تستدعى التخفف، لذا لم أتناول شيئاً قط (كى أوفر ملاحظات كولومب حول فقدان شهيتى) ثم آكل فيليه حمراء بالكارى مقابل ثلاثة وستين يورو(ومعه زهر فظ من القرع أو الجزر تحت السمك) ثم مقابل أربعة وثلاثين يورو التى أجدها الأقل ثمناً فى قائمة الطعام: فوندام بالشوكولاتة المرة، سوف أخبركم: بهذا السعر، كنت أفضل الاشتراك السنوى فى محلات ماكدو

على الأقل، دون ادعاء فى التذوق الردئ، دون أن أهتم على ديكورات القاعة أو المائدة، عندما يريد الفرنسيون أن يتخلصوا من تقاليد "الإمبراطور" بالسير فوق بساط مغزول ومزركش، فإنهم يستخدمون نموذج مستشفى، يجلسون فوق مقاعد كوروبوزيه (من كوربو كما تقول أمى)، ويأكلون فى الأطباق البيضاء ذوات الأشكال القياسية بيروقراطية السوفييتية، ثم يجففون أيديهم فى دورة المياه، بمناشف إسفنجية بالغة الرقة، لا تمتص شيئاً.

ليست البساطة هى كما يتصورها البعض، سألتنى كولومب فى غضب لأننى لم أنجح فى الانتهاء من أول حصبة ماذا تريدين أن تأكلى؟.. لم أرد لأننى لا أعرف، لست سوى طفلة صغيرة، ومع ذلك، لكن فى مجلتى "مانجا" فإن الأشخاص يبدو عليهم أنهم يأكلون بشكل ما، يبدو الأمر بسيطاً، رخواً، مقاساً، رقيقاً، نحن نأكل مثلما ننظر إلى لوحة جميلة، أو كأننا نغنى فى كورال جماعى، الأكل ليس كثيراً، ولا كافياً، وعليك أن تعيش بنفس المعنى من المصطلح، ربما أننى أخدع نفسى تماماً، لكن المطبخ الفرنسى، يبدو كهلاً ومدعياً، وأن المطبخ اليابانى كما يبدو.. حسناً ليس شاباً، ولا عجوزاً، لكنه خالد، ومقدس.

باختصار فإن السيد آرتين، يحتضر، تساءلت عما يجب أن نفعله فى الصباح، كى يعود إلى دوره كشرير حقيقى، ربما قهوة سادة وهو يقرأ، أو فطور أمريكى مع السجق والبطاطس السوتيه، ماذا نفعل هذا الصباح، قرأ أبى الجريدة وهو يشرب القهوة، متصفحاً بعض الكتالوجات، أما كولومب فهى تشرب القهوة وتسمع إذاعة فرانس أنتير، وأنا أشرب الشوكولاته، وأنا أقرأ مجلة "مانجا"، وفى هذه اللحظة، كنت أقرأ مقال تونجوشى العبقرى الذى علمنى الكثير من الأشياء عن البشر.

لكن، بالأمس سألت أمى إن كان بإمكانى شرب الشاى، أمى تشرب الشاى الثقيل فى الفطور، والشاى المعطر فى الضحى، ولكن أنا لا أرى هذا مرعباً، فيبدو هذا أكثر لطفاً من القهوة، وهى مشروب شرير، لكن فى المطعم بالأمس طلبت أمى شاياً بالياسمين، وجعلتنى أتذوقه، ووجدته لذيذاً، فقط "أنا" هذا الصباح، قلت أنه ما أريد أن أشربه، فى الفطور، نظرت أمى إلى بدهشة (مظهرها منوم سيئ المفعول)، ثم قالت نعم نعم، لقد بلغت السن الآن.

الشاى، والجنزبيل ضد القهوة، والجريدة: الأناقة، والغناء ضد الحزن العدوانى

لألعاب قوة البالغين.

12

كوميديا شبح

بعد رحيل [illegible] طويلاً، جربت كل أنواع الأنشطة [illegible] الجدارية [illegible] أعمال [illegible] الصبح في الغابة، أخرج صناديق القمامة إلى الشارع، [illegible] المطبوعات [illegible] [illegible] قدمت شريحة من لحم الخنزير مع خبز محمص، لم أعد [illegible] المخصصة [illegible] صينية [illegible] والحبوب والخس [illegible] في جريدة، أقعد في مسكني لقراءة رواية بوليسية جيدة، إنارة المشكاة في الغابة [illegible] الأصغر [illegible] ولا كثير [illegible] لكن أمام [illegible] لا [illegible]

في الساعة الخامسة مساءً، [illegible] وبدأت أحس بالعجز، وأنني منهكة [illegible] الموت لا يخيفني، أيضاً أقل من بيير أرتين. لكن هذا يجعله غير محتمل [illegible] مثير للمشاكل. جلست في المطبخ في صمت، دون إضاءة. تذوقت مشاعر مرارة [illegible] وهي تتحرك ببطء. بيير أرتين. مستبد. وقح. متعطش للمجد والشرف. [illegible] دوماً حتى نهاية مطاردة كلمات يصعب الإمساك بها. ممزق بين جاذبية [illegible] وجوع السلطة.

أين الحقيقة في العمق؟ وأين الوهم؟ في السلطة أم في الفن؟ [illegible] قوة [illegible] قد علمتني أن نحمل عرايا إبداع الاتساع بينما تبلغ عن [illegible] [illegible] التي تحركنا جميعاً. نعم الكل. ومن بينها بوابة فقيرة في مسكنها الضيق، لا [illegible] أي نوع من السلطة الملموسة، ولا تتبع بروحها أي أحلام خاصة بأحلام القوة.

كيف تمر الحياة؟ نحن نزول بكل شجاعة، يوما وراء يوم، [illegible] في هذه المهزلة الشبح. وفي الأولويات التي أمامنا، هناك ضرورة أن نتقمص [illegible] الرئيسية، مشاغل تحدينا، في الصعود حيث لا نزول عبر سلم ميزات [illegible] وأن نفسد كل الأساليب التي في إمكاننا، وهي [illegible] وهكذا نستخدم جزءاً غير خفي من طاقتنا في أخلاقنا وأغراضنا، وكلا الأسلوبين يؤكدان أنها [illegible] الأرض، والميراث الجنسي الذي يحول [illegible] لكن لا شيء من هذا لم يأت إلى وعينا، نتكلم عن الحب، وعن الخير والشر، والفلسفة والحضارة، ونرتبط بهذه

الأيقونات الموقرة مثل القراد المتعطش لكلب ضخم بالغ الحرارة.

أحياناً, أثناء هذا, تبدو لنا الحياة مثل ملهاة شبح, مثلما ننسحب من حلم, نحن نتصرف, خائفين من التأكد من الإنفاق الحيوى الذى يمثل المصادرة البدائية, نحن نتساءل بكل دهشة ما هو الفن, إنه اهتزازات من تكشيرات, وغمزات تبدو لنا فجأة منتهى المعنى, عشنا الصغير الناعم, ثمرة للشقاء طوال عشرين عاماً, عادة همجية بلا فائدة فى وضعنا فى السلم الاجتماعى, مبرئ بشكل قاس تماماً, وخالد بشكل عابر, من غرور خشن, أما بالنسبة لجذورنا, فنحن نتأملها بعين جديدة ومخيفة لأنه: دون أن نلبسها فإن مشهد إعادة الإنتاج تبدو كأنها قد تبدلت بشكل عميق. لا تبقى سوى المتع الجنسية, لذا نحن نسبح فى نهر المأساة الأولى, تتمايل الأشياء وفقاً للألعاب الرياضية بدون الحب لا تدخل فى إطار دروسنا التى تعلمناها جيداً.

الخلود يفلت منا.

فى هذه الأيام, حيث تنقلب فوق مذبح طبيعتنا العميقة كل الإيمانات العاطفية, والسياسية والفكرية والميتافيزيقية, والروحية, التى تحدث فى سنوات التكوين والتربية تحاول أن تطبع فينا, المجتمع, حقول الأرض العابرة, من الموجات الميراثية, وتغوص فى عدم المشاعر, حيث يوجد الأثرياء والفقراء, المفكرون والباحثون وأصحاب القرار, والعبيد, والطيبون, والأشرار, الخلاقون, والواعون, ورجال النقابات والمؤمنون بالخصوصية, والتقدميون, والمحافظون, إنهم ليسوا سوى كائنات ميراثية, يمتلكون التكشيرات والابتسامات, المسيرات والحلى, لغات وشفرات, مسجلة فوق البطاقة الوراثية بوسائل أولية, لا تغنى سوى هذا: تمسك دمها أو تموت.

هذه الأيام, ستكون فى حاجة للفن بشكل يائس, سوف تجذب بحرارة, أن تعقد اتفاقاً مع وهمك الروحى, سوف تتمنى بشكل عاطفى أن ينقذ شئ ما المصائر الحيوية من أجل كل الأشعار, وكل العظمة لن تنزع ملكية هذا العالم.

إذن, ستشربون كوب الشاى, أو تشاهدون فيلماً لأوزو, كى تنسحبوا من دائرة الألعاب والمعارك التى خصصناها لنوعنا الآدمى, وإعطاء هذا المسرح المثير للعواطف حول علاقة الفن, وأعماله العظمى.

(13)

خلود

فى الساعة التاسعة مساء, أدرت جهاز تسجيل الكاسيت لفيلم إخراج أوزو "الأخوات موناكاتا", إنه الفيلم العاشر لأوزو خلال شهر, لماذا؟ لأن أوزو عبقرى أنقذ مصيرى البيولوجى.

جاء كل شئ مما بحث به يوماً إلى أنجيل. فتاة المكتبة الصغيرة, التى أحببتها دوماً وعرضت على دوما الأقلام الأولى لفيلم فندرز قائلة آه, هل رأيت فيلم "طوكيو – جا؟ وعندما شاهدت "طوكيو – جا", وهو فيلم تسجيلى غريب أخرجه أوزو, صارت لدينا رغبة عارمة لاكتشاف أوزو, لقد اكتشفت أوزو, وللمرة الأولى فى حياتى, جعلنى فن السينما أضحك وأبكى كتسلية حقيقية.

أدرت الكاسيت, واحتسيت الشاى بالياسمين, ومن وقت لآخر أقوم بترجيع الشريط لرؤية العالم الوردى العلمانى "القلب على التليفزيون".

هناك مشهد غريب.

دور الأب لعبه جيشو روى, الممثل المفضل عند أوزو, الذى اختاره فى كل أعماله, رجل رائع مشبع بالحرارة والحياء, سيموت عما قريب, تحدث مع ابنته ستسوكو عن النزهة, التى قاما بها فى كيوتو, وشربا الساكى معاً.

وهذا المعبد ذو الطحالب! والضوء تعلوه بالطحالب أيضاً..

ستسوكو: وأيضاً هذه الكاميليا الموضوعة بأعلى.

الأب: أوه, هل لاحظت ذلك؟ كم هذا جميل! (وقفة) فى اليابان القديمة, هناك أشياء جميلة (وقفة) هذه الطريقة فى الرصد, كل هذا يبدو لى مفرطا ومبالغاً فيه.

ويستمر الفيلم, حتى النهاية, هناك هذا المشهد الأخير فى حديقة, عندما تتحدث

ستسوكو الكبيرة مع ماريكو, أخته الصغيرة الجذابة.

ستسوكو: الوجه مشع. أخبرنى, ماريكو, لماذا تبدو مرتفعات كيوتو بنفسجية.

ماريكو: (بخبث) حقا, يقال أنها فطيرة, آزوكى.

ستسوكو (مبتسمة).. إنه لون جميل.

فى الفيلم, هناك مسألة الحب الفاشل, والزواج المدبر, والنسب, وموت الأب, من اليابان القديمة إلى اليابان الجديدة, وأيضاً الكحول, وعنف البشر. لكن هناك سؤالاً خاصاً لشئ ما يفلت منا, نحن الغربيون, حول الثقافة اليابانية المضيئة, لماذا هذان المشهدان القصيران، وبدون تفسير, لا شئ فى الحبكة تفسير يقظة تلك الانفعالات والأحاسيس وتمسك بالفيلم بين أقواسها التى لا تزول؟..

وهذا هو مفتاح الفيلم.

ستسوكو: الجيد الحقيقى, هو ألا يشيخ المرء رغم مرور الزمن.

الكاميليا فوق طحالب المعبد البنفسجى, لون مرتفعات كيوتو, فنجان من الخزف الأزرق, هذه بروز وتفتح للجمال الخالص فى قلب المشاعر العابرة ليس هو ما نأمله جميعاً, هل نحن الآخرون, نتحضر من الغرب, ولا نستطيع أن ندركه؟

التأمل فى الخلود يتمثل فى حركة الحياة نفسها.

يوميات حركة العالم رقم 3
ولكن امسكها إذا!!

عندما أفكر أن هناك أناساً ليس لديهم تليفزيون! كيف يتصرفون؟ أنا، قضيت ساعات، أقطع الصوت، وأنظر، وأحس أننى أرى الأشياء مع الأشعة السنية، إذا رفعتم الصوت، فى الواقع، فسوف ترفعون حزمة التعبئة، الورق الحريرى الجميل الذى يغلف لحم خنزير قذر باثنين يورو، إذا نظرت إلى التحقيقات الصحفية التليفزيونية فسوف ترى أن الصور ليست لديها أى رابط مع بعضها والآخر، الشئ الوحيد الذى يربطها هو التعليق، الذى يمر مع تتابع الصور معبراً عن تتابع حقيقى للواقع.

باختصار، أنا أعشق التليفزيون، وبعد الظهيرة رأيت حركة العالم الممتعة: سباق غطس، فى الواقع هو عدة سباقات، إنه إعادة عرض بطولة العالم، هناك غطس شخصى مع وجوه مألوفة، أو وجوه حرة، غواصون رجال، أو نساء، لكن بشكل خاص مما أثار اهتمامى، هو ثنائيات الغواصين، وأكثر المآثر الشخصية مع الكثير من الدوران والانقلاب واللف، يجب أن يتزامن الغواصان معاً، أن يكونا على مسافة خطوة معاً، لا، معاً تماماً، متقاربين، فى كسور من الثانية.

الأكثر إضحاكاً، هو عندما يكون للغواصين مظهر خارجى مختلف تماما، فإن قصيرا بدينا على نفس الخط مع زميله العملاق، يقال: لن يلتصق هذا، فمعنى أنهما يمكنهما الرحيل والوصول فى الوقت نفسه، لكنهما يصلان، حين نتأكد أن كل شئ فى العالم يمكن تعويضه، عندما ينطلق الغواصون بسرعة أقل، يندفعون بقوة أكثر بينما أنا موجودة هنا، أتابع جريدتى، وعندما تقدمت شابتان صينيتان فوق المغطس، لديهما جديلتان سوداوان لامعتان، لعلهما توأم بقدر ما هما متشابهتان، لكن المعلق ذكر أنهما ليستا شقيقتين، باختصار عندما وصلتا المغطس، فكرت أن كل العالم عليه أن يفعل مثلى، أن أحبس أنفاسى.

وبعده عدة اندفاعات هائلة، قفزتا، الأولى فى كسر من الثانية، إنه أمر رائع، أحسست هذا التميز فى جسدى، يبدو أن هذا عمل من نوع "أعصاب المرايا"، عندما ننظر إلى شخص يؤدى حركة علينا أن نمارسها، فإن أعصابنا تتفاعل كى تعمل، تتفاعل فى رؤسنا دون أن نفعل شيئاً.. غوص أكروباتى، ونحن نأكل الشيبسى، ولهذا

نحب مشاهدة الرياضة فى التليفزيون, باختصار, أن الفتاتين قفزتا, فى البداية حدثت المتعة, ثم حل الخوف! فجأة أحسسنا أن هناك تفاوتاً خفيفاً جداً جداً جداً بينهما.

تفحص الشاشة, المعدة المزمومة. ما من شك ان هناك تفاوتاً, أعرف أنه من الجنون أن أحكى أن هذا مثل ذاك, وأن القفزة لا يجب أن تستمر أكثر من ثلاث ثوان بشكل كلى, لكن فقط لأن هذا لا يستغرق أكثر من ثلاث ثوان. ينظر إلى كافة الزوايا وكأنهما تستغرقان قرنا, فالأولى تغطس فى الماء قبل الأخرى! إنه أمر مرعب!

وجدت نفسى أصرخ أمام التليفزيون: امسكها, امسكها, إذن, أحسست بغضب شديد تجاه هذا التكاسل, غصت فى الأريكة, وقد أصابنى القلق, ماذا إذن؟ ها هى حركة العالم! ميل خفيف يأتى دائماً لإفساد إمكانية التميز؟ قضيت ثلاثين دقيقة على الأقل فى مزاج دموى, ثم فجأة تساءلت: لماذا نريد دائماً أن نمسكها؟ لماذا يبدو الأمر بالغ السوء عندما لا تصبح الحركة غير متلازمة؟ ليس هذا تخميناً بالغ القسوة: كل الأشياء التى تمر, والتى نفتقدها فى حرف الخلود.

كل هذه الكلمات التى علينا أن نرددها, هذه الحركات التى علينا أن نفعلها, هذه الإصعاقات اللامعة التى تدفقت, والتى لا نعرف كيف نقبض عليها والتى تغوص فى العدم, راودتنى فكرة أخرى, بسبب "عصابية المرايا" فكرة مرعبة, من ناحية أخرى, فكرة بروستية تصيبنى بالعصبية, وإذا كان الأدب, وإذا كان التليفزيون الذى نشاهده يساعدنى لتفعيل عصابية المرايا, وللتفاعل القليل مع ارتعاشات الحدث؛ فإن الأدب كان بمثابة التليفزيون الذى يبين لنا كل ما لدينا من إخفاق.

صباح الخير لحركة العالم, هذا كان يمكن أن يكون أمراً مميزاً, ولكنه أصبح كارثة يجب أن نعيشها وتصبح مصدراً للمتعة بالتوكيل والتفويض.

إذن أسألكم: لماذا نبقى فى هذا العالم؟.

14

اليابان القديمة

صباح اليوم التالى, دق شابرو جرس مسكنى, بدا مأخوذاً, الصوت لم يربكنى والأنف جافة, وكان متسمرا, كان أقرب أن يكون شبحاً, قال بصوت معدنى: "مات بيير".. رددت: "معذرة. أنا متأسفة تماماً لأن إذا كان بيير آرتين لم يعد يعانى, فيجب أن يتعلم شابرو عن الحياة وهو فى حالة موات".

أضاف شابرو بصوت استعراضى:

- سوف يصل مسئولوا الجنازة, أكون ممتنا لك لو تدليهم إلى الشقة.

- بالتأكيد.

- سأعود خلال ساعتين, كى أعتنى بـ "آنا".

ونظر إلى لحظة فى صمت.قال:

- شكراً, المرة الثانية فى عشرين عاماً.

حاولت أن أتصرف حسبما اعتادت بوابات العمارات, لكننى لا أعرف, لماذا لم تخرج الكلمات, لكن ربما لأن شابرو لن يعود أبداً, أمام الموت تتحطم الغايات, لأننى أفكر فى لوسيان, فمن اللياقة أن نتصرف بما لا يهين الموتى.

وهكذا, لم أقل: "أبداً". لكن: "هل تعرف.. كل شئ يأتى فى موعده".

يمكن هذا أن يدوى كمثل شعبى, أو حتى أن هذا كلام ردده المارشال كوتوزف فى "الحرب والسلام" موجها إياه إلى الأمير اندريه: "لقد كالو لى الكثير من اللوم ومن أجل الحرب, ومن أجل السلام.. لكن كل شئ يأتى فى موعده.. كل شئ يأتى زمن لمن يعرف الانتظار"

ولسوف أعطى الكثير كى أقرأ هذا النص, الذى أعجبنى كثيراً فى هذا المقطع, أنها الوقفة أثناء قراءة القصيدة توازن الحرب والسلام, هذا الفعل ورد الفعل فى الاستدعاء, مثل المد البحرى فوق الرمل يحمل ويجلب ثمار المحيط, هل هذه نزوة المترجم, يحسن صورة نظام روسى بالغ الحكمة, لقد وجهوا لى الكثير من اللوم والعتاب من أجل الحرب ومن أجل السلام، وأنا أعيد رؤية الانسياب فى الجملة أن أى فاصلة لا تقطع معاناتى فى باب الغرائب دون حقيقة أو أساس, أو أن الجوهر نفسه لهذا النص المتميز ينزع منى دموع الفرح؟

هز شابرو رأسه, برقة, ثم ذهب. مرت بقية الصباح فى كآبة, لم يكن لدىَ أى تعاطف بعد وفاة المؤلف آرتين, تصرفت كروح متألمة دون أن أدرك السبب. أرى زهرة الكاميليا فوق عشب المعبد. أعيد قطفها دون أمل قائم لكل هذا السقوط الذى هز قلبى المرير.

لقد امتزجت اليابان القديمة مع شقق تتساب منها الألحان السهلة وسعادة شخص يعزف على البيانو مقطوعة كلاسيكية, آه, ساعة رقيقة مرتجلة, تمزق شراع الكآبة والحنين.. فى جزء من الخلود, كل شئ يتغير ويتحول, مقطوعة موسيقية مهربة من قطعة مجهولة, حيث تتدفق المشاعر الإنسانية, أرخى رأسى برقة وأفكر فى الكاميليا فوق عشب المعبد, وفى كوب شاى، بينما الرياح فى الخارج تداعب أوراق الشجر الحياة التى هربت تتثبت فى أمل بدون غد ولا مشاريع, مصير البشر يتم إنقاذه من شحوب تتابع الأيام, تحميه وأخيراً يتجاوز الضوء, الزمن ويعانق قلبى المطمئن.

15

واجب الأثرياء

الحضارة, هى العنف السائد, الانتصار لا ينتهى أبداً منذ أول عدوانية بشرية, لأن هذه الأولية تصنعنا, أوليات تبقى فينا, بعض الكاميليا فوق العشب حيث نتعلم كيف تتمتع بها, هذه هى وظيفة كل تأديب وتهذيب, ما هو التأديب؟ هو عرض بدون انقطاع للكاميليا فوق العشب, إنها تصرفات غريزية, لا تتوقف أبداً, وتهدد دوماً التوازن الهشّ للحياة الآخرة.

أنا كاميليا, فوق العشب ولا شئ آخر, إذا فكرنا فى ذلك, فلا نعرف كيف نفسر وحدتى فى هذا المسكن الكئيب, مقتنعة منذ فجر وجودى لفراغه. كان من الممكن أن أختار التمرد, وأن أتخذ السموات شهودا على ظلم وجود مصيرى, منهكة فى منابع العنف التى تخبئها ظروفنا, لكن المدرسة جعلت منى روحاً يقودها فراغ مصيرى إلى الوحدة والعزلة, أعجوبة مولدى الثانى أعدت فى داخلى أرضاً لسيادة الغريزة, طالما أن المدرسة أنشأتنى يجب على أن أخضع لنوايا معلمى, فأصبحت بطاعتى وانقيادى صورة متحضرة.

فى الواقع, فعندما يستحوذ النضال ضد عدوانية الأوليات بأسلحتها الخارقة التى هى الكتاب والكلمات, ويصبح التعدى مريحاً, وهكذا أصبحت روحاً مثقفة أستمد من الصفحات المكتوبة, قوة المقاومة, لطبيعتى الخاصة.

وأيضاً, لقد فوجئت بقوة برد فعلى عندما رن أنطوان باللير بإلحاح ثلاث مرات على مسكنى, ودون أن يحيينى, توعد بعتاب وثرثرة أن يحكى لى عن اختفاء دراجته الصغيرة.. أغلقت الباب فى وجهه، وكأننى قررت أن أقطع ذيل قطى الذى يزمجر هناك.

قلت: "لا شئ مثل الكاميليا فوق العشب". وكما كان يجب أن أسمح لليو أن يعود لأحبائه, ففتحت الباب بسرعة بعد أن أغلقته. قلت بصوت لاهث: "معذرة".

نظر إليّ أنطوان باللير بمظهر شخص يتساءل إذا كان يرى جيداً ما رآه, أنه لن

يحدث شئ لا يتعين حدوثه فالأثرياء يقتنعون أن حياتهم تتبع خطا سماويا, وأن المال موجود بشكل طبيعى بالنسبة لهم.قال:

- نعم, حسنا بأى طريقة, لقد أتيت كى أعطيك هذا من طرف أمى.

ومد لى مظروفاً أبيض. قلت: "شكراً", ثم أغلقت الباب خلفه لمرة ثانية، وها أنذا فى مطبخى، مع المظروف فى يدى.

سألت ليو: "ترى ماذا لدي هذا الصباح؟"

لقد أذبل موت بيير آرتين زهور الكاميليا الخاصة بى.

فتحت المظروف، وقرأت الكلمة الصغيرة المسجلة على ظهر بطاقة زيارة أشد برودة من الحبر, مسجلة على أوراق النشاف التى انسالت بخفة, وراء كل حرف.

"السيدة ميشيل.. هل يمكنك استقبال باقات زهور بعد الظهيرة!.. سوف أمر لآخذها من مسكنك فى المساء.. شكراً مقدماً.. (توقيع مخربش)

لم أنتظر أبدا مثل هذا التكتم في الهجوم, والتماسك, تركت نفسى أسقط فوق المقعد الأقرب, تساءلت إذا كنت مجنونة قليلاً, هل هذا يترك لى التأثير نفسه, عندما يحدث نفس الشئ معك؟

خذ:

القط ينام. وقراءة جملة صغيرة, لا توقظ فيك أى مشاعر من الألم, ولا أى توهج من المعاناة؟ إنه أمر طبيعى. الآن القط ينام. أكرره من أجل أى غموض لا يدوم: القط ينام.. القط ينام, هل يمكنك أن تستقبل؟.

من ناحية, لدينا هذا الاستخدام الإعجازى الذى يفصل بين الحريات واللغة, فمن الطبيعى أن لا نضع إطلاقا قبل أدوات الربط, وأن نأخذ بالشكل:

لقد قاموا بعتابى كثيراً, من أجل الحرب, ومن أجل السلام, ومن ناحية أخرى,

لدينا انسيال فوق مخطوط لسابين باللير ناقلا الجملة من فاصلة لتصبح قبضة.

هل يمكنك استقبال باقات الكى بالبخار؟

كانت سابين باللير شخصية مثالية, مولودة تحت شجرة تين فى فارو, بوابة هاجرت حديثا من بيمتو, لديها نقص عقلى, ورثته من قيم متسامحة أسرية الذى يمكننى أن أصفح من كل قلبى عن هذه اللامبالاة المدانة, لكن سابين باللير شخصية ثرية, سابيين باللير هى زوجة لشخصية مهمة كبيرة فى مصنع الأسلحة, سابيين باللير هى أم لأحمق يرتدى معطفاً أخضر صنوبريا, ستذهب لبث تفاهة أفكارها الصغيرة فى مجلس وزارة العدل, وسابين باللير هى بالإضافة لذلك ابنة عاهرة فى معطف فراء تمثل فرداً من لجنة القراء لإحدى دور نشر لديها العجيب من المجوهرات.

لكل هذه الأسباب, فإن سابين باللير هى امرأة لا تغفر لها الشهرة والثراء, لمن تفيد الرأفة والغفران فى الحياة, وفريضة القوة فى بواعث الجمال غير صالح للتفاوض. اللغة هذه الثروة الإنسانية, واستخداماتها, هذه التهيئة من الوحدة الاجتماعية مقدسة, تتطور مع الأمن وتتحول وتتناسى, وتتولد من جديد بينها أحياناً تصبح المخالفة مصدراً لخصوبة كبيرة, فى الواقع ألا نأخذ منها هذا الحق فى اللعب, والتغير, يجب أولا أن تعلنهم بالخضوع التام نخبة المجتمع, صارت هذه المهمة الشخصية المزدوجة تتعبد وتحترم جمال اللغة, وأخيراً فإن سابين باللير أساءت استعمال تنقيط الحروف فى تجديف أكثر مهابة, مما هو عليه فى الوقت نفسه, شعراء رائعون مولودون فى عربات عفنة ومدن قذرة لديها هذه الموهبة المقدسة التى تنسب إلى الجمال.

إن الأغنياء, أمامهم واجب حقيقى, وإلا فإنهم يستحقون الموت.

انها النقطة المحددة, لأفكارى غير المهمة التى يدق من أجلها شخص ما على مسكنى.

فكرة عميقة رقم 7

أن تبنى

أنت تعيش

أنت تموت

هكذا تكون النتائج

كلما مر المزيد من الوقت, أصمم أكثر على أن أشعل النيران هنا, دون أن أتكلم عن موضوع انتحارى. يجب أن نضع هذا فى الحسبان, لقد أخذت قطعة صابون من أبى, لأننى وبخت أحد مدعويه الذى قال شيئاً كاذباً, فى الواقع, فإن هذا هو والد تيبير, تيبير هو صديق أختى, يعد رسالة ماجستير مثلها, لكن فى الرياضيات, عندما أفكر فى ما يسمى صفوة.. الاختلاف الوحيد الذى أراه بين كولومب, وتيبير هو أصدقائها, جماعة من الشباب "الشعب" هكذا تسميهم ورفاقها الأكثر غباءً, هذا يشرب, وذاك يدخن, أو يتكلم بلهجة أهل المدينة, وهذا يغير من كلمة "صادق" أو أيضاً كل (م. أ) "مديرو الأبحاث" الذين تم تعيينهم منذ عامين الذين تخطوا المستوى القانوني, لا يجب تلويثه مع مديرى الموضوعات (كل نفقات الأمس), لدينا الحق فى الواقع أن الشقراء (ج. ب) العالمة بأصول الإنجليزية, شقراء كذلك, ومستوى أعلى: مؤتمر ماريون, إنها إجابة. عندما قال إن الوجود ليس الصفة الأولى لله.. كذلك بعد غلق ملف عالمة الإنجليزية الشقراء كيف تريد أن أفكر, ها هو يردد بكلمة مفهومة, ليس لأنه ملحد فهو غير قادر أن يفهم قدرة علم الإنسان الميتافيزيقى, نعم من وجهتى, هناك القوة الاستثنائية, وليست الحقيقة, وماريان, هذا القديس القذر, إنه يؤكد على لين العريكة. هه, هذا يبعث على الهدوء.

اللآلئ البيضاء

على أكمامى الساقطة عندما يمتلئ القلب

نحن نفترق

أحملها

كذكرى منك

بدأت فى وضع الكريات, فى طحالب صفراء لأمى كوكيتشو وأنا أقرأ فى مختارات من الشعر اليابانى الكلاسيكى يمتلكها أبى, ولا أسمع حديثهما المتدنى وبعد, فإن كولومب, وتيبير يظلان وحدهما وبثيران ضجيجا سخيفاً, وهما يعرفان جيداً أننى سأسمعهما مصيبة فاقت الحد, ظل تيبير يتناول العشاء لأن أمى دعت والديه, والد تيبير هو منتج سينمائى, وأمه لديها معرض للفن على رصيف السين, كولومب منبهرة تماما بوالدى تيبير, ستذهب معهما فى عطلة نهاية الأسبوع القادمة إلى فينسيا, إنه تخلص جميل منها, فسوف أعرف الهدوء طوال ثلاثة أيام.

عند العشاء, قال والد تيبير: كيف لا تعرف آل "جو" تلك اللعبة اليابانية المدهشة؟ لقد أنتجت فى هذه الفترة اقتباساً من ساشان بطلة جو, إنها لعبة فا – ت – نة – هى المعادل اليابانى للشطرنج.. هناك أيضاً اختراع نحن مدينون به إلى اليابان, إنه فا- ت- ف. أذكر لكم!.. ثم بدأ فى شرح قواعد لعبة الجو, إنها بغير ذات أهمية, فالصينيون هم الذين ابتكروا الـ "جو", وأنا أعرف لأننى قرأت مجلة النحو الدينية عن لعبة الجو. اسمها "هيكارو" وليست "جو", وكلا اللعبتين ليستا معادلين يابانيين للشطرنج.. على كل, فهى لعبة على لوحة, من خلال مواجهة بين خصمين, مع قطع بيضاء وسوداء, إنهما مختلفتان اختلاف الكلب والقط, ففى الشطرنج يجب أن تقتل كى تكسب, فى الـ "جو" يجب أن تبنى كى تعيش, وفى الألعاب الثلاثة بعض القواعد المعلنة عنها من أن ولد غبى وأبله كانا مغلوطين, وهدف اللعبة ليس هو أكل الآخر لكن بناء المزيد من الأراضى الكبرى, قاعدة أخذ أحجار الخصم تقضى بأن يمكن الانتحار وهذا من أجل أخذ حجارة معادية, وليس منع شكلى للذهاب إلى هناك حيث تأخذ بشكل آلى..الخ.

السيد أ ح – ب – ال – عالم – بثرة: "نظام تقسيم للاعبين يبدأ فى واحد كيو, وبعد ذلك يصعد فيها إلى 30 كيو, ثم بعد أن يمر فى أول دان ثم الثانى, الخ

لم أستطع أن أتماسك فقلت: لا, هذا فى النظام المعاكس: يبدأ ب 3 كيو وبعد ذلك تصعد حتى واحد كى. لكن معذرة, أنا لا أعرف – ما – فعلته – أعترض بشكل

سيىء: "لا يا آنستى العزيزة, أعتقد أننى على حق.. أشرت بالرفض برأسى بينما راح أبى يدعك رموشه وهو ينظر لى, المصيبة أنه تم إنقاذى من تيبير, لكن, يا أبى, إنها على حق.. واحد كيو هو الأقوى, تيبير هو عالم رياضيات, ويلعب الشطرنج والجو. أكره هذه الفكرة, الأشياء الجميلة يجب أن تنتمى إلى الناس الجميلين, لكن دائماً والد تيبير على خطأ, بعد العشاء قال لى بغضب: "لم تفتحى فمك إلا لتسخيف ضيوفنا, ماذا كان على أن أفعل, أن أفتح فمى مثل كولومب كى تقول: "برمجة أشجار اللوز تجعلنى حائرة, وهى غير قادرة أن ترجع إلى كلام راسين, أو أن تتكلم عن رؤية الجمال.. أفتح فمى كى أقول مثل أمى, يبدو أن بينالى العام الماضى كان مخيباً للآمال, إنها تقتل نفسها من أجل معاناتها وهى تتركها تحترق مثل لوحة فرمير.. أن افتحَ فمى كى أقول مثل أبى "الاستثناء الثقافى الفرنسى هو حيرة نافذة", فى كلمة قريبة مما قاله فى ستة عشر عشاءً سابقا, "اليوم فى باريس لن تجد المزيد من الجبن الجيد" دون أى اعتراض. هذه المرة, مع طبيعته العميقة كتاجر لمنقوع الصمغ

عندما أفكر فى "جو" فهى لعبة هدفها بناء الأراضى, إنها لعبة جميلة بقوة, يجب أن تكون هناك أوجه معركة, لكن هذه ليست سوى وسائل خدمة النهاية, أن تعيش الأراضى, واحدة من نجاحات اللعبة, إنها تثبت أنه كى تكسب, يجب أن تعيش, وأن تترك الآخر يعيش, والأكثر جشعاً يفقد الجزء الأكبر: إنها لعبة يجب أن تحقق المزيد دون أن تحطم الآخر, أخيراً فالحياة والموت ليستا ظروف بناء جيد أو سيىء, إنه مثلما قالت إحدى شخصيات تانيجوشى: أنت تعيش أنت تموت, إنها الظروف, هذه هى حكمة الـ "جو" وحكمة الحياة.

الحياة, الموت, ليسا سوى نتاج ما نبنته, من يقوم بالعد, هون من يبنى جيداً, إذن لقد منحت نفسى كرها وإرغاماً جديدا, سوف أتوقف عن عدم العمل, عن التدمير: حتى كولومب: سأجعلها تعمل أشياء إيجابية, من يقوم بالعد يظل يعمل حتى لحظة الموت, فى يوم 16 يونيه القادم, أريد أن أموت وأنا أبنى.

16

كآبة القط كونستيو

طرق شخص الباب، فوجدت الفاتنة أوليمب سان – نيس، ابنة الدبلوماسى فى الدور الثانى، أحب اوليمب سان – نيس كثيراً، أجد أنها تتمتع بسمات متميزة كى تستمر على قيد الحياة باسم سخيف، خاصة عندما نعرف أنه مضحك ما "إيه.. أوليمب، أستطيع أن أصعد فوق مرتفعاتك" على طول مراهقة، تبدو وكأنها لا تنتهى ، بالإضافة إلى أوليمب سان – نيس لا تتمنى حب الظاهر، تصبح ما يقدمه لها ميلادها، لا تتطلع إلى زواج ثرى، ولا إلى منابع القوة، ولا إلى الدبلوماسية، وأيضاً إلى نجومية أقل، أوليمب سان نيس، تريد أن تصبح طبيبة بيطرية.

صرحت لى ذات يوم فى الإقليم عندما كنا نتحدث عن القطط أمام ممسحة الأقدام الخاصة بى: فى باريس لا يوجد سوى الحيوانات الصغيرة، أريد أيضاً بقرات، وخنازير.

أوليمب لا تتبع أبداً أى سلوك، مثل بعض المقيمين فى العمارة، كى يعنى أنها تتحدث مع البوابة لأنها تربت جيداً مع اليسار. دون رأى مسبق تكلمنى أوليمب لأن عندى قط، وهذا ما يدمجنا نحن الاثنين فى تجمعات ذات مصالح مشتركة، ثمنها العادل هذا الاستعداد الذى وضع الحواجز التى يضعها المجتمع بدون توقف على طول طرقاتنا المضحكة.

قالت لى عندما فتحت لها الباب: "يجب أن أحكى لكِ ما حدث مع القط كونستيو". قلت لها: "ادخلى. أمامك فقط خمس دقائق".

ليس فقط أمامها خمس دقائق، لكنها سعيدة تماماً أن تجد أن شخصا يحدثها عن القط والمآسى الصغيرة للقطط، فظلت ساعة شربت خلالها خمسة أكواب من الشاى.

نعم، أحب فعلا أوليمب سان – نيس.

"كونستيو" هو قط صغير، رائع ذو زغب كراملى اللون، وأصابع وردية ناعمة، له

شارب أبيض، وسيقان بنفسجية اللون، ينتمى إلى أسرة جوس، ومثل كل الحيوانات ذوات الزغب فهو يميل إلى أوليمب، إلى أقل قدر من الضراط عند المشى، حسنا، هذا الشئ عديم الجدوى، لكنه عاطفى، عمره ثلاث سنوات، يموء دائماً طيلة الليل، مما يحطم نعاس ملاكه.

سألت فى لحظة ما: لماذا؟ لأننا منهمكون فى الغطيط، حيث يرغب كل واحد أن يؤدى دوره بكفاءة.

قالت أوليمب: "إنه التهاب المثانة، التهاب المثانة".

لم تبلغ أوليمب سوى التاسعة عشر، وتنتظر بجنون لا يُحتمل أن تلتحق بكلية الطب البيطرى، وهى تنتظر وتعمل بلا انقطاع، وتأسف تماماً وهى تستمتع بالشرور التى تضر بحيوانات العمارة، والوحيدة التى يمكنها أن تختبرها بالتجربة. كما أنها أعلنت لى تشخيص التهاب المثانة.

هتفت بكل حماس: "التهاب المثانة".

تنهدت، وقد لمعت عيناها: "نعم، التهاب مثانة الصغير المسكين، يتبول فى كل مكان- واستعادت أنفاسها قبل أن تشرع فى الأحسن – كان بوله ينزف بشكل ضعيف!

يا الهى، كم أن هذا رائع، قالت أن هناك دماً فى بولها، الأمر سرعان ما تمت معرفته، لكن أوليمب ترتدى ملابسها بشئ من الانفعال، وقد حملت مسئولية المصطلح الطبى بشكل خاص أحسست بالسعادة، وأنا أسمع مثل هذا الكلام، هناك شئ قليل النزيف فى البول.. وبالنسبة لى فإنها جملة خلاقة ترن بقوة فى الأذن، وأستدعى عالما فريدا يتسلى به من الأدب. لهذا السبب، فإننى أحب قراءة التعليمات الطبية والالتزام بدقة، المصطلح العلمى الذى يعطى معنى القسوة، رعشة البساطة وأستدعى حيزاً زمنياً، فيه يغيب المجهود نحو الجمال، والمعاناة الخلاقة وجذب بلا نهاية وبلا أمل فى الآفاق البعيدة السامية.

أكملت أوليمب: "هناك مبحثان مختلفان بالنسبة لالتهاب المثانة، أن تكون جرثومة معدية أو فشل كلوى، لقد جربت مثانته أولا، كى أتحقق أنها لم تبدأ فى الاحتباس".

قلت مندهشة: "احتباس".

شرحت أوليمب: "عندما يكون هناك فشل كلوى فإن القط لا يمكنه التبول, فإن مثانته تمتلئ, وتشكل نوعا من "الاحتباس البولى" يمكن أن تحسها حين تجس البطن, لكن ليست هذه هى الحالة ولا يبدو عليها أنها تتألم عندما كنت أفحصها فقط, فهى تستمر فى التبول فى كل مكان".

لديّ فكرة عن غرفة معيشة سولانج جوس التى تحولت إلى فراش عملاق ملئ بالكاتشب, لكن بالنسبة لأوليمب فالأمر لا يعدو أن يكون خسارة مضاعفة. لقد قامت سولانج بعمل تحاليل للبول. "كونستانتو" ليس لديه شئ, ليس هناك فشل كلوى, وليست هناك جرثومة داخلية فى مثانته الصغيرة كالفستق, ليس هناك علاج بكتريولوجى مطروح, وعلى هذا ورغم كل المضادات للالتهابات, ومضاد للتشنجات والمضادات الحيوية, فإن "القط" كان عنيداً. سألت: "ماذا به إذن؟"

قالت أوليمب: "لن تصدقينى, إنه مصاب بالتهاب مثانة لا ينتقل بالعدوى بين الخلايا". قلت بشكل مفتتن ومغرى: "يا الهى. ما هذا؟".. أجابت أوليمب ضاحكة:

- حسناً, كأن تقول أن القط مصاب بهستيريا معدية, هذا يعنى أن التهابات المثانة لا تنقل العدوى دون أى سبب طبى محدد. باختصار عندما تضغط, فإنها تصاب بالتهابات المثانة, بالضبط مثلما عند النساء.

تساءلت بصوت عال:

لكن لأى سبب تضغط؟ فإذا كان كونستانتو فى حياته اليومية حيوان كسول, فليس هذا سوى مصطلحات بيطرية مزعجة تتضمن أن ندلك له المثانة, وبدافع الضغط.

- قال الطبيب البيطرى, القط وحده يعرف.

- من ناحية أخرى, قال لها بول جوس انها بدينة, لا أعرف, هذا يعنى انه لا أهمية.

- وكيف نعتنى بها؟

قالت أوليمب وهى تمزح مثل البشر, نعطيها بروزاك.

قلت: بدون سخرية.

أجابتنى: بدون سخرية.

لقد أخبرتكم جيداً. أنه قط يعانى من نفس المتاعب التى تصيب النساء المتحضرات, لا يجب أن تجعلها تصرخ بإهانة على العدوى من الإنسان من كائن أليف برئ, بل على العكس, فالقوة العميقة تنسج مصائر الحيوانات, ونفس الشهية, فنحن نعيش, نفس المتاعب, التى نعانيها.

قالت لى أوليمب:

- على كل حال, هذا يجعلنى أفكر عندما أعتنى بالحيوانات التى لا أعرفها

ثم قامت, واستأذنت برقة.

- حسنا, شكراً, يا سيدة ميشيل, لا أقدر على الكلام عن كل هذا إلا معك.

قلت لها: "العفو, يا أوليمب, كم أسعدنى هذا".

وتأهبت لإغلاق الباب، وهى تقول لى:

- آه, هل تعرفين, أن آنا آرتين سوف تبيع شقتها, أعنى أن يكون لدى السكان قطط, هم أيضاً.

17
مؤخرة طائرة الحجل

آنا ارتين تبيع!

قلت إلى ليو: "آنا آرتين تبيع!"

أجابنى أو على الأقل أحسست بهذا: "وماذا؟"

أعيش هنا منذ سبعة وعشرين عاماً, لم تغير أى شقة أسرها, لقد تركت العجوز السيدة موريس مكانها إلى الشابة السيدة موريس أو شئ من هذا القبيل, أما بالنسبة لآل بادواز, وآل جوس, وآل روزن فإن آل آرتين قد وصلوا فى نفس الوقت الذى وصلنا فيه, لقد أصابتنى الشيخوخة معاً, أما بالنسبة لآل بروجلى, فهم هنا منذ وقت طويل جدا, يشغلون نفس الأماكن, مما أعرف ما هو سن السيد المستشار, لكنه شاب, يبدو عجوزاً, ورغم أنه عجوز, فإنه يبدو شاباً.

كانت آنا آرتين هى الأولى - فى فترتى كبوابة - التى باعت ممتلكاتها وغيرت اسمها بشكل فضولى هذا المنظور أخافنى, هل أسكن منذ بدايتى الخالدة داخل منظور تغيرت فرضياته, وغرقت فى نهر الزمن, منذ أن كنت دارسة, نحن نعيش كل يوم كأننا يجب أن نولد من جديد غدا والبناية القمامة فى 7 شارع جرنيل, تتحرك - صباحاً بعد صباح - إلى وضوح الخلود تبدو لى فجأة مثل جزيرة صغيرة تناوشها العواصف.

قوة مزعزعة, أمسكت سلتى ذات العجلات تاركة ليو هناك, وهو يزمجر خفيفاً, يوجهنى بخطوة مترنحة نحو الممشى, وعلى جانب شارع جرنيل, ثم شارع بك, موثق عقود رابط الجأش لهذا الورق المقوى المستعمل, نظرت إلى جيجن نظرة قريبة, كأننى وقعت فريسة لعنكبوت.

قال لى وهو يضحك ويمزح: "حسنا, الأم ميشيل, مازالت قطتك مفقودة".

هناك على الأقل شئ لا يتغير: جيجن متشرد, منذ بضع سنوات يقضى الشتاء هنا, فوق هذا الورق المقوى الحقير, فى زى فخم قديم يعطيه الإحساس أنه مفاوض روسى من نهاية القرن, وهو يرتديه, عابراً الزمن بكل دهشة.

قلت له كالعادة: "يجب أن تذهب إلى المنزل, سوف يكون الليل شديد البرودة"

برطم: "آه, آه, إلى المنزل, أريد أن أراك أنت هناك, الجو هنا أفضل".

مررت فى طريقى, ثم تملكنى الندم, وعدت إليه.

أريد أن أقول لك.. ان السيد ارتين مات هذه الليلة.

سألنى جيجن, وقد بدا اللمعان فجأة فى عينيه, موجها خرطومه مثل كلب صيد ومؤخرة طائرة الحجل: "الناقد؟"

- نعم, نعم, الناقد, توقف قلبه فجأة.

كرر جيجن, وقد بدا عليه التأثر تماماً: "آه أخرق, آه إنسان أخرق".

سألت, كى أقول أى شئ: "هل تعرفه؟"

كرر المتشرد: "آه أخرق, إنسان أخرق, هل يجب على الأفضل أن يرحلوا أولاً؟"

خاطرت أن أقول, مبغوتة بدوران الذى تأخذه الأشياء. أجاب جيجن:

- أيتها الأم ميشيل هناك شباب, لم يفعلوا مثلما فعل. آه, الأخرق "كرر" سوف أفتقد هذا الشخص المتسامح.

- هل أعطاك شيئاً ما, ربما مبلغاً لعيد الميلاد؟

نظر جيجن إلى, وهو ينفخ, ويبصق أسفل قدميه.

- لا شئ, فى عشر سنوات, ولا مليم, ماذا تعتقد آآآه, لا شئ يقال.

- إن سماءه المقدسة, لم تفعل شيئاً, لم تفعل شيئاً أبداً.

هذا التبادل الصغير يقلقنى، وبينما أمسح ممر الممشى ملأ جيجن داخلى بكل الأفكار, فأنا لم أقرض قط الفقراء ذوى النفوس الكبرى تحت ادعاء أنهم فقراء, ولكن بسبب ظلم الحياة, لكن أعتقد أنهم على الأقل يجمعهم حقد الملاك الكبار, لقد هدانى جيجن وعلمنى ذلك: "إذا كان هناك شئ فإن الفقراء يكرهون بعضهم, إنهم فقراء آخرون". فى الواقع, فهذا ليس عبثياً.

اجتزت الممشى بشكل مباشر, متجهة إلى ركن الأجبان, اشتريت جبناً حريفاً وقطعة صغيرة من اللحم.

18

ريابينين

عندما أكون خائفة، فإنني أبحث عن ملجأ لست في حاجة إلى السفر، وأذهب لألحق بأفلاك ذاكرتي الأدبية، تكفي أن أمارسها، لأن هذا أكثر نبلاً، أليس كذلك، وأكثر تسلية في الصحبة، أي أكثر تأثير لذيذ من الأدب!

ها أنذا إذن فجأة أمام معرض الزيتون، وأنا أفكر في ريابينين. لماذا ريابينين؟ لأن جيجن يرتدي ردنجوت متهالك، به رقعة طويلة مزدانة بالأزرار منخفضة من الخلف.

مما جعلني أفكر في ريابينين، في "أنا كارنينا". ريابينين، مفاوض في الغابة يرتدي الردنجوت، جاء إلى منزل ليفين الأرستقراطي الرقيق كما يبرم عقد بيع مع ستيبان أوبلونسكي الأرستقراطي الموسكوفي. المفاوض أقسم بكل الآلهة أن أوبلونسكي كسب الرهان بينما اتهمه ليفين بسلب صديقه في الغابة يساوي ذلك ثلاث مرات. المشهد سبقه حوار سأل فيه ليفين أوبلونسكي إذا كان قد قام بعد الأشجار في غابته.

هتف الرجل: كيف أعد هذه الأشجار أشبه بعد الرمال في البحر!

عكس ليفين حجته معلقا: "كن واثقاً أكثر أن ريابنيين قد عدها".

أتذكر بصفة خاصة كل تفاصيل هذا المشهد، أولا لأنه دار في بكروفسكري، في الريف الروسي، آه.. في الريف الروسي، هناك هذا السحر الخاص جدا.. بيقع متوحشة متوحدة مع الإنسان بواسطة قوة هذه الأرض التي صنعناها جميعاً.. المشهد الأجمل في "أنا كارنينا" يدور في بوكروفسكوي، ليفين حزين ومكتئب محاولا نسيان كيتي، إنه الربيع، أنه يذهب إلى الحقول يحصد مع فلاحيه، يبدو له الواجب أولا شديد القسوة والخشونة، وفيما بعد، يصرخ عالياً، وعندما قادني الفلاح العجوز إلى خط ينظم عمله، راح الحصاد يستعيد نشاطه من جديد، سقط ليفين منهكاً، لكن في مرة ثانية نهض العجوز، مستريحاً واستعاد الخط مساره، أربعون شاباً يقومون بالحصاد، يتقدمون نحو النهر، بينما الشمس تشرق، ويزداد الجو حرارة شيئاً فشيئاً، وقد تبللت

أذرع وكتفا ليفين بالعرق، لحساب التوقف ومعاودة العمل، فإن حركاته أولاً يسارية ومؤلمة تؤدى بأسلوب سهل شيئا فشيئاً.. طراوة تبعث السعادة غطت فجأة على ظهره، مطر الصيف، تخفف حركاته وتعرقل إرادته، دخل فى تحول خفيف يعطى للتميز مشهداً آلياً وداعياً، دون تفكير أو حساب، ويحرك الغلط نفسه بينما ليفين يبتهج لهذا النسيان فى الحركة التى تسبب السعادة، وتحدث دهشات غريبة لمجهود الإرادة.

وهكذا نجد اللحظات الجميلة لوجودنا، متخفية من عبء القرار، تتماوج النيات فوق بحارنا الداخلية، تحضر أفعال الآخر في حركاتنا المتعددة، ونحن نعجب دائماً بالإرادة المتميزة، أى سبب آخر يمكننى أن أكتب عنه، هذه اليوميات الساخرة لعجوز تشيخ إذا لم تمسك الكتابة نفسها بفن الحصاد؟ عندما تصبح الخطوط خالقها، عندما أتواجد، أصير مثل مجهول إعجازى، تولد الجمل فوق الورق التى تهرب من إرادتى، وتفسخ رغماً عنى على الورق، تعرّفنى ما لا أعرفه ولا أؤمن به، أتمتع بهذه الولادة بدون ألم لهذا الوضوح غير المحدد، أتابع بدون جهد ولا يقين، بسعادة الدهشات المخلصة، ريشة تقودنى وتحملنى.

وهكذا أدخل بكل وضوح وبنسيج داخلى، فى نسيان ذاتى محاصراً للمتعة، أتذوق السعادة فى الوعى الهادئ لمشاهدى.

أخيراً، صعد إلى العربة، ريابنيين شكا بقلب مفتوح إلى تابعه على طريقة السادة المهذبين.

سألت بشجاعة: "وبالنسبة لمسألة الشراء يا ميكائيل اجناتيتش؟"

أجاب المفاوض: "هيه.. هيه"..

مثلما نتحاسب بسرعة، من الظاهر ومن الوضع، وذكاء الكيان.. ريابتيين الذى كان يعد رمال البحر، مضحك حاذق. ويدوى لامع، لم يعالج الأحكام التى يحملها على شخصيته، ولد ذكياً ومنبوذاً، المجد لا يجذبه، فقط يلقيه فى الشارع مع وعد الاستفادة، والمنظور أن يذهب كى يسلب بأدب سادة نظام غبى يكن له الاحتقار، لكنه لا يعرف كيف يفرمله، وهكذا أنا.. بوابة مسكينة، مهتمة بغياب الأبهة – لكنها خاضعة لنظام يتصاعد بمهابة - أتهكم بكل رقة، كل يوم وبضمير داخلى لم يدخل

فيه أحد من قبل.

فكرة عميقة رقم 8

إذا نسيت المستقبل

فأنت تخسر

الحاضر

اليوم ذهبنا إلى شانو لرؤية مامى جوس (أم أبى) التى تقيم فى دار المسنين منذ أسبوعين, ذهب أبى معها عندما استقرت هناك, ذهبنا جميعاً, مامى لا يمكنها أن تعيش وحدها فى مثل هذا المنزل الكبير فى شاتو: فهى تقريبا عمياء, ولديها التهاب مفاصل وغير قادرة تقريباً على المشى, أو أن تمسك شيئاً بيديها, هى خائفة من الوحدة, أطفالها لـ أبى, وعمى فرانسا, وعمتى لور, حاولوا أداء العمل مع ممرضة خاصة, لكنها لم تتمكن من البقاء أربعا وعشرين ساعة, دون أن تعد صديقات مامى اللاتى كن أيضاً فى منزل المسنين, وبدا هذا حلا طيباً.

منزل معاش جدتى, هو شئ ما, أتساءل كم يتكلف فى الشهر, غرفة جدتى واسعة ومشمسة وبها أثاث جميل, وستائر بديعة, وصالة صغيرة, وبانيو من الرخام, واندهشت أمى وكولومب أمام البانيو الرخامى, وكأن هذا هو الأقل أهمية بالنسبة لجدتى أن البانيو من الرخام وأن أصابعها من الخرسانة.. زيادة على أن الرخام قبيح, لم يقل أبى شيئاً مهماً, أعرف أنه يحس بالذنب لأن أمه تعيش فى دار المسنين, لن تذهب دون أن نأخذها معنا؟ قالت أمى عندما اعتقدتا الاثنتان أننى لم أسمع "لكنى أسمع كل شئ, خاصة ما لا يخصنى", ردد أبى "لا, سولانج, بالتأكيد له.. وذلك بصوت يعنى أن يقول: "أفعل, مثلما أفكر فى العكس وأنا أقول "لا, لا" بمظهر ملول ومستسلم, زوج طيب يستسلم, وهكذا حفظت الدور.. أعرف جيداً هذه النبرة عند أبى, إنها تعنى "أعرف أننى جبان ولكن لا أجد علي أن أقول ذلك لنفسى".. كما قالت أمى وهى توازن بغضب ممسحة فى الحوض, بمجرد ما تكون غاضبة وجادة يجب أن تلقى شيئا ما.. ذات مرة, ألقت بالقط كونستانتو, ألم تعودى ترغبين في استعادة ذلك وهى الممسحة وتحركها تحت عينى أبى الذى قال "على كل.. لقد حدث ذلك, طالما أن كلمة "جبان" تساوى طاقة عشرة".

أنا سعيدة أن جدتى لم تأت لتعيش معنا, فى مساحة أربعمائة متر مربع. لن تكون هناك مشكلة, أجد أن العواجيز لديهم الحق فى أن نكن لهم بعض الاحترام, ومع ذلك, أن تكون فى منزل العجائز, بالتأكيد هو منتهى الاحترام, وعندما نذهب إلى هناك فهذا معناه "لقد انتهيت" أنا لم أعد شيئاً, كل العالم يفهمون ذلك, ومن بينهم أنا.. لا تنتظر سومى شيئاً واحداً, الموت, هذه النهاية الحزينة للملل, لا, السبب الذى من أجله أرغب أن تأتى جدتى عندنا - حتى وإن كنت لا أحب جدتى - فهى عجوز قذرة, بعد أن كانت شريرة شابة, أجد هذا أيضاً أنه غير عادل: خد مثلاً, عندما يصبح المرء عجوزاً جدا, وأنه لم يفعل سوى الخير من حوله, أو أنه يعرف كيف يخلق الحب, ويمنحه .ويأخذه, فهو ينسج العلاقات الإنسانية الحساسة, زوجته ماتت, أطفال لا يملكون أى نقود, لكن هم أيضاً يملأهم الأطفال الذين يجب أن يولدوا وتتم تربيتهم, بالإضافة إلى أنهم يسكنون فى أطراف فرنسا, يضعونهم فى دار المسنين قريباً من قرية حيث ولدوا, وحيث لا يمكن لأطفاله الحضور لرؤيته مرتين فى العام, ودار المسنين للفقراء حيث يجب أن يشاركه أحد غرفته, وحيث يزداد معدل التهام الطعام, وحيث يناضل الشخص ضد ثقته فيما يتكبده فى اليوم نفسه الذى يخرج متألماً من دار المسنين, خذ الآن جدتى كمثال, فهى لم تقم شيئاً فى حياتها سوى مجموعة كبيرة من حفلات الاستقبالات، والابتسامات، والمكائد, والمصاريف الخفية, والخبيثة.. وأعتبر أن لديها الحق فى غرفة غنج, صالة خاصة, وأصداف سان - جاك للغداء عند الظهيرة, هل هذا هو الثمن الذى ندفعه فى الحب, نهاية الحياة, دون أمل فى اختلاط قذر؟ هل هذه هى مكافأة فقدان الشهية الفعالة, بانيو من الرخام فى بناية مهشمة!

إذن, أنا لا أحب جدتى التى لم تحبنى كثيراً, على العكس فهى تعشق كولومب أكثر مما أفعل, فهى تترقب الميراث, أما أنا فلم أترقب أبداً هذه المسألة, أعتقد أن هذا اليوم فى شاتو سيكون مليئاً بالإمكان، وكولومب وأمى تستمتعان بالبانيو, وأبى الذى يبدو عليه أنه التهم مظلته, وعواجيز يتجففون ويغنون فى الممرات مع كل حقن متواصل, مجنونة "مصابة بألزهايمر" قالت كولومب دون أن تضحك!, التى تسمينى "كلارا جميلة".. صرخت ثانيتين بعد أن قادت كلبها لتوها وهى تمد لى خاتمها الماسى الضخم, كمحاولة للهروب! كما أن موظفى البيت أيضاً لديهم سلسلة إليكترونية يضعونها حول المعصم, عندما يحاولون إخراج الحامل من دارها, يتجهون نحو الاستقبال المنهزم "الجبان", ومن يحتج بقوة ليس أمامه سوى الذهاب

إلى معسكر الاعتقال "الجولاج"، يطلب أن يتكلم إلى المدير بحركات غريبة حتى يلصقونه بمقعد متحرك.. السيدة التى وخزت خصمها العابر تغيرت بعد الغذاء، أضفت صفة الهروب على هيئتها، فستان فقط مع دوائر تملأ الثوب كله، عملى جدا كى يتسلق الأسوار. باختصار فى الساعة الثانية بعد البانيو، وقواقع سان جاك، والهروب الاستعراضى لأدمون دانت، كنت مؤهلة لمواجهة اليأس.

لكن فجأة تذكرت أننى قررت أن أبنى، وليس أن أهدم، نظرت حولى وأنا أبحث عن شئ إيجابى، وأنا أتجنب النظر إلى كولومب، لم أجد شيئاً، كل هؤلاء الناس الذين ينتظرون الموت لا يعرفون كيف يتصرفون، ثم تحدث معجزة، لقد أعطتنى كولومب الحل. نعم، كولومب، عندما رحلنا، بعد أن عانقنا جدتى ووعدناها أن نعود قريباً، قالت لى أختى: "حسناً، جدتى تبدو مرتاحة فى مقرها، أما الباقى.. سوف نتعجل النسيان بسرعة شديدة، لنناقش موضوع التعجل بسرعة شديدة، إنه سيكون حقيراً ونركز على فكرة "النسيان بسرعة شديدة".

على العكس، يجب ألا ننسى الموضوع، لا يجب أن ننسى كبار السن ذوى الأجساد المتهالكة، هؤلاء العواجيز المشرفون على الموت، والشباب الذين لا يريدون التفكير فى هذا حينئذ، يرسلون بالولدين العجائز إلى دار المسنين، بعناية وأن نصحب آباءهم دون فضيحة ولا ارتباك، وجو السعادة فى الساعات الأخيرة التى يجب أن نستغلها فى الأعماق وإن فى الملل والمرارة والتكرار، يجب ألا ننسى أن الجسد ينهك وأن الأصدقاء يموتون، وأن كل شئ سوف يُنسى وأن النهاية تصبح وحيدة، ولا ينسى أيضاً أن هؤلاء العواجيز كانوا شباباً، وأنهم كانوا فى سن العشرين يوماً ما وأصبحوا فى الثمانين فى اليوم التالى.

كولومب تؤمن أنها يمكن أن "تتعجل النسيان" لأن هذا بعيد بالنسبة لها، منظور الشيخوخة عندها لن يصل أبداً إليها.. أما أنا، فأدركت أن الحياة تمر فى اللا زمن، ونظرت إلى البالغين حولى، وهم فى عجل تحت ضغوط حلول الأجل متلهفين اليوم الحاضر، لا يفكرون فى الغد.. نحن نخشى الغد، لأننا لا نعرف كيف نبنى الحاضر، وعندما نعرف كيف نبنى الحاضر، فإننا سوف نحكى ما يمكن أن نفعله غداً، هذا فاشل لأن غدا ينتهى دائماً بأن يصبح اليوم، هل تصدقون هذا؟

إذن، لا يجب أبدا أن ننسى هذا، يجب أن نعيش هذه الحقيقة وأننا سنشيخ، ولن

يكون هذا جميلاً, ليس جيداً ولا مبهجا, وأن نقول أن الآن هو الذى يهم بناء الآن, أى شئ, بكل ثمن, بكل قوة, دائماً واعين فى ذهننا أن دار المسنين يتم تجاوزها, وهى كيان خالد ان نحفر خطوة خطوة فى الجبل العالى, وأن نجعله نوعاً من كل خطوة يصنع قليلا من الخلود.

المستقبل, يفيدنى فى بناء الحاضر مع مشاريع حقيقية للإحياء.

من قواعد اللغة

(1)

منتهى الصغر

فى هذا الصباح, قدم لى جاسينت روزن المالك الجديد لشقة آل آرتين نفسه، إنه يدعى كاكورو أو شئ من هذا القبيل, لم أسمع جيدا لأن السيدة روزن كانت تتكلم دائماً، وكأنها تضع حشرة فى فمها, انفتح باب المصعد فى هذه اللحظة الثمينة كى تترك الممر إلى السيد باللير الأب, وقد كسى جسمه كله بالملابس أحياناً بشكل عابر, وابتعد عنى بخطوته المرتجة والمهتزة بتعجل صناعى.

الساكن الجديد هو سيد فى الستينيات من العمر, بالغ الحضور, وشديد اليابانية, كان قصيراً نحيفاً, الوجه مجعد لكنه مضبوط, تنم هويته عن شخص طيب, لكننى أحس أيضاً انه صاحب قراره, مبهج, وذو ارادة قوية.

بالنسبة للوقت, فهو صبور دون أن يحرك حاجبه استياءاً إزاء الثرثرة الهستيرية لجاسينت روزن، وكأنه دجاجة أمام جبل من الحبوب.

ردد كلماته الأولى, والوحيدة بفرنسية مرتجلة: "صباح الخير يا سيدتى".

حمل على ظهره ملبس البوابة القديم. الأمر يتعلق بمسكن جديد, بحيث أن قوة العادة لا تجبر ولا ترغم, مع بقية حماقتى, التى يجب أن أبذل بها مجهودات خارقة خاصة. أحدق إذن فى "نعم, نعم, نعم" واهية فى إجابة جاسينت روزن العنيدة المجنونة.

"سترين إلى السيد شيئ ما "شيا" موضع الخدمة - هل يمكنك أن تشرحى للسيد شيئا ما "شيا" عن توزيع البريد؟ - سوف يأتى عمال الديكور يوم الجمعة, هل يمكنك أن ترصد شيئ "شيا" ما للسيد بين العاشرة, والعاشرة والنصف".. الخ.

لم يبد السيد شينا ما أى قلق, وانتظر بأدب جم وهو ينظر لى بابتسامة رقيقة.

اعتبرت أن كل شئ مر بسلام, ليس هناك سوى انتظار أن تكمل السيدة روزن وأستطيع أن أعود إلى عرينى.

ثم هكذا. سألتنى الدجاجة:

- لم يتم تنظيف الممسحة الذى أمام باب آل ارتين. هل يمكنك أن تخفى هذا؟

لماذا يجب أن تتحول الملهاة دوماً إلى مأساة؟ بالتأكيد. يحدث لى أن أستخدم الخطأ رغم أن هذا أشبه بسلاح. سألت شابرو كنوع من التعبير عن أساليبى الغريبة: "هل هو نوع من السداد؟"

لست حساساً للغاية بحيث أن الابتعاد لمسافة قصيرة تفقدنى عقلى, يجب أن أحب الآخرين ما يسيطرون به على أنفسهم, من ناحية أخرى, فإن جاسينت روزن وحشرتها فى فمها قد ولت إلى بوندى فى دربزاين العمارات فى أقفاص السلم غير النظيفة, ولدى بالنسبة لها تسامحات. ليس لدى بالنسبة للسيدة يمكنكم – فاصل لغوى – استقبالها.

ومع ذلك, فهذه هى المأساة: ارتجفت بشكل خفى فى اللحظة نفسها, حيث ارتجف السيد "شئ ما" أيضاً, بينما التقت نظراتنا, ومنذ هذه الحصة المتناهية الصغر من الوقت, حيث, لم أكن متأكدة, فنحن أخوان فى اللغة فى المعاناة المتصلة التى تمسنا, وتجعل أجسادنا ترتعد, وتظهر للنور اضطراباتنا, نظر السيد "شئ ما" إلىَ بعين مختلفة. عين بالمرصاد, وهكذا تكلم إلي:

- هل تعرفين آل ارتين؟ قيل لى انها أسرة غريبة جداً.

أجبت على حراستى:

- لا, أنا لا أعرفهم بشكل خاص, إنها أسرة مثل بقية الأسر هنا.

قالت السيدة روزن التى بدت قلقة بشكل واضح:

- نعم, أسرة سعيدة.

تمتمت كى أتخلص من المهمة:

- أنت تعرفين أن كل الأسر السعيدة متشابهة, لا شئ يقال.

قال وهو ينظر لى بشكل غريب, وفجأة, رغم أن النظرة جديدة, سعلت:

- لكن لكل أسرة تعيسة طريقتها.

أجل, أقسم, لقد سعلت – لكن بشكل غير ظاهر, لقد أفلت منى الأمر, إنه أمر أقوى منى, لقد فقدت السيطرة على نفسى.

البؤس لا يأتى وحده أبداً. اختار ليو هذه اللحظة بالذات كى يدخل بين سيقاننا, وهو يمرق بمودة فى ممر السيد "شئ ما" قال لى:

- عندى قطان, هل أستطيع أن أعرف ما اسم قطك.

أجابت جاسينث روزن نيابة عنى "ليو" وهى تزلج ذراعها تحته.. وتشركنى دون أن تنظر لى, وكأنه تدله نحو المصعد, بكل الرقة المتناهية, وضع يده فوق مقدمة ذراعه, وحركها فى رقة, قال لى.

- شكراً يا سيدتى

وترك نفسه تحمله دواجنه.

(2)

فى لحظة امتنان

هل تعرف ماذا يعنى "الإخفاء"؟ جعله علماء النفس ثمرة المناورات الداخلية الماكرة. لوعى خفى. يا لها من نظرية صحيحة. فى الحقيقة فإن الإخفاء هو العلامة الأكثر لمعاناً لقوة إرادتنا الواعية: "عندما تتعارض مشاعرنا, فإننا نستخدم كل الخدع للوصول إلى النهايات".

قلت إلى ليو التى استعادت إحياءها:

- يجب أن نؤمن أننى أريد أن أنزع قناعى. أقسم, ان أتآمر مع العالم كى أبلغ رغبتى.

"كل الأسر السعيدة متشابهة, لكن كل الأسر التعيسة طريقتها" هى الجملة الأولى فى رواية آنا كارتينا, والتى لا أعرف هل قرأتها, وأنا البوابة المثالية, وهى أيضاً لا تتفق معى.. أنتفض بالمصادفة, عند الجزء الثانى من هذه الجملة, فى لحظة امتنان, دون أن تعرف أنها جاءت من تولستوى, لأنه إذا كان الصغار حساسين دون أن يعرفوا الأدب العظيم, لا يمكن أن تزعم فى ارتفاع الرؤية, حيث يمكن للمثقفين أن يضعوها.

قضيت يوماً أحاول إقناع نفسى أننى مهووسة بدون سبب, وأن السيد "شئ ما" الذى يكتفى بحمل حافظة معبأة بشكل كاف كى يشترى الدور الرابع عنده موضوعات أخرى, وانشغالات أكثر من انتفاضات باكرينيسية من بوابة متخلفة.

ثم, فى نحو الساعة السابعة, طرق شاب بابى, قال لى بكل وضوح ظاهر:

- صباح الخير يا سيدتى, اسمى بول نيجوين, أنا السكرتير الخاص للسيد أوزو.. (ومد لى بطاقته).. هذه نمرة هاتفى المحمول, هناك فنيون جاءوا يعملون فى شقة السيد اوزو, ونحن لا نريد أن يشكل هذا عبئاً من العمل الإضافى, أيضاً, عند أقل مشكلة, استدعنى وسوف آتِ بأسرع ما يمكن.

سوف تعلق على هذه النطقة من العقدة حيث الكوميديا الإسبانية مجردة من الحوارات كى نعرف أن الخطوط الصغيرة تتابع لفعل ما يشاء ما استقل رأيه فى الكلام. كان يجب أن يكون لديها شئ مثل: "أنا مبتهجة يا سيد". ثم: "حسنا, لن أخفق فى هذا"، لكن لا يوجد أى إعلان جهراً.

هو ليس فى حاجة إلى الإرغام أني صامتة, لدي الوعي أن فمى يمكن أن يكون مفتوحاً, لكن لا يخرج منى أى صوت, وأنا مشفقة على هذا الشاب الوسيم, مرغم أن يتأمل ضفدعة تزن سبعين كيلو تسمى رينيه.

عند هذا الحد من اللقاء, فالعادة إن الشخص الرئيسى المحرك سأل:

- هل تتكلم الفرنسية؟

ابتسم بول نيجوين لى وانتظر. فى مقابل مجهول "هرقلى" أستطيع أن أقول شيئاً: فى الحقيقة, فإن هذا أولاً نوع من: الجرنوبل. لكنه ينتظر دائماً بنفس التفانى الرائع: قلت بصعوبة شديدة, وبصوت يعكس شكله الأشبه بيول براينر:

- السيد أوزو؟

قال لى: نعم, السيدة أوزو, هل تجهلين اسمه؟

قلت بصعوبة: نعم, لم أفهمه جيداً, كيف يكتب هذا؟

قال لى: أوزو, وتنطق الواو.. مثل "و".

قلت: آه.. حسناً, إنه يابانى.

قال لى: فعلاً, يا سيدتى, السيد أوزو يابانى.

أخذ أجازته بلطف, أطلقت عليه تحية المساء من أعماقى, وأعدت إغلاق بابى, وأنا أهبط فوق مقعد ليو المتكسر.

السيد أوزو, تساءلت إذا كنت فى حلم مجنون, مثير, ميكيافيلى للأحداث, أمطاره متقطعة, وختامه فى قميص نوم مع قط سمين فوق القدم, ومنبه منضبط على محطة إذاعة فرانس الثقافية.

لكن نحن نعرف - فى الأعماق - أن الحلم واليقظة ليسا من نفس البذرة, ومن خلال كشف إصغاء الإدراك الحسى, أعرف بكل تأكيد أننى متيقظة.

السيد أوزو! هل هو ابن المخرج اليابانى السينمائى أم ابن أخيه, أم قريبه من بعيد, حسناً.

فكرة عميقة رقم 9

إذا كنت سيدة عدوة

معكرونة فى بيت آل الادروية

لا تعتقدى

انك يمكن أن ترتدى

ما وراءه

الرجل الذى عاد لشراء مسكن آل آرتين هو يابانى، يسمى كاكورو أوزوا، هذا شريانى. كان يجب أن يموت هذا قبل أن أموت! إثنى عشر عاماً ونصف فى حاجة إلى الثقافة، وأن يبقى يابانياً، يجب أن يعد حقائبه.. حقاً إن هذا غير عادل.

ولكن أنا أرى - على الأقل - الجانب الإيجابى للأشياء: إنه هنا، حسناً هنا، ثم نحن أجرينا أمس حديثا بالغ الأهمية. فى البداية، يجب أن أقول أن كل الذين يقيمون هنا مجانين تماماً من السيد أوزو، أمى لا تتكلم إلا عن ذلك، وأبى يستمع إليها، كالعادة، إنه يفكر فى شئ آخر عندما يبلبل فى الأعمال الصغيرة للعمارة.

مستحدثا للتاريخ 70 شارع الجرنل، جاءت السيدة بروجلى لتناول الشاى فى المنزل، نحن نسكن فى الدور الخامس، فوق الشقة السابقة لأسرة آرتين وأيامها الأخيرة، كانوا جميعا يعملون ولكنها أعمال ضخمة: من الواضح أن السيد أوزو قرر أن يغير كل العالم، انتابته الرغبة لرؤية التغيرات، فى عالم يقوم على الآراء البالية مثل انزلاق الحصوة فوق مهبط الشاطئ الصخرى يفتقد إثارة نوبات قلبية متتابعة، وعندما يفجر أحدهم الجبل، باختصار فإن السيدة بروجلى كانت ترغب بشدة أن تلقى نظرة على الدور الرابع، نجحت فى أن تدعوها أمى عندما قابلتها الأسبوع الماضى فى البهو.

وهل تعرف الحجة؟ إنها غريبة، السيدة بروجلى هى زوجة السيد بروجلى،

مستشار الدولة الذى يسكن فى الدور الأول, انضم إلى مستشارية الدولة فى عهد "جيسكار ديستان" وهو شخص محافظ لا يطلق أى تحية على مطلقى السراح, تسميه كولومب: الفاشى العجوز, لأنها لم تقرأ أبداً ما يتعلق بالقوانين الفرنسية, يعاملها أبى كنموذج مثالى من الأفكار السياسية, زوجته تؤكد: هو حائك, سواء من اللؤلؤ, شفاه مزمومة.

وعدد كبير من الأطفال الصغار, هناك طفلان صغيران وشخصان رسميان, جريجوار أو ماريا, حتى هذه, فإنها تحيى أمى بالكاد. وهى اشتراكية, حيث الشعر مصبوغ, والحذاء مدبب من الأمام, لكن فى الأسبوع الأخير باغتتنا وكأن حياتها متعلقة بذلك. كنا فى البهو, عائدين من التبضع وكانت أمى تبدو فى أحسن حالاتها, لأنها عثرت على مفرش من الكتان الملون الخيط بمبلغ مائتى وأربعين يورو. هنا, اعتقدت أننى أصابتنى ملوثات سمعية, وبعد تحية "صباح الخير يا سيدى" كالعادة, قالت مدام بروجلى لأمى: "لدي شئ ما أريد أن أسألك فيه", وكأن هناك شيئاً أصابها بألم فى فمها, قالت أمى وهى تبتسم "لكن أرجوك. هذه حفيدتى, زوجة إتيان لم تكن فى أفضل حال وأعتقد أنه يجب أن تتناول ترياقاً "حقاً؟" قالت أمى وهى تبتسم أكثر "آه. أوه, أنت ترين, نوع من المحلل النفسى" بدت السيدة بروجلى كأنها حلزون فى وسط الصحراء ولكنها تماسكت رغم ذلك, قالت أمى "نعم, أرى جيدا, فيما يمكننى أن أكون مفيدة, يا عزيزتى؟" حسنا. قلت "إنك تعرفين هذا النوع من.. اخيراً.. هذا النوع من التقارب. اذن أحب التحاور معك..؟". لم تعد أمى إلى ثروتها الطيبة: مفرش من الكتان الخيطى, منظور لقطع كل علمها على التحليل النفسى, والسيدة بروجلى تجعلها ترقص من سبع أحجبة – آه, نعم, حقاً, يوم جميل! رغم ذلك فهى لا تستطيع أن تقاوم, لأنها تعرف جيداً أن الأخرى تريد أن تأتى, أمى لديها جانب ريفى فى إطار فكرى, لم تفعلها رغم ذلك, كانت تعرف جيدا أنه فى اليوم الذى سوف يهتم فيه آل بروجلى بالتحليل النفسى, سيغنى الديجوليون الأغنية الدولية. صار فجأة اسمى "نقطة الدور الخامس موجودة فوق الرابع", كمانشيت للسيدة بروجلى حسن النوايا, واتساع روح الاشتراكيين سبق أن حدثت إزعاجات صغيرة.

لكن الإرادات الطيبة, يا عزيزتى, هل تودين أن أمر عليك. ذات مساء كى نتناقش؟ سألت.. بدت الأخرى باضطراب وحيرة وحدة تحتسب لهذا الحدث المفاجئ, تماسكت بسرعة كسيدة مجتمع, وقالت "لا, لا, لا أريد لك عناء النزول, سوف أصعد إليك", كان لأمى رضاؤها الصغير, لم تصبر قالت: حسنا, أنا هناك بعد الظهيرة. لماذا لا تأتين

لتناول فنجان قهوة فى الخامسة مساء؟

كان حفل الشاى رائعاً, تصرفت أمى كما كان يجب: خدمة الشاى الذهبى المقدم من أمى والفراشات الخضراء والوردية, وقرص الحلوى باللوز والسكر من محل لاديويه, ورغم ذلك السكر المستدير "علامة الشمال" فإن السيدة بروجلى قضت ربع ساعة رائعة فوق البسطة السفلى, بدت وكأنها مرتبكة قليلاً لكنها تبدو راضية بدت عليها الدهشة. أيضاً أعتقد أنها تخيلت عندنا بوجهة أخرى, لقد عزفت لها أمى كل التوليفات الموسيقية بطرق رائعة, وأحاديث عالمية متضمنة تعليقا رائعا عن بيوت القهوة الجيدة, قبل أن تميل رأسها جانباً بطريقة عاطفية وتقول: "إذن, سيدتى العزيزة لقد فعلتِ ما بوسعك لحفيدتك؟" "هم. آه, نعم" قالت الأخرى التى نسيت تقريباً حجتها وتسعى الآن كى تجد شيئاً لتقوله, حسناً إنها مكتئبة, وهذا هو الشئ الوحيد الذى فتح عليها بها, لقد مرت أمى بسرعة خارقة, وبعد كل هذا الكرم, حان الوقت لتقديم الفاتورة, كان للسيدة بروجلى الحق فى درس داخلى حول الفرويدية, متضمناً بعض الطرائف الفاضحة حول العادات الجنسية للمسيح وحوارييه "مع مقطع حول ميلانى كلاين" وزخرفة بعض المراجع حول نية التعليم الفرنسى الشمولية, تصرفت السيدة بروجلى كمسيحية ملتزمة, وأطالت المواجهة بنوع من صلابة مدهشة, وهى مقتنعة بقضاء عقوبة الفضولية بنفقة قليلة.

لأسباب مختلفة, وعلى المائدة, فى المساء, قالت أمى: "السيدة بروجلى هى متعصبة, ليكن, لكنها تستطيع أن تكون فاتنة".

باختصار, أدهش السيد أوزو العالم, قال أوليمب سان نيس لكولومب (التى تكن لها كرها وتسميها القديسة – الخبيثة للخنازير".. أن هناك قطين تشتاق رغبة فى مشاهدتهما. لم تكف جاسينت روزن فى كتابة تعليقات عن الوصول إلى الدور الرابع, لقد وضعها هذا التحول فى كل مرة, إنه يسحرنى أيضاً ولكن ليس للأسباب نفسها, وهذا هو ما حدث.

ركبت المصعد مع السيد أوزو الذى ظل معلقاً بين الدورين الثانى والثالث لمدة عشر دقائق لأن كناساً أغلق باب المصعد الحديد قبل أن يمتنع عن ركوبه ونزوله على السلم. فى هذه الحالة يجب أن تنتظر أن يأخذ شخصاً ما ذلك فى حسبانه, أو أن هذا سوف يستغرق وقتاً طويلا, ويجب إثارة الجيران بالصياح, ولكن أن نحاول

مع ذلك أن نبقى محترمين, ليس هذا سهلاً, فلم يصيح أحد منا, ولدينا الوقت لنقدم أنفسنا ولنتعارف, ستكون كل السيدات ملعونات كى تكن فى مكانى, أنا سعيدة لأن جانبى اليابانى.. سعيدة أن أتكلم طبيعياً مع سيد يابانى حقيقى, لكن بشكل خاص ما يعجبنى أفضل هو مضمون الحديث. قال لى فى البداية: أمك أخبرتنى أنك تدرسين اليابانية فى المدرسة, ما هو مستواك؟".. أعطيت إشارة فى الممر أن أمى هى أيضاً تثير اهتمامها ثم أجابت باليابانية: "نعم يا سيد, أنا أعرف قليلاً من اليابانية لكن ليس جيد جداً", قال لى باليابانية "هل تريدين أن أصلح لك اللهجة؟" وترجمت كل ذلك فى الحال إلى الفرنسية, الآن, لقد قدرت. الكثر من الناس يقولون: "أوه, أنت تتكلمين بطلاقة, حسنا, رائع!" إذن كان يجب أن أعرف النطق كالبقرة, ببراح أجبت باليابانية: "أرجوك يا سيدى صحح نطقى", وقال لى دائماً باليابانية "نادينى كاكورو" أجبت باليابانية "أجل كاكورو – سان".. رحنا نضحك ونمزح, وأصبح الحديث بالفرنسية ممتعاً ومثيراً للعاطفة, قال لى لتوه: "أنا أهتم كثيراً ببوابتنا. السيدة ميشيل. أريد رأيك", كنت أعرف الكثير الذين يحاولون أن يجروا أنفى, لا شئ, لكن كان هناك فرانكو, أضاف:

"أعتقد أنها ليست كما يعتقدونها".

كانت اللحظة التى انتابتنى الشكوك فى أفكارها, من بعيد, هى بوابة جيدة, ومن قريب.. حسناً, من قريب.. هناك شئ ما غريب, كولومب تكرهها وتفكر أنها نفاية بشرية, بالنسبة لكولومب, فهى على كلِ سقط متاع الإنسانية رغم أن هذا لا يتفق مع ضخامة ثقافتها, وضخامة ثقافة كولومب, هو القوة الاجتماعية أكثر من صانعة القمصان آنيس.

السيدة ميشيل..كيف تقول؟ انها تتنفس الذكاء. ومع ذلك فهى تكابر, هه, إنها تفعل ما بوسعها كى تلعب دور البوابة, وكى تبدو ضعيفة, لكن أنا, لقد لاحظتها, حين كانت تتكلم مع جان آرتين, عندما تتكلم مع نبتون فى ظهر ديان, عندما كانت تنظر إلى نساء البناية, اللاتى يمررن أمامها دون تحيتها, السيدة ميشيل, لديها أناقة قنفذ, من الخارج, فهى تبدو مليئة بالأشواك وكأنها قلعة حقيقية, ولكن لدي اليقين فى الداخل, أكثر دهشة من القنافذ, وهى حيوانات صغيرة كسولة بشكل كاذب, وحيدة بشكل عنيف وأنيقة بشكل متوحش..

حسناً. هذا يعنى أننى أعترف بذلك, أنا لست نافذة العقل. إذا لم يحدث شئ ما. كنت سأرى نفس الشئ الذى يراه العالم كله. بوابة هى فى أغلب الوقت سيئة المزاج، لكن حدث شئ ما لم يحدث منذ وقت طويل وغريب أن سؤال السيد أوزو قد طرح فى موعده. منذ أسبوعين, انطوان باللير قلب سلة السيدة ميشيل بينما كانت تفتح بابها, أنطوان باللير هو ابن السيد باللير رجل الصناعة فى الدور السادس.

نوع من الذين يطرحون عظات أخلاقية من الباب بطريقة حكم فرنسا, ويبيع السلاح للمجرمين الدوليين, الابن أقل خطورة لأنه غبى بشكل حقيقى ولكنه لا يعرف أبداً: الأذى, هو رأس مال الأسرة, باختصار, أنطوان باللير قلب سلة السيدة ميشيل, البنجر, مرتجعات الصحف, وصابون مارسيليا, مروراً بالأشياء التى كانت على الأرض, لاحظت كتاباً, أقول لاحظت لأن السيدة ميشيل أسرعت بجمع كل شئ سقط على الأرض, وهى تنظر إلى أنطوان بغضب "لم يأخذ فى اعتباره ظاهراً أن يحرك إصبعه الصغير, ولكن أيضاً بنقطة قلق. هو لم ير شيئاً: ولكن أنا لم أكن فى حاجة للمزيد من الوقت كى أعرف ماذا كان الكتاب. أو نوع الكتاب فى سلة السيدة ميشيل, لأنه كان مليئاً بنفس النوع فى مكتب كولومب منذ أن تعلمت الفلسفة. إنه كتاب للناشر فرين, الناشر المتخصص فى الفلسفة العالمية, ماذا تفعل بوابة بمثل هذا الكتاب من الناشر فرين فى سلتها؟ هو حقا السؤال الذى لم أطرحه.. بل على العكس إنه لأنطونيو باللير.

قلت إلى السيد أوزو: أعتقد هذا أيضاً.. والجيران, نحن مررنا بسرعة بعلاقة أكثر حميمية, مثل علاقات المتآمرين, لقد غيرنا مشاعرنا حول السيدة ميشيل.. السيد أوزو أجدنى أنه يراهن أنها أميرة خفية وباحثة وتفرقنا وتواعدنا لتتفرغ للبحث.

هذه هى فكرتى العميقة لليوم, أنها المرة الأولى التى أقابل شخصاً يبحث عن الناس ويرى ما وراءها, يبدو هذا مبتذل ولكن أعتقد - رغم ذلك - أنها عميقة, لم تر إبداعاً وراء يقيننا, والأكثر خطورة أيضاً, لقد تخلينا عن اللقاء, ولم نفعل شيئا سوى أن نلتقى بأنفسنا دون أن نتعارف فى هذه المرايا الدائمة, إذا وضعنا فى الحساب, إذا أخذنا فى وعينا, أننا لا ننظر أبداً لأنفسنا فى الآخر, وأننا وجدنا فى الصحراء, سوف نصبح مهاويس, عندما قدمت أمى أقراص الحلوى باللوز والسكر من عند آل لاديريه إلى السيدة بروجلى, فإنها روت لنفسها قصة حياتها ولم تفعل سوى أن عضت منقذها الخاص, وعندما شرب أبى قهوته وقرأ صحيفته. تأمل فى مرآة مقعرة

على طريقة كوى. عندما تكلمت كولومب عن مؤتمرات ماريان, فإنها طعنت فى رد فعلها, وعندما يمر الناس أمام البوابة, لا يرون سوى الفراغ لأنه ليس هم.

أنا, أتوسل القدر الذى حالفنى الحظ لأن أرى أبعد من نفسى, وأن التقى بشخص ما.

(3)

تحت القشرة

ثم مرت بضعة أيام، ومثل كل ثلاثاء, جاءت مانويلا إلى مسكنى, كان لدىَ الوقت, قبل أن تغلق بابها, سمعت جاسينت روزن التى تتحدث مع الشابة السيدة موريس أمام مصعد يعرف السكان الأوليين.

قال ابنى أن الصينيين شرسون! بدت كأنها أرغمت السيدة روزون أن لا تقول "الصينيون", لكن "الصونيون".(1) حلمت دوماً "زيارة الصيون" فذلك أكثر أهمية من الذهاب إلى الصين, أعلنت لى مانويلا صاحبة الخدين الورديين والعين اللامعة:

- لقد صرفت البارون, والباقى معه.

تظاهرت بمظهر البراءة, تساءلت:

- نعم؟

صاحت مانويلا وهى تنظر لى بجحود:

- لكن السيد أوزو!

يجب أن أقول إن العمارة منذ أسبوعين لم تشهد سوى انتقال السيد أوزو إلى شقة المرحوم بيير آرتين, فى هذا المكان المتجمد, وهى المحبوسة فى مرآة السلطة, والفراغ, ووصول ساكن جديد, والوقائع غير الملموسة, التى حدثت تحت أوامر وتعليمات المحترفين فى عدد بالغ الحساسية جعلت نبتون نفسه يتخلى عن فتورهم جميعاً – هذا الوصول, أثار ريحا من الشجن والرعب المختلطين. لأن الجاذبية معترف بها للاحتفاظ بالتقاليد والرفض المنطقى والناتج لكل ما هو قريب أو بعيد, تثير الرغبة من جديد, مثل المباهاة فى أعمال الديكور, وشراء مكبرات الصوت أو تعسف أطعمة صاحب المطعم والجدل حول عطش أكثر عمقاً, مثبت فى خيوط لكل أرواحها التى أعماها الملل: هذا هو الجديد. وأيضاً 7 شارع جرنيل سوف

يهتز طوال أسبوعين بإيقاع ذهاب عمال الدهان وإيابهم، والنجارين، والسباكين، وصناع المطابخ, وموزعى الأثاث, والسجاد, والأجهزة الإليكترونية, انتهاءً بناقلى الأثاث الذين استأجرهم السيد أوزو كى يتغير الدور الرابع تماماً مما بعث الرغبة فى زيارتهم, أل جوس, وأسرة باللير لم يعودوا يستخدمون المصعد واكتشفوا قوة جديدة, يتسكعون فى الدور الرابع التى يجب أن ننتظر خروجهم من شقتهم, وبالتالى, العودة إليها, صاروا ذا موضوع.

كانت برناديت بروجلى, قد أثارت الفضول بتناول الشاى عند سولانج جوس بينما تصرفت جاسينت روزن كانت تتصرف عن رضى كى تعطى إلى سابين باللير طرداً وضع فى مسكنى، وكانت سعيدة أنها فلتت من عمل مرهق, سلمت لها مرغمة بالرياء الخبيث.

لأننى وحدى من بين الجميع, كنت أتجنب بكل اعتناء السيد أوزو, كنا نتقابل فى المدخل, لكنه كانت دائماً معه صحبة, وكان يقوم بتحيتى بأدب, كنت أرد عليه بمثلها, لا شئ عنده يضر بمشاعر أخرى, كالملاطفة, وعطف غير مكترث, لكن الأطفال تصرفوا خارج اللياقة, المادة الحقيقية التى يتكون منها البشر, كان رادارى الداخلى يصيبه الجنون فجأة, ويخبرنى أن السيد أوزو كان يحترمنى ويقدرنى بانتباه الحليم.

أثناء ذلك, كان سكرتيره يوفر له كافة الواجبات التى تتطلب الاتصال بى. أراهن أن بول نجوين لم يكن يتأخر فى انتظار وصول السيد أوزو وممارسته لكل ما هو أصيل, كان أجمل الشباب فى آسيا, كان أبوه فيتنامى الأصل, حيث اكتسبت الامتياز والصفاء الغامض, ومن أوروبا ومن أمه "روسية بيضاء" أخذ القامة الطويلة, وخديه السلافيين, وأيضاً العينين الواضحتين المجملتين بخفة, وفيه تتراوح الرجولة والرقة, وتتضح تركيبة جمال الذكر ورقة الشرق.

عرفت أصله, بعد ظهيرة ثقيله فى منتجع حيث رأيته مشغولا للغاية وهو يدق على بابى كى يخبرنى بالوصول المبكر غدا لجماعة من موزعى البضائع, اقترحت عليه فنجان شاى فوافق بكل سهولة, وجلسنا نتحدث فى استرخاء لذيذ, يبدو شاباً وسيماً, وكفئاً, كان قد أخذ من كافة الأرباب, كأننا يمكن أن نحكم عليه, ونحن نراه ينظر الأعمال, دون أن يبدو عليه أى إنهاك أو تعب. يرجع ذلك إلى ما يتسم به من

هدوء، سوف يصير مجرداً من التعاظم.. عندما غادر مسكنى، شكرنى بحرارة، تأكد لى أننى نسيت نفسى معه، حتى فكرة الإخفاء التى كنت عليها.

الآن أعود إلى أخبار اليوم.

لقد رفت البارون، والباقى معه.

لم تخف مانويلا نشوتها وافتتانها، تركت أنا آرتين باريس، وقد أقسمت إلى فيوليت جرليه أن توصيها بالمالك الجديد، السيد أوزو، واحترام رغبات الأرمل الذى اشترى بضاعة ونزع قلبه، لقد وافق على استقبال الناس، وأن يتحاور معهم، استطاعت أسرة جرليه مسنودة من آنا آرتين، أن تجد مكاناً مختاراً فى منزل طيب، لكن فيوليت داعبت جنون الأمل بالبقاء هناك، وحسب كلماتها الخاصة، فإنها قضت أجمل سنوات حياتها. قالت إلى مانويلا:

- السفر مثل الموت، أخيراً، لا أتكلم إليك يا ابنتى، يجب أن أحل لك كل المشاكل.

قالت مانويلا التى تبنت نصيحتى، وهى تتصرف كأنها سكارليت منذ أن شاهدت فيلم "ذهب مع الريح":

- تحل مشاكل تاتانا.. لقد رحلت أما أنا فبقيت!

- هل يستأجرك السيد أوزو؟

- لن تخمنى أبدا. إنه يستأجرنى ساعتين، ويدفع مثلما يدفع أمير.

- ساعتان! كيف ستتصرفين؟

أجابت وهى فى منتهى السعادة سأترك السيدة بالليير، ألا أعتنى بالسيدة بالليير ولكن لأنه يجب أن أسرف الأشياء الجيدة، كررت:

- نعم سأترك السيدة بالليير

- رددتها مرة أخرى.

احتفظنا بلحظة صمت, هذا التنامى من الشعور الجميل, قلت، وأنا أحطم تثائبنا:

- سوف أعد لك الشاى, شاياً أبيض, للاحتفال بهذا الحدث.

قالت مانويلا: "آه, لقد نسيت, سوف أحضره لك"، وأخرجت كيس نقود من سلتها مصنوعاً من ورق الحرير الكريمى.

رحت أربط شريط القطيفة الأزرق, فى الداخل, فاكهة مؤلفة من تين وعنب ولوز من الشيكولاتة السوداء, تبرق مثل الماس الداكن, قالت مانويلا، وهى تخرج الفناجين, ثم تجففها مجددا:

إنه يدفع لى اثنين وعشرين يورو فى الساعة, لا, دون أن يرجو بأدب ليو أن يذهب لاكتشاف العالم. اثنان وعشرون يوروا! هل تصدقين؟. الآخرون يدفعون ثمانية, عشرة, أحد عشرا إنه أكرم من السيدة باللير, إنها تدفع لى ثمانية يورو وتترك سراويلها القذرة أسفل السرير.

قلت لها مبتسمة:

- لعله يترك سراويله القديمة تحت السرير.

قالت مانويلا التى فكرت فجأة:

- إنه ليس من هذا الطراز, أتمنى أن أعرف كيف يتصرف. على كل حال, فهناك الكثير من الأشياء الغريبة بأعلى, هل تعرفين, أن هناك الكثيرين من النبلاء الذين يرتوون، ويبثون.

تتكلم مانويلا عن كرامات السيد أوزو, الكبيرة جداً, بصيغة شيقة ومجردة من هذه السمات المزعجة التى تثير مشاعر غير ملائمة, بدوا لى أثناء حركاتهم فى المدخل أنهم جاءوا من قرية أخرى, فى أبواق مليئة بالضجة, حيث تتضح الرؤية الهاربة لغاية بعيدة. أجابت مانويلا:

- لم أتخيل أن مهندسى الديكور يفعلون ذلك, هدموا كل شئ, وأعادوا بناءه.

بالنسبة لمانويلا, فإن مهندس الديكور, هو كائن أثيرى يضع الوسائد فوق الأرائك الباهظة الثمن, يتراجع إلى الخلف خطوتين معبراً عن إعجابه بما يحدث. قالت لى قبل أسبوع: إنهم يضربون الحوائط ضربات شديدة. النفس قصير, وإنهم يصعدون درجات السلم أربعا أربعا بمكنسة غير مناسبة, هل تعرفين.. إنه رائع, الآن, أريدك أن تزوريها. تساءلت وأنا لا أخلع روح هذه النزوة الخطيرة عن مانويلا.

- ما أسماء هذه القطط؟

قالت وهى تصف ليو بشكل مذهل:

- آه, إنهم رائعون, بالغو الرقة وهم يمشون بلا أى ضجة, يتصرفون هكذا.

ثم جرت بيدها بتموهات غريبة.. أعدت سؤالى:

- هل تعرفين أسمائهم الصغيرة؟

- القطة اسمها كيتى, ولكننى لم أتوصل لاسم القط.

سقطت حبة عرق بارد بسرعة ملحوظة، بطول العمود الفقرى, ألححت:

- ليفين؟

- نعم, هو ليفين, كيف عرفت؟ عبوس الحواجب.

- إنه ليس ثورجيا, أليس كذلك؟

- لا, الثورى, هو لينين, لينين, هو بطل رواية روسية شهيرة, كيتى هى المرأة العاشقة.

أكملت مانويلا التى تهتم بالروايات الروسية المهمة:

- لقد عبر كل الأبواب, الآن هى تنزلق, حسناً, صدنى هذا إنه أمر عملى أكثر, أتساءل لماذا لا يفعلون هذا, نحن نكسب الكثير من الأماكن, وهو أقل ضجيجاً.

ولأن هذا حقاً, فإن مانويلا, مجدداً باندفاع وافتعال, أثارت اعجابى, ولكن هذه الملحوظة أثارت فى نفسى مشاعر حساسة لأسباب أخرى عديدة.

(4)

فتات تكسير واتصالية

أمران مرتبطان بأفلام أوزو.. الأول يكمن فى الأبواب المنزلقة نفسها, منذ الفيلم الأول, "مذاق الأرز بالشاى الأخضر" فإننى مفتون باتساع الحياة اليابانية, وهذه الأبواب المنزلقة الرافضة فلق الفضاء تنزلق برقة فوق قضبان خفية, لأننا عندما نفتح الباب, نحول الأماكن بطريقة حقيرة. نحن نلطم الاتساع ونحرث ضرراً بسبب نسب سيئة. إذا فكرنا فيه جيداً لا شئ هناك أكثر فجاً من الباب المفتوح. فى الغرفة التى توجد فيها, تدخل مثل مجموعة طفيليات إقليمية تحطم وحدة الفضاء, فى الغرفة المجاورة, هى تسبب ضعفاً. صدع مفتوح فضلاً عن أنها تكون غبية ضائعة, فى طرف جدار يفضل أن يكون داخلياً, فى كلتا الحالتين, فإنها تشوش المساحة دون رأى معاكس آخر سوى الحق فى الدوران, يمكنها أن تتأكد, مع ذلك, مؤكدة من سوابق أخرى.

الباب المنزلق يتجنب العقبات, ويعظم الفضاء, دون أى تعديل متوازن. يسمح بالتحول, عندما ينفتح فإن مكانين يتواصلان دون إساءة, وعندما ينغلق فإنه يعطى لكل واحد اكتمال القسم والاتحاد، ويتماهى دون تداخل. تبدو الحياة هنا نزهة هادئة, عندما تتضح عندنا فى جناح طويل من الضغوط, قلت إلى مانويلا:

- حقاً, إنه عملى أكثر وأقل قبحاً.

جاء السبب الثانى من مشاركة الأفكار أن الأبواب المنزلقة تؤدى بى إلى أقدام النساء, فى أفلام أوزو, نحن لا نأخذ فى الحسبان عدد الخطط, حيث أن ممثلا يدفع الباب يدخل إلى الدار ويخلع حذاءه. النساء بشكل خاص لهن فى سلسلة هذه المشاهد موهبة خاصة, إنهن يدخلن كى يزلقن الباب بطول الحائط. يخطين خطوتين سريعتين تؤدى بهما أسفل المساحة التى تتكون من غرف المعيشة, وتخلع الحذاء دون تعليق الأحذية المجردة من اللاكيه. وفى حركة سيقان منسابة ورائعة, تدور حول نفسها صاعدات المصطبة التى تحنى الظهر. ترتجف الجونلات بخفة, وثنية الركبتين.

مطلوب للارتقاء حتى تكون مليئة بالطاقة, ومحددة, يتبع الجسم ألمه فى نصف دائرة من الأقدام, التى تتبعها بتسكع محطم بشكل جاد, كأن العلاقات تعرقلها روابط.

عندما نمشى نحن الغربيون، ولأن لدينا ثقافة نريدها هكذا, فإننا نحاول الاستمرار فى حركة نحسها, دون إدراك, ما نؤمن به هو جوهر الحياة: الفعالية دون عراقيل والنتائج المنسالة الظاهرة. فى غياب القطيعة القفزة الحيوية التى تتم, هنا, فإن الفهد المتحرك هو معيارنا, هذه الحركات تصنع إيقاعا, لا يمكن أن نميز هذه عن ما قبلها. وتبدو لنا عداء المتوحش الأكبر, أشبه بحركة وحيدة وطويلة لتعبر بالرمز كمال الحياة العميقة, لكن عندما تحطم النساء اليابانيات بخطواتهن المبتورة يتأثر انتشار الحركة الطبيعية, وعندما يجب علينا أن نثبت الألم الذى يمتلك الروح لحركة الطبيعة, المهانة. إنها تولد فينا بهجة غريبة, وكأن القطيعة تولد المتعة, فى هذه الإهانة يوجد إيقاع مقدس للحياة, فى هذه الخطوة المتناقضة, فى الوليد الممتاز للتناقض, نمسك نموذجاً للفن.

إذن, مندفعة خارج طبيعة نريدها أن تستمر وقد صارت بواسطة عدم استمراره جاحداً ومحيراً, فإن الحركة تحدث بالإبداع الجمالى أن الفن هو الحياة, ولكن بايقاع آخر.

فكرة عميقة رقم 10

قواعد اللغة

طبقة للوعى

تؤدى إلى الجمال

فى الصباح, أستغل الوقت دوماً كى أستمع إلى الموسيقى فى غرفتى, تلعب الموسيقى دوراً مهماً فى حياتى, فهى التى تسمح لى أن أتحمل.. حسناً.. إذا كان هناك من يحتمل فهى أختى, أمى, المدرسة, آشيل فرنيه هو الأخ الاكبر, الخ. الموسيقى, ليست سوى متعة للأذن مثل التذوق أو الرسم للعيون, إذا سمعت الموسيقى فى الصباح, فليس هذا أمراً عارضاً, لأن هذا يعطى نبرة اليوم. إنه أمر سهل للغاية, وفى نفس الوقت من الصعب شرحه: أعتقد أنه يمكننا اختيار أمزجتنا, لأن لدينا وعيا له طبقات متعددة وهناك وسيلة للوصول إليها على سبيل المثال. كى أكتب فكرة عميقة, يجب أن أضع نفسى فى حالة خاصة جداً, وإلا ما أتت الأفكار والكلمات, يجب أن أنسى وأن أكون فى نفس الوقت بالغة التركيز, لكن ليس هذا شأناً إرادياً, إنها عملية آلية تتحرك أو لا, مثل أن يحك المرء أنفه أو أن يمشى للخلف.

وكى تحدث الآلية, فليس هناك أفضل من قطعة موسيقى صغيرة, على سبيل المثال إذا أردت الاسترخاء أجد شيئا ما يجعلنى أبلغ نوعاً من المزاج العالى, أو أشياء لم تحدث لى فعلاً, حيث أنظر إليها كأننى أنظر إلى فيلم "طبقة الوعى مجردة" بشكل عام بالنسبة لهذه الطبقة فإنها موسيقى الجاز, أو شئ أكثر تأثيراً من نفس النوع ولكن أكثر طولا فى تأثيره, لـ "أن نقول بوضوح عاش جهاز الـ MP3".

فى هذا الصباح, استمعت إلى موسيقى جلين ميللر قبل أن أتوجه إلى المدرسة, يجب أن نؤمن أن الأمر لا يستغرق وقتاً طويلاً. وعندما نشعل الحريق, فقدت كل ارتباطى, فى حصة اللغة الفرنسية مع السيدة ميجر التى هى نقيض الحى, طالما عندها أوصال, ترتدى اللون الوردى.. أحب الوردى, وأجد أن هذا اللون معالج بشكل

ظالم. مثل لعبة طفل, أو امرأة متزينة بأعلى زينة على الرغم أن اللون لون رقيق ولطيف, والخطورة أنه موجود بكثرة فى الشعر اليابانى, لكن اللون وردى للسيدة ميجر يبدو قليلا مثل المربى والخنازير, باختصار فى هذا الصباح كانت عندى حصة فرنسية معها فهى كالشجرة والعمل المرهق, بلغ السيل الزبى, الفرنسية مع مدام مجريه تتلخص فى سيل من التدريبات الفنية. تمارس قواعد اللغة أو قراءة النصوص معها, يقال إن نصاً قد كتب كى يمكن التعرف على هوية الأشخاص: الراوى, الأماكن, التقلبات المفاجئة, أزمنة النص الخ. أعتقد أنه لم تأتها الفكرة أن نصاً هو قبل شئ مكتوب كى يُقرأ أو لإثارة الانفعالات عند القارئ, ونحن لا نطرح قط الأسئلة من طراز "هل تحب هذا النص/ هذا الكتاب؟", هذا هو دوماً السؤال الوحيد الذى يمكن أن يعطى معنى لدراسة وجهات النظر القصصية أو بناء النص..

دون التكلم عن واقعة أن أفكار التلاميذ الداخلية هى أكثر انفتاحا على الأدب من تلاميذ الليسيه, أشرح لنفسى: فى سنى هذا, مهما كان أن نتكلم عن بعض الأشياء بالعاطفة ونوفر الأجيال الجيدة, عن الحب والتمرد, والشهوة لكل ما هو جديد, الخ. فإن لدينا الفرص للوصول إليها, مدرس التاريخ لدينا, السيد ليرمى, يعرف كيف يجمعنا فى محاضرتين وهو يشير لنا بصور من النوع الذي نمزقه بأيدينا أو شفاهنا, ونحن نطبق الشريعة الإسلامية لأنهم سرقوا أو دخنوا. ومع ذلك, فهو لم يفعلها فى فيلم الرعب. إنه أخاذ, ونسمع كلنا بانتباه المحاضرة التى تلى ذلك, التى تضع فى الحسبان ضد جنون البشر, وليس بشكل خاص ضد الإسلام, إذا كانت السيد ميجر قد جعلته من الصعوبة أن تقرأ بنفس الصوت بعض أشعار راسين (ليبدأ اليوم ولينتهى اليوم, دون أن يتمكن تيتوس من رؤية برنيس), كانت ترى أن المراهق فى الأساس هو شخص ناضج بالنسبة للمأساة العاطفية.. فى الليسيه, يبدو الأمر أكثر صعوبة, سن الرشد رغم أنفه, يكون هناك حدس لعادات الشخصيات الكبرى, نتساءل أى دور وأى مكان سوف نرث فى هذه المسرحية, ثم يفسد شيئا ما, فإن القمقم ليس بعيداً.

فى هذا الصباح, عندما أضيفت إلى الأعمال المرهقة المعتادة بدرس أدبى دون أدب, ودرس لغة دون ذكاء فى اللغة, برهنت عن مشاعر بلا أهمية, لم أستطع أن أتماسك, مدام ميجر وضعت نقطة فوق الوصف للمدح بحجة أن مضوعات الإنشاء الخاصة بنا قد أحبطت تماماً, ما يجب عليك أن تكون قادرة عليه منذ فترة, من المستحيل أن نرى تلاميذ بلا داء فى القواعد.. أضافت وهى تنظر إلى آشيل جران

فرنيه, لا أحب آشيل، ولكن هنا أنا أتفق معه عندما طرح سؤاله. أجد أن هذا يطرح نفسه, لقد نسى أستاذ الأدب الرفض, هذا يصدمنى مثل راع نسى الخرفان, ولكن فيما تفيد قواعد اللغة؟.. تساءل: "يجب أن تعرف ذلك؟", أجاب سيدنى: "هل يجب أن أدفع كى أعلمك إياه.."

"لا", أجاب آشيل بكل صفاء لمرة واحدة, لا أحد يمكنه أن يشرح لنا.. أطلقت السيدة ميجر تنهيدة من نوع: "هل يجب أن أحمل أيضاً أسئلة غريبة".. وأجاب: "هذا يفيد فى الكلام الجيد والكتابة الجيدة"

هنا, اعتقدت أن عندى أزمة قلبية فلم أسمع بمثل هذه الحماقة, ومن هنا لا أريد أن أقول إن هذا كذب, أريد أن أقول إن هذا حمق حقيقى. تقول للمراهقين الذين يعرفون الكتابة والقراءة أن القواعد, لهذا كأن نقول لشخص ما أنه يجب أن نقرأ تاريخ دورة المياه عبر القرون كى نعرف البول والبراز.. إنه أمر خال من معنى! وقد أشارت لنا عن أمثلة, إننا فى حاجة إلى أن نتعرف على أرقام الأشياء فى اللغة؛ كى نستخدمها.. إذن, لماذا لا, إنها مُعدة - على سبيل المثال - لمعرفة تصريف فعل فى كل الأزمنة, وتفادى الأخطاء الكبرى التى تثير العار أمام كل الناس فى عشاء عالمى, لقد جئت إليكم مبكراً, ولكننى سلكت الطريق الخطأ, أو من أجل كتابة دعوة فى الأنظمة، وأن نلحق بحفل راقص صغير فى قصر فرساى, نعرف نظام الاتفاق مع صفة الموصوف, سوف نوجز. صديقى العزيز, هل تود الحضور إلى فرساى هذا المساء؟.. تأثرت كثيراً, بالماركيزة جران – فرنيه, لكن إذا صدقت السيدة ميجر يعتقد أن فى هذا يفيد قواعد اللغة. نحن نعرف أن نقول كيف تصرف فعلاً قبل أن تعرف أنه فعل, إذا ساعدت المعرفة, فلا أعتقد - رغم ذلك - أن هذا سيكون أمراً نهائياً.

أنا أعتقد أن القواعد هى طريق الدخول للجمال, عندما نتكلم, عندما نقرأ, وعندما نكتب. نحس جيداً عندما تكون جملة جميلة, ونحن نقرأ جملة واحدة, نحن قادرون على التعرف على كل ما هو جميل وعلى أسلوب جميل, لكن عندما نمارس قواعد اللغة, فإننا ندخل إلى بعد آخر من جمال اللغة, نمارس قواعد اللغة يعنى أننا نحملها, ننظر كيف حدث ذلك, نراها عارية تماماً بشكل ما. وهذا شئ رائع؛ لأننا نتساءل: كيف أن هذا رائع. كم أن هذا فاشل بشكل جيد, كم أن هذا صلب, عبقرى, ثرى, ماهرا!.. لا شئ يعرف أن هناك أنواعاً عديدة لكلمات ويجب أن نعرفها ونحن ننجز استخدامها وإمكاناتها المتاحة سينقلنى هذا, أجد أنه ليس هناك شيئاً أكثر جمالاً, على سبيل

المثال فكرة قاعدة اللغة. إن هناك أسماءً وأفعالاً، عندما ستملك هذا، سيكون لك قلب يعبر عن نفسه، هذا رائع، أليس كذلك؟ أسماء، وأفعال.

ربما، للوصول لجمال اللغة والقواعد الظاهرة، هل يجب أن نضعها فى حالة من الوعى الخاص؟ عندى حس يمكننى أن أحسه دون أى مجهود، أعتقد أن هذا يتم عند بلوغ العامين، وأنا عندما أسمع البالغين، وقد فهمت مرة واحدة، كيف تكونت اللغة. دروس القواعد كانت بالنسبة لى تأليفا لتاريخ لاحق وربما تفسيرات لغوية، هل يمكن أن نعلم التحدث والكتابة للأطفال، ونحن نطبق قواعد اللغة إذا لم يكن لديهم هذا التنوير الذى تحصلت عليه؟ غموض فى انتظار كل كلام السيدة ميجر عن الأرض التى يجب أن نتساءل عن أى قطعة موسيقى يجب أن نضعها أمام تلاميذها.. ها هم يمكنهم أن يضعوها فى إطار قواعدى.

قلت إلى السيدة ميجر: "لكن أبدا، إنه غلط تماما!" حدث صمت طويل فى الفصل، لأنه كالمعتاد لم أفتح فمى، ولأنى كنت قد اختلفت مع المدرسة.. نظرت إليّ فى دهشة، ثم بدت عليها الدهشة مثل كل المدرسين عندما يشعرون أن الريح تدور نحو الشمال، وأن الفصل الصغير العجوز يدرس صفة الموصوف، يمكن أن يتحول إلى محاكمة لأساليبهم التربوية: "ماذا تعرفين يا آنسة جوس؟" هل سألت أمى بنبرة خشنة، يمسك الجميع أنفاسه عندما تكون الأولى فى الفصل غير مسرورة، إنه سيئ لجسم المتعلم، خاصة عندما يكون سمينا، وهذا الصباح كانت ألعاب سيرك بالسعر نفسه:

"كل العالم ينتظر أن يسمع نهاية المعركة، ويتمنون أن تكون دامية".

قلت "حسنا، عندما تقرأ جاكوبسون، يبدو واضحاً أن القواعد هى وسيلة، وليست هدفا. هذا مدخل للبناء ولجمال اللغة، ليس فقط حيلة تفيد فى حيلة! "حيلة"! كررت بعينين حاضرتين بالنسبة للآنسة جوس، القواعد تكون حيلة!

إذا استمعت جيداً إلى جملتى، عليها أن تفهم أن الأمر ليس حيلة بالنسبة لى، ولكن أعتقد أن الرجوع إلى جاكوبسون قد أفقدها الدواسات، دون أن تأخذ فى الحسبان الذين يضحكون بسخرية ومن بينهم كاتيل مارتن، دون أن نفهم شيئاً فيما قلته، ولكن فى الإحساس بقطعة جليد فى سيبيريا، موضوعة فوق مدرسة اللغة

الفرنسية البريئة..

فى الواقع, فأنا لم أقرأ جاكوبسون قط, أنت تفكر جيداً "إننى ربما أشك, أفضل القصص المصورة رغم ذلك، أو الأدب", ولكن صديقة لأمى وهى مدرسة فى الجامعة تكلمت عن جاكوبسون بالأمس بينما كانت تكتب على الآلة الكاتبة فى الساعة الخامسة وهى تتناول جبنا بقريا وزجاجة نبيذ أحمر.. لقد حدث لى ذلك هذا الصباح.

فى هذه اللحظة, أحسست بالشفقة تجاه السيدة ميجر, ثم أنا لا أحب العقاب النفسى, هذا لا يشرف أحدا قط, دون أن نأخذ فى الحسبان أنه ليست لدي الرغبة أن أحداً سوف يبحث عن معرفتى لجاكوبسون, وأبدأ فى الشك فى واقع الذات.

إذن, تقهقرت ولم أعد أقول شيئاً, لقد شربت طوال ساعتين من الصمغ, والسيدة ميجر أنقذت جلدها كمدرسة، ولكنها عندما تركت الفصل أحسست بعينيها الصغيرتين القلقتين اللتين تتبعانى حتى الباب.

وفى طريق البيت, تساءلت: "للأسف فإن الفقراء روح. إنهم لا يعرفون لا الذعر ولا جمال اللغة".

(5)

شعور لطيف

لكن مانويلا الحساسة لخطى النساء اليابانيات, تبحر هنا نحو مجالات أخرى.

قالت: "آل روزن تعد طبقا لأنه ليس هناك مصباحان متشابهان".

سألت مندهشة: "حقاً!"

أجبت: "نعم, حقاً, وماذا؟ عند آل روزن هناك شئ مزدوج, لأنهم خائفون من الخطأ, أنتم تعرفون القصة المفضلة للسيدة؟"

قالت مفتونة بعلو المنظر, أو بالحديث الذى يسوقنا إلى "لا".

أثناء الحرب, كان جدها الذى خزن من كل الأشياء فى كهفه, أنقذ أسرته وهو يخدم ألمانيا, كان يبحث عن بكرة خيط كى يحيك زراراً فى زيه الرسمى, إذ لم تكن لديه هذه البكرة.

صوت حيوان, وكل الآخرين معه, وماذا لو تؤمن أو لا تؤمن, فى هذه السقيفات والكهف. كل شئ كان مزدوجاً, هل جعلها هذا أكثر سعادة؟ هل كان يرى أن الأفضل فى الغرفة أن هناك مصباحين متشابهين؟

قلت: "لم أفكر مطلقاً فى هذا, حقا, إننا زينا دخائلنا بإسراف".

سألت مانويلا: "كيف هذا؟"

- بالتكرار.. مثلما حدث لأسرة آل آرتين, نفس المصابيح والزهريات المزدوجة, فوق المدخنة, نفس مقاعد الفوتيه المتجانسة فى كل جانب من الأريكة, مائدتان منسقتان, وسلسلة من الأوعية المتشابهة فى المطبخ..

أجابت مانويلا:

- الآن جعلتنى أفكر, ليس هذا إلا للمصابيح, فى الواقع ليس هناك شيئان متشابهان عند السيد أوزو, حسنا, يجب أن أقول إن هذا يولد شعوراً لطيفاً.

تساءلت:

- هل هو تعليق لطيف؟.

فكرت لحظة, والجبهة مجعدة.

لطيف مثل بعض الأعياد, عندما نأكل كثيراً, أفكر فى هذه اللحظات التى غادر فيها الجميع.. زوجى وأنا, ذهبنا إلى المطبخ, أعد مرقة من الخضروات الطازجة, وأقطع عيش الغراب نئ رقائق, آكلنا مرقتنا وعيش الغراب بداخلها, لدينا الشعور أننا نخرج من عاصفة, وأن كل شئ صار هادئاً.

- لسنا خائفين من أخطائنا نحن سعداء فى اللحظة الحاضرة.

- تحس أن هذا أمر طبيعى, ومثل هذا نأكل.

- يمكن أن ننتهز ما عندنا, لا شئ متضارب, احساساً بعد الآخر.

- نعم, لدينا أقل لكننا ننتهز أكثر.

- من يمكن أن يأكل أشياء كثيرة فى مرة واحدة.

- حتى المسكين السيد آرتين.

قلت وأنا أتذكر الواقعة فجأة:

- لدى مصباحان متلاءمان فوق مائدتى الليل منشقتان.

قالت مانويلا:

- وأنا أيضاً.

وهزت رأسها. ربما نحن مرضى، بقوة بالغة.

قامت وقبلتنى واتجهت إلى مسكن آل باللير فى عناء وعبودية.. بعد رحيلها بقيت جالسة أمام فنجانى الفارغ، بقى شحاذ، أقرض أسنانى بكل شراهة أمام ابتسامة غيرت أسلوب القضم الداخلى، مثل تذوق نكهات جديدة..

وأنا أفكر ملياً، وأتذوق السمات فى غير زمانها لهذا الحديث، هل عرف أبدا الخادمات والبوابات اللائى يقسمن الساعة والوقت، مجهزاً الحس الثقافى للديكور الداخلى، سوف تفاجأون لما يقوله الناس الصغار، إنهن يفضلن قصص النظريات، الأقدمون ذوو المفاهيم، والصور والأفكار، هذا لا يمنعهم من التفلسف، أيضاً هل نحن حضارات مقضومة بالفراغ وأننا لا نعيش سوى فى عذاب الافتقاد؟.. ألا نستمتع بما تمتلك أو بأحاسيسنا عندما نتأكد للاستمتاع أكثر؟ ربما أن اليابانيين يعرفون أننا لا نتذوق المتعة إلا لأننا نعرفه سريع الزوال ووحيد، وراء هذا المعرفة، هل هم قادرون عن أن ينسجوا حياتهم.

تكرارا ينزعوننى مرة واحدة من فكرى، الملل يولد يوما من التشابه، وهذا هو باب مسكنى يقرع.

(6)

وابى

إنه جوّال يلعك العلكة, مثل الفيل, بحكم القوة, وبالسعة الفكية, هذه العلكة تضغط عليه, سأل:

- السيدة ميشيل؟

دس لى لفافة فى يدى, سألت:

- لا شئ نوقع عليه.

ثم اختفى.

إنها لفافة مستطيلة مليئة بأوراق الكرافت, مثبتة بواسطة دوبار من النوع الذى يستخدم فى إغلاق حقائب البطاطس, أو ترك فى الشقة سدادة من الفلين لتسلية القط, أو لمضايقته فى التمرين الوحيد الذى يعيه, فى الحقيقة هذه اللفافة من الخيوط جعلتنى أفكر فى التغليف الحريرى لمانويلا, لأنه رغم هذا النوع فإن الورق يبدو خشنا, أو على الأصح متفننا فى الأبهة, هناك فى عناية ترجع إلى أصالة المفاهيم العليا, شئ ما من التشابه والعمق الكامل. نحن نسجل أن تكوين المفاهيم النبيلة يتشكل بدءاً من الابتذال الأكثر خشونة, الجميل هو المعادلة، وهو فكرة عليا تظهر أيدى جوال مجتر.

الجمال, إذا فكرنا فيه قليلا بجدية, فهو ليس سوى مبادرة مطبقة فى طريق المعادلة, وهو نوع من طريق الساموراى بنية الأشكال الأصيلة, لقد قمنا بربط أنفسنا بمعرفة المعادلة, وهى فى كل لحظة من الوجود, تسمح لنا أن نمسك كل ما به من صفاتها فى هذه الفرص النادرة, حيث كل إيقاع نستمتع به.

أنا لا أتكلم عن هذا النوع من الجمال المطروق فى الفن، الذى هو مثلى, ملهم بعظمة الأشياء الصغيرة. الهروب حتى جوهر القلب. هناك, الآن الملابس اليومية,

تتدفق ضمن ترتيب الأشياء العادية, واليقين الذى يجب أن يكون هكذا, من مفهوم "هكذا جميل".

فككت الخيوط ومزقت الورق, إنه كتاب, طبعة جديدة, جميلة بالجلد البحرى, بحبة ضخمة "ومابى" جدا.. باليابانية تعنى كلمة "وابى" شكلاً ممسوح الجمال, سمة من الجاذبية المقنعة بخشونة, لا أعرف بالضبط إن كان هذا هو المعنى, لكن هذه الحزمة هى "وابى".. أكيد وبلا نزاع.

وضعت نظارتى, ورحت أتصفح عنوان الكتاب.

فكرة عميقة رقم 11

شجرة بتولة

علمتنى اننى لا شئ

وأننى مدين للحياة

بالأمس أعلنت أمى عند العشاء, وكأن هذا دافع أن تصب الشامبانيا دفعات، أن عشر سنوات انطوت على بدايتها للتحليل, واتفق الجميع على أن يقولوا أن هذا – عـ - جـ - يب! لا أرى أن التحليل النفسى من أجل منافسة المسيحية فى حب الآلام المستمرة. هذا ما لم تقله أمى, لقد استمر الأمر عشر سنوات وهى تتعاطى المضادات ضد التوتر النفسى, ولكن بشكل ظاهر, فهى لم تعقد أى رابطة, أما أنا فأعتقد أن هذا ليس لتخفيف الألم النفسى الذى تتناول من أجله مضادات التوتر, ولكن من أجل تحمل التحليل النفسى. عندما تروى جلساتها كانت تضرب برأسها على الحائط القريب, أما الشاب, فإنه يتمتم "همم" على فترات وبشكل منتظم, وهو يكرر نهايات الجمل, لقد ذهبت إلى بيت لونتر مع أمى.: "همم, أمك؟" "أحب الشكولاتة كثيرا": "هم.. الشكولاتة؟". فى هذه الحالة, أستطيع أن أكرر التحليل على نفسى فى اليوم التالى, وإلا فإنه سيجرب عليه علاجات حول "العلة الفرويدية" التى تتفق بشكل عكسى مع ما يؤمن به - ليس بألغاز رمزية - ولكن يتعين أن تفسر شيئاً ما جذابا, بالنسبة لى, فهو ليس قيمة فى ذاته, فهناك أذكياء وهناك باقات, وهم كثيرون, وهناك الكثير من القمامة وأيضاً الكثير من الأفخاخ الواضحة. سوف أقول تفاهة ولكن, الذكاء فى حد ذاته ليست له أى قيمة أو أى أهمية, هناك أشخاص بالغو الذكاء كرسوا حيواتهم فى مسألة جنس الملائكة, على سبيل المثال, لكن الكثير من الأذكياء لديهم نوع من الاعتقاد أنهم يتخذون الذكاء كغاية, لديهم فكرة واحدة فى الرأس: أن تكون ذكياً هذا هو الغباء, وعندما يتم اتخاذ الذكاء كهدف, فإنه يتم توظيفه بشكل غريب: البرهان أنه موجود لا يتمثل فى العبقرية والبساطة, ما ينتج عنه, ولكن فى ظلمة تعبيره..

إذا رأيت الأدب الذى ترويه أمى فى اجتماعاتها, فهذا نموذج.. إنه يغلق

المرفوض, حيث يتجاوز الواقع كثيرا من الرياضيات ونظريات مشكوك فيها، حتى النصوص التى تقرأها كولومب "إنها تعمل فى محل جوييوم أوخان, خريجة مدرسة الفرنسيسكان فى القرن الرابع عشر" أقل مهابة مثل أن تقول: من الأفضل أن تكون راهباً مفكراً من تصبح مفكراً معاصراً.

وعلاوة على ذلك, كان اليوم الفرويدى, بعد الظهيرة, رحت آكل الشيكولاتة, أحب الشيكولاتة كثيرا، وهذا بلا شك الشئ المشترك الوحيد مع أمى وأختى. وأنا أقرمش إصبعا منها بالبندق, شعرت أن إحدى أسنانى تفلق, أذهب لأرى نفسى فى المرآة, وأتأكد بكل قوة أننى فقدت ثنية من سنتى, هذا الصيف فى كويمبر فوق الدرب, وقعت بعد أن تعثرت قدمى فى حبل, وانكبست نصف سنتيمتر, ومنذ ذاك راحت السنة تتفتت من وقت لآخر, باختصار لفقد فقدت سنتى الصغيرة, جعلنى هذا أسخر لأننى أتذكر ما تحكى لى أمى عن حلم كانت تحلم به دوماً: أنها فقدت أسنانها. إنها أسنان سوداء تسقط الواحدة تلو الأخرى, وهذا ما قاله محللها النفسى بالنسبة لهذا الحلم:

"سيدتى العزيزة, كل فرويدى أخبرك أن هذا حلم يسمى بعلم الموت, كم هذا غريب, أليس كذلك, وليست هذه سذاجة التفسير "اسنان تسقط = الموت, المظلة + قضيب الذكر, الخ, كأن الثقافة لم تكن قوة كبيرة, من الإيحاء والإشارة التى لا تتماشى مع واقع الأشياء. إنه السلوك الممنوع يرسخ السمو الفكرى, يقول ذلك عالم فرويدى, حول التبحر البعيد أن هذا يعطى الانطباع أن ببغاء يتكلم".

لحسن الحظ, ومن أجل أن أسترجع نفسى, اليوم ذهبت إلى كاكورو لتناول الشاى والتهام الجاتوه بالبندق اللذيذ.. هذا الرجل الرقيق للغاية, جاء كى يدعونى وهو يقول لأمى: "لقد تعارفنا فى المصعد, وقد أجرينا حديثاً رائعاً, ما زال بيننا".. قالت أمى مندهشة: "آه, حسناً.. حسناً, أنت محظوظ, فابنتى لا تتكلم مطلقاً معنا".

تساءل كاكورو: "هل تريدين أن تأتى لتناول فنجان شاى، وسوف أقدم لك قططى؟"..

وبالتأكيد, ماما التى طمعت تستطيع أن تمتلك القصة قد وافقت بكل ملاطفة كانت أعدت خطط الدعوة إلى بيت الثرى اليابانى, يجب أن أقول إن أحد الدوافع

هو الافتتان المشترك, بالنسبة للسيد أوزو تتمثل في أنه بالفعل بالغ الثراء "كما يبدو" باختصار. لقد ذهبت لتناول الشاى معه وتعرفت على قططه. حسناً, فى هذا المخطط لم أكن مقتنعة بأسرتى لكن بهذا الكاكورو الأنيق على الأقل, استعرضت وجهة نظرى عن الكاكورو الذى أبلغنى أنه يؤمن بالإشعاع وحساسية شجرة بلوط.

واستمر الحديث حول تعريف الذكاء, سألنى إذا كان يستطيع أن يسجل رأيي حول فروته: "إنه ليس هبة مقدسة, بل هو السلاح الوحيد للقيادات".

ثم عدنا إلى السيدة ميشيل, فكر أن قطه يسمى ليو على اسم ليو تولستوى, واتفقنا أن نقول أن بوابة تقرأ تولستوى وأعمالا من الناشر فرين, ليست كياناً عادياً, كانت لديه عناصر موفقة كى يفكر أنها تحب آنا كارنينا كثيراً, وقرر أن يرسل لها نسخة, وقال: "سوف نرى رد فعلها".

لكن لم تكن هذه هى فكرتى العميقة هذا اليوم, لقد جاءت من جملة نطق بها كاكورو, كنا نتكلم عن الأدب الروسى الذى لم أكن أعرفه بالمرة, شرح لى كاكورو ما يحبه فى روايات تولستوى, أنها "روايات عالمية" وأن هذا يحدث فى روسيا, فى هذا البلد حيث هناك شجر البتول, فى كل ركن من أركان الحقول.. وفى أبان حملة نابليون, صار على الطبقة الراقية أن تتعلم الروسية لأنها لم تكن تتكلم إلا الفرنسية, حسناً, إنه من ثرثرة الكبار.. ولكن هذا من الخير, كاكورو, يتصرف بكل أدب, هذا الموقف من واحد يعطى للآخر الشعور بأنه موجود, حسناً, فى الحقيقة, فإن روسيا الروس الكبار, فإننى لا أراها سيئة, هل يتكلمون الفرنسية؟

فى الوقت المناسب لم أفهم جيداً لماذا كنت حساسة لأشجار البتول, تكلم كاكورو عن الريف الروسى, وأشجار البتول المرنة والصاخبة, وأحسست بنفسى خفيفة, خفيفة..

بعد ذلك, وأنا أفكر قليلاً, فهمت بشكل جزئى هذه الفرجة المفاجئة عندما كان كاكورو يتكلم عن شجر البتول الروسى, إنه يعطينى الإحساس نفسه عندما نتكلم عن الأشجار, لا يهم أى شجرة: التليو فى فناء المزرعة, الكستناء خلف الصومعة القديمة, أشجار الأرز الكبرى التى اختفت الآن, الصنوبر التى أحنتها الريح معها الخ, هناك الكثير من الإنسانية فى هذه المقدرة على جنى الأشجان, الكثير من الحنين

للدهشات الأولية، الكثير من القوة أن تحس باللا معنى فى صدر الطبيعة..

نعم، هكذا: استدعاء الأشجار، وعظمتها المختلفة، والحب الذى يجلبه لا يعلمنا كم نحن متطفلون أشرار نزحف فوق سطح الأرض لأننا مدانون فى الوقت نفسه بالحياة، ولأننا قادرون على معرفة الجمال الذى لا يفرض علينا.

تكلم كاكورو عن أشجار البتول، وقد نسى المحللين النفسانيين وكل أنواع الأذكياء الذين لا يعرفون ماذا يفعلون بذكائهم، أحسست فجأة بقوة أننى قادرة أن أمسك الأشياء الكبيرة الجميلة بنفسى.

مطر الصيف

(1)

خفاء

وضعت نظارتى وأنا أقرأ الخط الغامض للعنوان

ليو تولستوى, أنا كارنينا

مع بطاقة.

سيدتى العزيزة

تكريماً لقطك

بكل المودة

كاكورو أوزو

إنه مشجع دائماً بأنه اهتدى من جنون العظمة الخاص به.

لقد رأيت بدقة وخلعت القناع.

الرعب فرج بى.

قمت بشكل آلى, ثم عاودت الجلوس, وأعدت قراءة البطاقة.

شئ ما ينتقل بداخلى, نعم, لا أعرف ماذا أقول, لدي إحساس مضحك أن مقياساً بداخلى سوف يحل مكانه آخر, هذا لا يحدث لك قط؟ هذا يجعلك تحس بتحركات داخلية بأنك غير قادر على وصف الطبيعة, لكن هذا ذهنى ومكانى يحدث فى آن

واحد, ثم انتقال.

تحية لقطتك مع حالة من لا تصديقه غير متصنعة, سمعت ضحكة صغيرة أشبه بالقهقهة تنطلق من حنجرتى, إنه مقلق, لكنه غريب.

تحول باندفاع خطير – كل الاندفاعات خطيرة عند الذين يعيشون بوسائل حياة خفية - سأبحث عن ورقة وعن ظرف وعن قلم جاف "برتقالى" وأكتب.

"شكراً.. ليس هناك داع".. البوابة

خرجت إلى البهو بحذر الهنود الحمر "السيو".. لا أحد, ودسست الرسالة فى صندوق السيد أوزو, وعدت إلى مسكنى بخطى خفية – طالما أنه لا يوجد روح تعيش - كنت منهكة وغصت فى الكرسى ذي المقعدين, وإحساس بأن العمل منجز.

انتابنى إحساس قوى للاشئ. للاشئ.

هذا الاندفاع الغبى, بعيداً عن أن يضع الحد لامرأة طريدة, يتم تشجيعها بمائة ضعف, إنها غلطة استراتيجية كبرى. هذا الطبع الخفى بدأ يسرى بأعصابى.

أمر بسيط. لا أفهم موقعه, البوابة سوف تقع فى إطار المعنى، وأيضاً: أنت ارتكبت خطأ. سأعيد لك هديتك.

وبدون بهرجة, وبشكل مختصر ومحدد, خطأ فى المرسل إليه.

ماكر وبشكل محدد: لا أعرف القراءة.

أكثر اعوجاجاً: قطى لا يعرف القراءة.

حاذق: شكراً. لكن هدايا رأس السنة ستفتح فى شهر يناير.

وأيضاً, صيغة إدارية: رغبة فى الشكوى استقبال بفتح المدارس.

وبدلاً من أى شئ, تدللت باستظراف وكأننا صالون أدبى:

"شكراً كان لا يجب".

وانتفضت من المقعد واتجهت نحو الباب.

تنهدت بصوت عال ثلاث مرات، وعبر الزجاج رأيت بول نجوين الذى يحمل الرسائل, يتجه نحو المصعد. أحسست بالضياع. اختيار واحد هو: الموت. مهما حدث, فأنا لست هنا, لا أعرف شيئا, لن أجيب, لا أكتب, ولن آخذ أى مبادرة.

مرت ثلاثة أيام, على التوالى, واقتنعت بما قررت, ألا أفكر أنه غير موجود, ولكننى لم أكف عن التفكير فيه, لدرجة أننى لم أنس مرة واحدة إطعام ليو الذى كان آنذاك أقرب إلى الصامت الرقيق.

ثم فى نحو العاشرة طرق بابى.

(2)

عمل الحس الكبير

فتحت. وقف السيد أوزو أمام مسكنى, قال لى:

- سيدتى العزيزة, أنا سعيد أن رسالتى لم تزعجك.

انفعلت برعشة لا أعرف شيئا وأجبت وأنا أتماسك, وأحس بالعرق ينساب علىَ كالجاموس.

- نعم, نعم, أهه.. لا

استرددت عواطفى المثيرة ببطء ثم أجبت بصوت بطئ:

- حسناً, حسناً.

ابتسم لى برقة.

- السيدة ميشيل. لم آت إلى هنا لتشكرينى.

قلت وبى شئ من الحمية: (دعها تموت على الشفاه). الذى فيه اقتسم الفن مع فيدرا, وبرنيس, وهذا المسكين ديدون.

قال: "جئت أرجوك أن تتناولى العشاء معى مساء الغد, وستكون أمامنا الفرصة أن نتكلم عن أذواقنا المشتركة".

رددت بشكل مختصر: "هيه".

أكمل بكل بساطة: "عشاء وسط الجيران".

أكملت رغم التشوش فى رأسى:

- وسط الجيران؟ لكننى البوابة.

- من الممكن أن نمتلك صفتين فى آن واحد.

يا أمنا العذراء, ماذا أفعل؟

هناك دائماً الطريق السهل, رغم أننى أنفر من اتخاذه, فإنه لم يكن لدىّ أطفال, ولا أشاهد التليفزيون, ولست مؤمنة, وكل المشاعر التى تمتلك الناس أن الحياة تبدو لهم سهلة, الأطفال يساعدون فى تأجيل الواجب, المؤلم أن نواجه أنفسنا, والأطفال الصغار يدركونها بعد ذلك, التليفزيون يلهى عن التعب اللازم لبناء مشاريع بداية من لا شئ فى وجودنا العابث. كما أنها تغش العيون بأنها تفرغ العقل من المشاعر الكبيرة, الله أخيراً يهدى مخاوفنا كتدييات, والمنظور غير المحتمل لملذاتنا التى تنتهى فى يوم ما, وأيضاً دون مستقبل ولا أنساب وأصل يوحى بطابع الوحوش, الوعى الكونى, بالسخف واللامعقولية, فى يقين النهاية.

واستباقا للشعور بالفراغ, يمكننى القول بأننى لم أختر طريقاً سهلاً, ورغم ذلك سعيت بشكل جيد.

- لا ! شكراً أنا مشغولة.

- هذا هو الإجراء الأكثر دلالة, يوجد الكثير من التغيرات المصقلة.

- هذا رائع بالنسبة لك ولكن عندى مفكرة وزير "مصدق قليلا".

- خسارة. سوف أرجل إلى ميجيف غدا "رائع".

- آسف ولكن لدى أسرة "ارشيفى"

- قطى مريض, لا أستطيع أن أتركه وحيداً "بعاطفية".

- أنا مريضة, افضل البقاء بالغرفة "مثير للوقاحة".

واستعدت فى النهاية بالقول:

- شكراً ولكن لدي الكثير من الناس هذا الأسبوع.

بدا الصفاء الدامث على السيد أوزو واقفاً أمامى فى الزمن ثغرة بارقة خاطفة السرعة.

(3)
خارج الزمن

أسفل الكرة الأرضية تسقط الندوف.

أمام عينى ذاكرتى, فى مكتب الآنسة معلمتى، حتى فصل العظماء للسيد سيرفون: تتجسد الكريات الزجاجية الصغيرة.. عندما كنا نستحق كان لدينا الحق فى تدويرها, وإمساكها بباطن اليد, حتى سقوط الندفة الأخيرة تحت قدمى برج إيفل المدهون بالكروم.

لم يكن عمرى سوى السابعة عندما عرفت أن الأنشودة البطيئة للأجزاء الصغيرة المندوفة تمثل ما يحسه القلب أثناء الفرحة العظيمة, تباطئت المهلة وتوسعت.

يخلد الباليه فى عتاب الصدمات, وعندما نزلت آخر ندفة أدركنا أننا نعيش خارج الزمن الذى هو علامة على التنوير الضخم, وأنا طفلة كنت أتساءل دوماً إن كنت سأعيش لحظات مثيلة, وأن أدخل فى قلب البطء مع رقصات الندوف العظيمة، وهاأنذا أخيرا, أنزع رعشة الزمن الرخو.

هل يحس هذا بالعرى؟ ملابسك المنزوعة خارج جسمك, تبقى الروح مع ذلك منزعجة من التزين. ولكن دعوة السيد أوزو فجرت فى داخلى الشعور بهذا العرى الشامل الذى هو أيضاً هو عرى الروح الوحيدة, المحاطة بهالة من الندوف, تجعل قلبى الآن مثل احتراق لذيذ.

نظرت إليه.. ألقيت نفسى فى المياه السوداء, العميقة, الباردة, الخارجة عن الزمن.

(4)
عنكبوتى

تساءلت بعد الظهيرة نفسها مع مانويلا:

- لماذا, لكن لماذا, لحب الله؟

قالت لى وهى تضع طاقم الشاى:

- كيف هذا؟ إنه رائع للغاية؟

تثاءبت:

- أنت تمزحين.

قالت: "يجب أن نفكر بشكل عملى, الآن, لا تتصورى أنك ستذهبين بهذه التسريحة غير اللائقة".

ثم استكملت حديثها وهى تنظر إلى بعين خبيرة:

- هل لديك فكرة عن مفاهيم مانويلا فى مادة تصفيف الشعر! هذه السيدة الأرستقراطية القلب هى سيدة بروليتارية.. الشعر, مجعد, مبروم, منتفخة, ثم ترش بخلاصة المادة العنكبوتية الشفافة, فالشعر حسب مانويلا يجب أن يكون بناءً هندسيا أو لا يكون.

قلت وأنا أحاول لا أتعجل: "سوف أذهب إلى الكوافير".

نظرت إلى مانويلا بشكل مشبوه, سألت:

- ماذا سترتدين؟

بعيداً عن فساتينى طوال الأيام, فساتين البوابة المتنوعة, ليس لدى سوى نوع من المونج الأبيض لحفلات الزفاف, مدهون بالنفتالين, إنه الثوب اللاهوتى الأسود المحزن أستخدمه فى مناسبات الدفن النادرة التى أدعى اليها, قلت:

- سوف أرتدى ثوبى الأسود.

سألت مانويلا وهى تنحنى أرضاً: "فستان الدفن".

- ليست عندي غيره.

- إذن, يجب أن تشترى.

- لكنه ليس سوى عشاء.

أجابت المربية الفظة التى تطرق فى مانويلا:

- أعتقد هذا, لكنك لن تلبسى للعشاء عند الآخرين.

(5)

دانتيلا وزخارف نسائية

وبدأت الصعوبات: من أين نشترى فستاناً؟

بشكل عادى, فإننى أشترى ملابسى حسب التساهيل, ومن بينها الأحذية, الملابس الداخلية, وتريكو الجلد, فكرة المحاولة تحت أعين فتاة شابة فاقدة الشهية فى الحياة, تحمل جقيبة, أدارت رأسى المحلات دائماً, يريد البؤس أن يكون الوقت متأخراً, أملاً فى البيع والتسوق حسب الوقت.

لا تكونى سوى صديقة وحيدة ولكن اختاريها جيداً.

فى صباح اليوم التالى, زارتنى مانويلا فى مسكنى، تضع غطاءً للملابس التى تمدها لى بابتسامة نصر.

تزيد مانويلا عنى فى الطول خمسة عشر سنتيمتراً, وتزن أقل منى عشرة كيلو جراما, أرى امرأة وحيدة من أسرتها يمكن لملابسها أن تناسبنى, إنها حماتها, الراهبة آماليا التى تشغف بدهشة بالدانتيلا والزخارف النسائية, رغم أنها ليست لها روح لحب الغرائبيات, الطريقة البرتغالية فى الزركشة, تنم عن روكوكو: حالة تخيل تخلو من الرقة, فقط هذيان التجمع, الذى يجمع الفساتين فى قمصان نوم محزمة, وأقل قميص فى مسابقة احتفالية.

أنتم تعرفون إذن كم أنا قلقة, هذا العشاء الذى يعلن نفسه مصلوباً, يمكن أيضاً أن يكون من فارس, قالت مانويلا بالضبط:

- سوف تكونين أشبه بنجمة سينما.

بدت عليها الشفقة: أنا أمزح

وهى تنزع الغطاء عن فستان بهيج انتزعت منه كل زخارفه سألت وأنا أتفحصها:

- من أين حصلت على هذا؟

وبمجرد النظر, فهى حسنة القامة, وبرؤية العين أيضاً هذا فستان غالي الثمن, من الجبردين, والصوف الذى يبدو بالغ البساطة, بياقة قميص وأزرار من الأمام. بالغ البساطة وشديد الأناقة, نوع الفستان الذى ترتديه السيدة بروجلى.

قالت مانويلا بشكل ملائكى: "ذهبت مساء الأمس عند ماريا".

ماريا هى حائكة برتغالية تسكن قريبا من منقذتى، لكن هذه أفضل من مواطنة بسيطة, كبرت مانويلا وماريا معا فى فارو, وتزوجتا من اثنين من سبعة إخوة من أسرة لوبيز, وتتبعتها فى فرقة موسيقى إلى فرنسا حيث أنجبتا أطفالهما بشكل عملى فى نفس الوقت, خلال بضعة أسابيع متقاربة. وامتلكن قطا مشتركا وذوقا متشابها للحلويات اللذيذة.

سألت: "هل تعنى أن هذا الفستان ملك شخص آخر؟"

أجابت مانويلا بتكشيرة صغيرة: "نعم، ولكن أنت تعرفين, فهى لن تخبرك, المرأة ماتت فى الأسبوع الماضى, من هنا وحتى يضع فى الحسبان أن هناك فستاناً عند الخياطة.. أنتم تعرفون وقت العشاء عشر مرات مع السيد أوزو".

كررت مرتعبة: "هل هو فستان امرأة تعيسة. لا أستطيع أن أفعل ذلك"..

سألت مانويلا وهى تدعك رموشها: "لماذا هذا؟ هذا أفضل مما لو كانت على قيد الحياة, تخيلى أننى أديت واجباً. يجب أن تقومى بالكى بالبخار وأن تجدى العذر, دعى القلق".

كانت النفعية عند مانويلا شيئاً كونياً, ربما يجب علىَ أن أنهك الإلهام باعتبار أن الموت يعنى العدم.

احتججت: "لا أستطيع أن أفعل هذا".

قالت مانويلا وهى تنطق الكلمة وكأنها تستسيغها بروحانية: "ماذا فى الأمر؟ ماذا

تريدين؟ هل أصابك ألم؟"

قلت: "لكن هذا الأفضل من شخص ما وآخر, لا أستطيع أن أتناسب معها".

هتفت: "لكنها ميتة, وأنتِ لم تسرقيها, سوف ترتبكين هذا المساء".

عندما بدأت مانويلا فى الحديث حول اختلافات علم الدلالة لم يكن أمامها سوى أن تحاول.

قالت لى ماريا أن هذه امرأة بالغة الرقة, لقد وهبت الفساتين ومعطفاً أنيقاً ماركة البلاباجا، لا تستطيع أن ترتديها لأنها صارت بدينة.. هنا قالت إلى ماريا: "هل يمكن لهذه أن تكون مفيدة لك؟ أنت ترين أنها امرأة بالغة الرقة".

البلاباجا هو نوع من حيوان اللاما, مختلف فى صوفه المتماسك جدا, وعلى الرأس المزدانة بالباباظ.

قلت بقليل من اللين: "لا أعرف, أحس أننى أسرقه من امرأة معينة".

نظرت إلى مانويلا فى غيظ.

- أنت ترتبكين, أنت لا تريدين, هل تريدين أن تصنع فستانها, المرأة المسكينة؟

لم يكن هناك سبب لهذا, قالت مانويلا وهى تغير الحديث, وبكل جاذبية:

- إنها ساعة السيدة باللير.

قلت: "سوف أقضى هذه اللحظة معك".

أعلنت وهى تتجه نحو الباب، وهى تنتظر:

- سوف أذهب إليه, جربيه, اذهبى إلى الكوافير وسأعود بعد ساعة لأراك.

دققت فى الفستان لحظة, متشككة فيه, علاوة على التكتم الشديد حول فستان

امرأة ميتة, أشك أنها تترك على أثر فظا, فيوليت جرلييه هى سيدة مثل بيير آرتين وهى من الحرير, وأنا من فوطة المائدة, تشكل مع مطبوعات موف أو أزرق بحرى.

وضعت البرهان عند عودتى.. تنبهت أننى لم أشكر مانويلا.

يوميات حركة العالم رقم 4

إنه غناء جماعى جميل

بعد ظهر الأمس, كان كورال المدرسة فى مدرستى بالحى الثرى, كان هناك حفل كورال, لم ير أحد أن هذا مثير, جاهد كل الناس للذهاب إلى هناك, ولكن الحفل اختير بعناية, السيد تريانون, مدرس الموسيقى, ثلاثى غنائى عند البوابة, سبب نجاح الكورال أنه السيد تريانون بنفسه, شاب, جميل, يشدو أغنيات وألحانا من الجاز القديم أكثر من الألحان الحديثة, أوركسترا الفصل, كل العالم لم يتطلع إلى الكورال المتكون من 31 فرداً يغنون أمام تلاميذ المدرسة, لقد تمت دعوة أباء الأطفال المنشدين لأن دون هذا سيكون هناك الكثير من الناس, امتلأت صالة الرياضة بالضوضاء, وسط عاصفة من الحماس.

بالأمس إذن, ناحية صالة الرياضة ذات الخبب الصغير, تصرفت السيدة ميجر كعادتها, يوم الثلاثاء بعد ظهيرة فى الساعة الواحدة, كنا فرنسيين تحت قيادة السيدة ميجر تجمعنا كلمة حلوة كبيرة, بذلت كل ما بوسعها كى تتبع اللحن وهى تصفر مثل عصفور عجوز.. حسنا, وصلنا إلى صالة الرياضة, كل الناس أخذت أماكنها على أحسن ما يكون.

كان علىّ أن أقف أمام وخلف وإلى جوار الناس, أستمع إلى حوارات ضعيفة "ستريو, محمول" موضة, محمول, من مع من, محمول المدرسين الذين لا جدوى منهم, محمول, أمسية كانيل, ثم دخل المطربون وسط الهتاف, يرتدون الزى الأحمر الموحد, مع عقد البابيون للغلمان, وفساتين طويلة, لها حمالات للفتيات, السيد تريانون يجلس فوق مقعد بدون مسند, وقد أولى ظهره للحفل, يرفع نوعا من العصى, يخرج منها ضوء أحمر فى الطرف, وما إن ساد الصمت حتى بدأ كل شئ.

فى كل مرة, يبدو الأمر معجزة, هؤلاء الناس, كل هذا القلق, كل هذه الأحقاد وكل هذه الرغبات, وكل هذه الاضطرابات, كل سنوات المدرسة, لوقاحتها وأحداثها الصغيرة والعظيمة. مدرسوها وتلاميذها المخلطون, كل هذه الحياة التى اندمجنا فيها تصرخ, وتبكى, وتضحك, ثم توقف قطيعة وآمالا حانية, وفرص ضائعة, كل

شئ اختفى فجأة عندما بدأ أعضاء الكورال فى الغناء..

تعقدت مسيرة الحياة فى الغناء، ساد فجأة انطباع أخوى، وتكاتف عميق، الحب يشعشع فوق قبح الحياة اليومية فى تجمع رائع، كانت وجوه المطربين وضاحة. لم أر آشيل جران فرنيه "الذى له صوت تينور رائع" ولا ديبورا ليمور ولا سيجولين راسيه ولا شارل سان سوفور، رأيت كائنات إنسانية تندمج فى الغناء.

فى كل مرة، يبدو الأمر متشابها، وددت البكاء، كانت حنجرتى مزمومة، بذلت ما بوسعى كى أسيطر على نفسى، لكن لمرات، كانت هذه هى الحدود، أستطيع أن أتماسك عن النحيب، إذن عندما يكون هناك موقع، أنظر إلى الأمر وأحس أنه مؤثر جداً، إنه جميل للغاية، بالغ القوة، نتواصل معاً، لست نفسى، أنا جزء من كل ينتمى إليه الآخرون أيضاً. تساءلت دائماً فى هذه اللحظة لماذا ليست هذه قاعدة الحياة اليومية بدلاً من أن تكون لحظة استثنائية للكورال.

عندما توقف الكورال، هدأ الجميع، الوجوه مشرقة، المغنون مشعون، الأمر رائع للغاية. أخيراً، تساءلت إذا كانت الحركة الحقيقية للعالم، ليست سوى غناء.

(6)

انتعاش

هل تصدق أننى لم أذهب أبداً إلى الكوافير. وعندما تركت القرية إلى المدينة اكتشفت أن هناك مهنتين تبدوان لى بالغتي الضآلة فى ما يمكن أن يقدمها مكتب إلى شخص عليه أن يحقق ذاته, فأنا أعتبر اليوم أن باعة الزهور ومحلات الكوافير ليست أبداً متطفلة, وتعيش من التطور الطبيعى الذى يحدث لكل شئ, مما يتكامل مع قوة منصفة, وتولد منتجات عطرية أحس بها وحدى فى الحمام مع زوج من المقصات الجيدة.

سألت وأنا أشير إلى الحلاقة:

- من يقص لك شعرك هذا. مقابل مجهود مرعب.

رحت أبوح لها بعناية تسريح شعرى كخادمة.

سحبت, وحركت كل جانب فى أذنى خصلتين بطول قياسى, أجابت وهى غير منشرحة، وهى تدخر العار الواجب أن أتكلم بنفسى:

- أخيراً, لا أريد أن أسأل. الناس لا تحترم أحداً, أرى هذا كل يوم.

قلت: أريد فقط انتعاشاً.

- لم أكن أعرف ماذا يعنى هذا, إنه رد كلاسيكى من المسلسلات التليفزيونية التى تعرض بعد الظهيرة, ومزدحمة بشابات وضعن الماكياج بشكل جيد, وجدن أنفسهن بشكل متنوع عند الكوافير أو فى مركز قاعة التدريبات الرياضية.

قالت: "انتعاش, لا يوجد ما يثير الانتعاش! كل شئ أنجز, يا سيدتى!"

نظرت إلى رأسى بنظرة انتقادية, تبعتها بصفير خافت.

- لديك شعر جميل, انه هكذا, يجب أن نطلق شيئاً ما

فى الحقيقة, فإن كوافيرتى فتاة جميلة, تمتلك حنقاً تتمثل شرعيته بشكل خاص من الجلوس فى ذاتها, ولأنه من الجميل أن تستعيد السيناريو الاجتماعى الذى يلزم كل منا, فقد اهتمت بى بكل رقة وفرحة.

ماذا يمكن أن نفعل بحفنة من الشعر شذبناه كى يكون له معنى الاتساع, وسط أفكارى القديمة حول قص الشعر, ناحتة كتلة من الصخر لتأخذ شكلاً يعكس مفهومى لأوعية الشعر المحدد.

انتهت بأن قالت, وهى تبارك عملها, بكل رضاء ظاهر:

- لديك شعر جميل حقيقى, إنه كثيف وحريرى, لا يجب أن يقصه أى أحد.

هل يمكن للكوافيرة أن تحولنا إلى هذا الحد؟ أؤمن بذلك فى انعكاسى الخاص فى المرآة, الكاسكيت السوداء المسجونة فى وجهي, قلت بجحود أنه أصبح خفيفاً بشكل واضح حول وجه ليس أبدا دميماً, أعطانى هذا شكلاً محترماً, وجدت نفسى, فى مظهر مزيف, سيدة رومانية.

قلت وأنا أتساءل كف نختلس هذا الجنون غير العابئ بنظرات المقيمين: "إنه رائع".

ليس مدركاً أن الكثير من السنوات التى تتوالى, قد فشلت فوق مقعد من الرمل بضربة.

عدت إلى منزلى وأنا أحدد الحوائط بفرحة غير مسموعة, لا أصدق أحداً, لكن يبدو لى أن ليو ينظر إلىّ بشكل غريب, اقتربت منه, ضرب أذنه للخلف, علامة الغضب أو الحيرة.

قلت له: "هيا, ألا تحب؟".. قبل أن أتحقق أنه يتنفس بشكل ارتعاش ما حوله الغسيل, بالشامبو أفسد المحامى وأغرقه.

وضعت وشاحاً فوق رأسى, وأفرغت فى كأسى كل الانشغالات العاطفية التى

تتمثل فى تنظيف واعى للأزرار اللامعة فى مقصورة المصعد.

إنها الساعة الثانية إلا عشر دقائق، وخلال عشر دقائق خرجت مانويلا من عدم السلم كى تأتى لتفحص المهام التى تم الانتهاء منها.

لم يكن لدى الوقت أن أتوازن, نزعت وشاحى وخلعت ملابسى بسرعة, وارتديت ملابس البوابة البيج التى تنتمى إلى امرأة ميتة, وطرقت الباب.

(7)

مزينة مثل زهرية

قالت مانويلا: وواه.. طظ.

نبرات صوتية وألفة مماثلة فى فم مانويلا, التى لم أسمعها تنطق قط بكلمة مبتذلة, كم هو جميل أن يصيب النسيان أبوها, رمى إلى الكاردينالات, لكن أين إذن هذه القذارة من السلطة الدينية؟.

قلت: "لا تسخرى من نفسك"

قالت: "أسخر من نفسى؟ آه يا رينيه. أنت رائعة".

وبكل اختلاج, جلست, أضافت:

- امرأة حقيقية.

هذا هو ما يقلقنى.

قلت وأنا أعد الشاى: "سوف يكون شكلا سخيفاً وأنا أصحبك للعشاء هكذا. مزينة مثل زهرية".

قالت: "أبداً. إنه أمر طبيعى, نحن نتعشى, ونحن نلبس, كل الناس ترى هذا أمراً طبيعياً".

قلت وأنا أضع يدى فوق رأسى, وأنا أحس بنفس الصدمة فى مس شئ ما هوائى: "نعم, لكن هذا".

قالت مانويلا وهى تدعك أهدابها, وأنا أهبش سلتها بالدربزين المصنوعة من ورق الحرير الأحمر:

- لقد وضعت شيئا ما فوق رأسك, بعد ان صار كل شئ خلفه مسطحاً.

قالت: "فراء الراهبة".

- نعم, لنتحدث فى شئ آخر.

سألت: إذن؟

تنهدت:

- آه, إذا رأيت هذا, اعتقدت أنها سوف تصاب بأزمة قلبية.

قلت:

- السيدة باللير, أنا آسفة, لكننى لن أستطيع الحضور..

لم تفهم, كان يجب أن أقول ذلك مرتين! إذن جلست, وقالت لى: "لكن ماذا أفعل؟"

توقفت مانويلا, وتراجعت للخلف ثم قالت:

- إذا قالت: لكن ماذا سأفعل بدونك؟ لديها الفرصة أن أضع روزى, اللهم إلا إذا قلت: السيدة باللير, يمكنك أن تفعلى ما تريدين, أكاد أن أج...

قال الأب: "سلطة دينية مفلسة".

روزى هى واحدة من بنات أخت مانويلا العديدات, أعرف أن هذا يعنى أن مانويلا تغنى عند العودة لكنها وسيلة نجاح مثمرة من 7 شارع جرينل يجب أن تظل وسط أسرة – أيضا تدخلت روزي, وهى تتبأ بيوم عظيم.

- يا إلهى, ماذا سأفعل بدون مانويلا.

قلت لها وأنا أبتسم: "ماذا سأفعل بدونك؟"

وانسابت الدموع من أعيننا فجأة.

سألت السيدة مانويلا، وهي تجفف وجنتيها بمنديل كبير أحمر, على طريق مصارع الثيران:

- هل تعرفين ماذا أعتقد, لقد تركت السيدة باللير, انها علامة, سوف تحدث لها تغييرات جوهرية.

- هل سألتك لماذا؟

قالت مانويلا: "هذا هو الأفضل, لم تجرؤ, التربية الجيدة, مرات, إنها مشكلة".

قلت: "لكنها سوف تتعلم بسرعة جداً".

نفخت مانويلا بقلب رقيق: "نعم, لكن هل تعرفين؟".. ثم أضافت: "خلال شهر سوف تقولين: هذه لؤلؤة. روزي الصغيرة مانويلا: لقد مررت يدك بشكل جيد, هذه الثرية.. مغارة إذن!"

قال الأب بعصبية وبلكنة إنجليزية: "سلطة داعرة".

قلت: "ورغم ما حدث, فنحن صديقتان".

نظرت كل منا إلى الأخرى, ونحن نبتسم, قالت مانويلا:

- نعم, مهما حدث.

فكرة عميقة رقم 12

هذه المرة سؤال

حول القدر

وكتاباته الأولى

بالنسبة للبعض

وليس للآخرين

أنا غبية قليلا: إذا أشعلت النار فى الشقة, فإن هذا يغامر أن أخسر كاكورو, وأن أعقد وجود الشخص الوحيد البالغ, الذى يبدو لى جديراً بالاحترام رغم أن ذلك غير مناسب بالمرة, لكن إشعال النيران هو رغم ذلك أمر مشروع تمسك به.. اليوم عقدت لقاءً عاطفياً, ذهبت إلى كاكورو لتناول الشاى, كان هناك بول, السكرتير, دعانا كاكورو, مرجريت وأنا, عندما قابلنا فى المعرض أنا وأمى, مرجريت هى أعز صديقاتى, نحن فى نفس الفصل منذ عامين ومنذ البداية, كان هذا ضربة حظ, لا أعرف إذا كان لديك أدنى فكرة عما تعنى مدرسة فى باريس اليوم, فى الأحياء الفخمة, لكن بكل وضوح ليس هذا اشتهاءً للأحياء بشمال مارسيليا. لعله أكثر مضاعفة لأنه حيث توجد الأموال توجد المخدرات..

الأصدقاء الستون السابقون لأمى يسخرون منى بذكرياتهم المبتهجة, والغليون الشيشانى, فى المدرسة (شعبى رغم ذلك. كان أبى وزيراً فى الجمهورية), يمكننا شراء كل شئ: أحماض, كوكا ممتعة, الخ. عندما أفكر فى الزمن حين كان المراهقون يرمون ياقاتهم فى دورات المياه, فهذا أشبه بطعم الخبيزة, زملاء المدرسة يغرقون فى المتعة مثل يزدرو وميشوكو. والأكثر أنه فى ساعة مبكرة. هناك فى الدور السادس (حسنا, ليس كثيرا كبعض الأشخاص لا أكثر) لقد كانت هناك علاقات جنسية أولا, أعتقد أن الجنس قتل الحب, هو شئ مقدس, لا أنادى بروجلى ولكن إذا عشت إلى ما بعد البلوغ, سيكون لدي قلب أحقق به أعجوبة مقدسة, ثانيا مراهق يلعب دور البالغ يبقى رغم ذلك مجرد مراهق, أن يغرق ذات ليلة, والنوم يسدل

عليك الستار فى العالم الداخلى, إنه مثل الاعتقاد التنكرى يصنع منك هنديا.. ثالثا: رغم أن له مفهوما غريبا عن الحياة فهو يريد أن يصبح بالغا, وهو يحرك كل ما هناك نحو كارثة فى عالم البالغين.. أرى أمى تطلق النار على المعارضين وعلى المنوعات, إنه أمر يخصنى طيلة العمر ضد هذا النوع من الجوهر.

أخيراً, فإن المراهقين يعتقدون أنهم صاروا بالغين وهم يقلدون البالغين الذين يظلون كبارا ويهربون عبر الحياة. إنه أمر مثير للعواطف, لاحظوا أننى لو كنت كانيل مارتن, زميلته فى الفصل, فإننى سوف أسأل عما سأفعله بأيامى ابتداءً من مخدراتى. ومصيرها المكتوب على جبينها طوال خمسة عشر عاما, زوج ثرى, سوف تنزع من زوجها الذى سيبحث فى نساء أخريات عما يرضيه, زينة باردة, وزوجة تافهة, سيكون دائماً غير قادر أن يعطيها أى قدر من الحمية الآدمية والجنسية, سوف تبذل آنذاك كل طاقتها فى المنزل ولأولادها, كنوع من الانتقام اللاواعى, سوف تجرب أن تستنسخ, وسوف تفعل, وستلبس بناتها مثل المحظيات المتميزات, وتلقى بهن بين أحضان أول محمول يأتى, وستكلف أبناءها بغزو العالم, مثل أبيهم, الذى يخدع نساءه مع البنات الضائعات.. هل تعتقد أننى شريد؟ عندما أنظر إلى كانيل مارتن, وإلى شعرها الطويل الأشقر المدخن, وإلى عينيها الزرقاوين, وإلى تنورتها القصيرة الأسكتلندية. وثنيات التى شيرت الحديثة وسمرتها الرائعة, أو كذلك أننى سوف أراها بجلاء وأن هذا قد حدث.

أما الآن فكل غلمان الفصل يسيل لعابهم أمامها, وقد أصابهم الوهم بهذا التكريم تجاه المراهقة الصغيرة بمثالية الاستهلاك الأنثوى التى تمثل كل العرفان بالجميل لسحرها الشخصى, أنت تعتقد أننى شريرة, أبدا, هذا يجعلنى أعانى أكثر, وأصاب بالألم, إنه مؤلم بالنسبة لها, عندما رأيت مرجريت للمرة الأولى.. مرجريت من أصل أفريقى.. إذا كان اسمها مرجريت, فليس هذا لأنها تسكن "أوتى", بل لأن هذا اسم زهرة, أمها فرنسية وأبوها من أصل نيجيرى من ميناء أورساى, لكنه لا يشبه أبدا الدبلوماسيين الذين نعرفهم, إنه رجل بسيط يبدو أنه يحب ما يفعله. ليس مجنوناً أبداً.

هى فتاة جميلة مثل النهار, مرجريت هى الجمال مجسداً, بشرة, ابتسامة شعر الأحلام, ابتسمت طيلة الوقت عندما غنى لها أشيل جران - مزينة (ديك الفصل), فى اليوم الأول.. "ميلسا ملونة ابييزا تعيش دائما مجردة الملابس", أجابها لتوه, ومع

ابتسامة عريضة: "آلو, ماما بوبو.. كيف تفعل هذا بى وأنا لست جميلة".. هذا عند مرجريت, هناك شئ ما أعجب به. ليس هذا سهم مفهوم الاتجاه, أو موضوعيا. لكنها لديها حس الرحيل غير المسموح. إنها موهبة, أنا, أنا ممتثلة للتفكير أما مرجريت, فهى مفارقة أولية, كنت أتمنى أن أكون مثلها. أنا, أجد هذا الرد فى خمس دقائق متأخراً للغاية وأقيم الحوار فى رأسى..

تقول كولومب, أن مرجريت عندما جاءت إلى المنزل لأول مرة, قالت لها "مرجريت.. هذا جميل. إنه اسم جدتى" أجابتها من هنا وهناك, على الأقل ليس هذا اسم العصفور, ظلت فاغرة الفم, كولومب, إنها شهية! كان عليها أن تجتر طوال ساعات, أمام الإجابات السهلة لمرجريت وهى تحكى لنفسها أن كل شئ يحدث بالصدفة, لكنه أمر مربك.. رغم ذلك: نفس الشئ تكرر, عندما قالت لها جاسنيت روزن, الصديقة الحميمة لأمى, لا يجب أن يكون قص الشعر سهلا, شعر مثل شعرك. المرجريت أشبه بلبؤة فى السافانا, أجابت: أنا لم أفهم ما قالته السيدة البيضاء.

صار حوارنا المفضل مع مرجريت هو الحب, ما هذا؟ كيف تحب؟ من؟ لماذا؟ أفكارنا تتباعد, بشكل حاد, لدى مرجريت رؤية فكرية عن الحب, لأننى رومانتيكية. إنها ترى فى الحب ثمرة اختيار عقلى "من نوع www.mosgouits.com بينما أنا أمثل طرفاً لغريزة لذيذة. نحن على العكس على اتفاق على شئ: الحب. يجب ألا يكون وسيلة, يجب أن يكون هدفاً.

موضوعنا الآخر فى الحوار عن الصفاء هو استعراض مادة المصير, كانيل مارتن, الإهمال والخداع من زوجها, زوج ابنته إلى ممول. وشجع ابنه على أن يخون زوجته, وأن ينهى حياته فى شاتو فى غرفة إيجارها 8 آلاف يورو فى الشهر, آشيل جيرار فرنيه: أصبح مصابا بالبطولة بين العلاج فى عشرين عاما, واستعادة الحقائب البلاستيكية التى يمتلكها أبى, أن يتزوج من شقراء ملونة. يتبنى ابنا فصامياً وفتاة عصابية, أصبحا سكيرين, مات من سرطان الكبد فى الخامسة والأربعين, الخ.

وإذا أردت نصيحتى, فإن الأمر أكثر رعباً, ليس سوى أن تلعب هذه اللعبة: أن هذه ليست لعبة.

دائما ما نتقابل فى بهو القاعة, مرجريت, وأمى, وآن.. قال كاكورو: عندى أبناء

أخى الصغار الذين أتوا إلى بيتى بعد هذه الظهيرة, هل تريدون اللحاق بنا؟.. قالت أمى: "نعم, نعم بالتأكيد".. قبل أن يكون لدينا الوقت لنقول أوف, نحس بدنو ساعة نزولها إلى الدور الأسفل, إذن لقد ذهبنا, ابنة شقيق كاكورو تدعى يوكو, إنها ابنة أخته إليز التى كانت أيضا ابنة أختها ماريكو فى الخامسة من العمر, إنها أجمل الفتيات على الأرض, رائعة, ومع هذا, تزقزق, وتغرد, تنظر إلى الناس بنفس الشكل الطيب, منفتحة على شقيق جدها, لقد لعبنا الاستغماية, وعندما عثرت عليها مرجريت فى صندرة المطبخ, ضحكت لأنها تبولت فى كيلوتها, ثم أكلنا كعكة الشيكولاتة وهى تتناقش مع كاكورو. تسمعنا وتنظر إلينا برقة, بعينيها الواسعتين (والشوكولاتة حتى رموشها).

عند النظر إليها, تساءلت: هل سوف تصبح إيفا مثل الأخريات؟ حاولت أن أتخيلها قبل عشرة أعوام, مقززة فى حذاء طويل وسيجارة ذات مبسم, وأيضا بعد عشر سنوات أخرى فى معقمة داخلية, فى انتظار عودة أولادها وهم يلعبون لعبة عريس وعروسة باليابانية, ولكن هذا لن يدوم.

أحسست بسعادة بالغة, إنها المرة الأولى فى حياتى التى أقابل فيها شخصاً مصيره لم يتحدد بعد, شخص ما طريقه فى الحياة يظل مفتوحاً, شخص ملئ بالطزاجة والبساطة, تساءلت: "أوه. نعم, يوكو, أرغب أن أراها تكبر". وأنا أعرف أن هذا ليس سوى وهم مرتبط بشبابها لأنه ليس أحد من أطفال أصدقائها, ومن والدى الذى لم يقبل هذا الشعور قط. قلت أيضا أن كاكورو يجب أن يكون على هذه الشاكلة, عندما كنت صغيرة, تساءلت إذا كان أحد - فى تلك الفترة - قد نظر إليه مثلما أنظر إلى يوكو, بكل متعة وفضول, وأنا أنتظر أن أرى البابيون يخرج من شرنقته وهو جاهل, يبوح عن دوافع أجنحته.

إذن, طرحت سؤالا, لماذا هؤلاء وليس الآخرون؟

وأيضا سؤال آخر: وأنا؟ هل مصيرى يتضح فى جبهتى, إذا أردت أن أموت, لأننى أصدقه.

لكن, إذا كان فى عالمنا, فإنه يتحقق إمكانية أن تصبح مما لم تكن عليه.. هل سوف أتمكن من ممارسة حياتى فى حديقة أخرى غير حدائق أبويّ؟

(8)

بالجحيم

فى الساعة السابعة, ميتة أكثر من حية, توجهت نحو الدور الرابع, وأنا أصلى أن أتمكن من تحريك مفاصلى, حتى لا أقابل أحدا. بهو المدخل حاد، والسلم خالي، والسلة أمام شقة السيد اوزو فارغة.

هذا الخواء الصامت الذى يجب أن يغمرنى, يملأ قلبى, حدس مظلم, انتابتنى رغبة عارمة فى الهروب, بدا لى مسكنى المظلم فجأة, أشبه بمأوى ناعم ومشع, وانتابنى إحساس بالحنين وأنا أفكر فى ليون القابع أمام التليفزيون الذى لم يبد لى أبدا ظالما, وبعد كل ذلك, ماذا أفقد؟ أستطيع أن أدور حول نفسى, وأنزل السلم, وأعود إلى مسكنى, لا شئ أكثر سهولة, لا شئ يسقط أسفل المعنى, على عكس هذا العشاء الذى يمس اللامعقول.

ضجة فى الدور الخامس تسقط فوق رأسى, تقاطع أفكارى.. من الخوف بدأت فى التنفس تلقائيا - يا له من امتنان - ودون أن أتفهم الحركة ضغطت الجرس بكل عصبية. ليس هناك وقت لامتلاك القلب الذى يخفق, انفتح الباب. استقبلنى السيد أوزو بابتسامة عريضة, قال لى بتباسط غير ملحوظ:

- عمت مساء يا سيدتى.

يا للجحيم. بدت جلبة الدور الخامس محددة, أن شخصا يغلق الباب, قلت:

- أسعدتم مساء.

وشجعت مضيفى بشكل عملى كى يدخل.

قال السيد أوزو وهو يكمل ابتسامته كثيرا: "دعينى أخلصك".. مددت له حقيبة يدى, وأنا أدقق النظر فى الممر الطويل. كانت نظرتى تحمل بعض المعانى.

(9)

ذهب منطفئ

بالضبط, أمام المدخل, فى ممشى الضوء توجد لوحة.

هذا هو حالى: أنا, رينيه, فى السابعة والخمسين, هناك تورم فى قدمى, مولودة فى وحل, ومكتوب على أن أظل فيه, أتوجه إلى العشاء عند الثرى اليابانى الذى أنا بوابة عنده, إنه مزيج أوحد تشبعت به على غرار "آنا كارنينا" أنا رينيه, المفزوعة والمرعوبة حتى أعماق مخى, السبب أننى سوف يغمى على من عدم اللياقى وسمات تجديفية لحضورى إلى هذا المكان الذى - رغم أنه بالغ الاتساع بما يكفى - لا يشبه أى عالم أنتمى إليه ويخص البوابات, أنا رينيه ألقى النظرة الصحيحة المباغتة نحو السيد أوزو فوق هذا الشعاع من الضوء الذى يهبط فوق لوحة ذات إطار من الخشب الداكن.

لن تنجح كل روعة الفن كى تفسر الإغماء المفاجئ لوعى أهاننى لحساب إغماء جمالى. لا أعرف أبدا, أنا أحوط السيد أوزو, الذى أدهشته رؤيتى.

إنها طبيعة ميتة تمثل مائدة مقامة من أجل وجبة خفيفة من المحار والخبز, فى الصف الأول يوجد طبق من الفضة, ليمون مقشور, وسكين ذات نصل كالمقص, وفى الصف التالى هناك بطاقتان مغلفتان, ووميض من القواقع, صدفة مرئية وطبق من القصدير يحتوى على الفلفل الأسود, بين الاثنين زجاجة نائمة, وخبز صغير من اللباب الأبيض المنزوع, وعلى اليسار زجاجة كبيرة مملوء نصفها بسائل شاحب ذهبى, كالأبنوس مثل قبة مقلوبة على قدميها العريضتين الأسطوانتين المزدانتين بأقراص من الجليد الزجاجي والتشكيلة الكرومى تكسب اللون الأصفر لونا أبنوسيا فى العمق ذهب منطفئ, متسخ قليلا.

أنا عاشقة متحمسة للطبيعة الميتة, أحضر من المكتبة كل الأعمال المرسومة العميقة, هناك توجد الأعمال من نفس النوعية, لقد زرت اللوفر, وأورساى, ومتحف الفن الحديث ورأيت تطوراً وصعودا – معرض شاردان عام 1979 فى القصر الصغير, لكن كل أعمال شاردان لا تساوى قطعة صغيرة من الرسم الهولندى فى القرن

السابع عشر، الطبيعة الميتة لبيتر كلاسز. فيلم كلاسز – هيدا. وفيلم كالف، وأوازيس بيرت هى أحسن أعمال من نوعها. وأعظم الأعمال القصيرة التى أعطف بدون أى تردد، الأربعمائة الطلاينة.

لا، فهذا، بدون أى شك، أكثر ثباتا من بيتر كلاسز.

قال السيد أوزو من ورائى: "إنها منسوخة، لقد نسيت تماما".

هذا الرجل يجعلنى أرتجف أيضا. ارتجفت. استعدت رباطة جأشى، تماسكت، وأنا أقول شيئا على غرار: "إنه جميل، كم أن الفن سهل سهولة جمال اللغة".

تماسكت وسيطرت على نفسى، واستعدت دورى كحارسة عقار منفرجة، وأنا أتابع قائلة:

- ماذا يعنى أننا غير قادرين أن نفعل اليوم (بالاجابة على أنها منسوخة)، واستعددت دوما أن أوجه ضربة القدر نحو شكوك السيد أوزو الذى لم تتضح معالمه الذى سيحاصر للأبد جوهر إهانتى.

- هذه الزجاجات غريبة.

استدرت.. استعدت الكلمات: "نسخة من ماذا؟".. وقررت فجأة أن أكون العبارات الأكثر ملائمة التى تتكون فى حلقى بدلا من أن أقول: "كم هى جميلة".

(10)
أى تطابق؟

من أين يأتى الإعجب الذى نحسه أمام بعض الأعمال؟.. إلاعجاب يولد عند النظرة الأولى، وإذا اكتشفنا فيما بعد, فى الصبر الموجه الذى يطرحه عند تفسير الأسباب, أن كل هذا الجمال هو ثمرة مهارة لا تنكشف سوى فى فحص مهام ريشة تعرف كيف تحدد الظل والضوء، وإعادة تجميل الأشكال والنصوص - شفافية الزجاج الساحرة, بذور صاخبة للصدف مخملية واضحة للعيون - فالأشياء لا تبدو, ولا تفسر غموض الانبهار الأول.

إنه لغز يتجدد دائماً: الأعمال الكبرى هى أشكال مرئية تحدث فينا اليقين فى معادلة أبدية, من الواضح أن بعض الأشكال تكمن وراء المظهر الخارجى الذى يمنحها سماتها. تعبر تاريخ الفن وزخارف العبقرية الفردية, التى تحتوى على الكثير من أضلاع العبقرية العالمية، إلى شئ ما من العمق المطلق, أى تطابق بين لوحة كلاسز ولوحة روفائيل, أو روبنز أو هوبر؟.. فى حساب تنوع الموضوعات والافتراضات, والتقنيات لحساب التفاحة، وحضارة الوجود دائما تبيح ألا يكون سوى زمن واحد وثقافة واحدة, وأيضا حسب وحدة كل النظرات التى لا ترى أبدا سوى دستورها الذى يتيح لها ويعانى من فقر هويته الشخصية. عبقرية الرسامين الكبار التى تخترق قلب الغموض إلى حد النبش, بأشكال متعددة, منها الشكل النهائى الذى تبحث عنه فى المنتج الفنى, أى تطابق بين كلاسز وروفائيل وروبنز هوبر؟ تجده العين دون أن تبحث عن شكل يطلق المشاعر الأبدية, لأنها تبدو لكل واحد كأنها جوهر الجمال نفسه, دون تنوع أو تحفظ, دون أى مجهود. فى الطبيعة الميتة لليمون, متعذر تبسيطه عند عظمة التنفيذ, تتدفق مشاعر المعادلة, والمشاعر التى هى أيضا ما يجب أن تكون عليه, تسمح بمرور قوة الأشياء وتداخلها, وأن تمسك نظرتها بقوتها, وبالمجال المغناطيسى الذى يجذبها أو يدفعها, الرباط الأبدى الذى ينسجها وتفرز من قوة, هذه الموجة السرية غير المفسرة التى تولد حالات من الضغط, وتوازن الشكل - يجعل تدفق المشاعر المعادلة, وموقع الأشياء, والأطعمة التى تبلغ هذا العالم فى توحده, فى أبدية الشكل المعادل.

(11)

وجود بلا ديمومة

فيم يفيد الفن؟ فى منحنى المختصر، ولكن بشكل براق، وهم الكاميليا، نحن نفتح فى الزمن خصلة عاطفية تبدو متعذرة للحيوان العاقل. كيف يولد الفن؟ إنه يتعانق مع مقدرة الروح فى نحت المجال الحسى. ماذا يفعل الفن لنا؟ يضع شكلا ويجعلنا نرى عوطفنا، ونواقضها المخفية خاتم الخلود التى تحمل كل الأعمال، عبر شكل خاص، تعرف كيف تتقمص عالم التأثيرات الإنسانية.

خاتم الخلود.. أى حياة غائبة فى هذه الأطعمة، والكؤوس، والسجاجيد، وهذه الزجاجات هل تبالغ فى قلبنا، فيما وراء حدود اللوحة، بلا شك فإن صخب الحياة ومللها، وهذه الجولة المتعبة التى لا تتوقف للمشروع – ولكن فى داخلها، فإن الكمال يبدو معلقا للحظة، ومرتبطا بزمن الاشتهاء الإنسانى: نحن لا نستطيع أن نوقف الرغبات، وهذا يمتعنا ويقتلنا، الرغبة: إنها تحملنا، وتصلبنا، وتقودنا كل يوم إلى ميدان المعركة حيث نفتقد البارحة، ولكن فى الشمس تبدو من جديد أرضا للغزو، ونبنى انفسنا، ونموت غدا.

إمبراطوريات مكتوب عليها أن تصبح ترابا، مثل المعلومات التى نعرفها عن السقوط القادم فهى لا تجلب سوى العطش.. إنها توحى لنا بمنبع الإرادة أيضا ما لا نقدر على امتلاكها، وترهيبنا ذات صباح صغير فوق عشب مكدس بالخبث، يسوقنا إلى ميتتنا فى مشروع مكتمل أحيانا ونهضوى أحيانا، لكنه شديد لأنها أن نرغب بلا توقف.. نحن نأمل تقريبا فى متع بلا هدف. نحن نحلم بحالة من السعادة لا بداية لها ولا نهاية. والجمال الذى لا نهاية محددة له يصبح بمثابة الرضوخ لطبيعتنا، هذه الحالة هى الفن، ترى هل لأن هذه المائدة يجب أن أوجهها؟ هذه الأطعمة هل يجب أن أطمع كى أراها؟ من ناحية أخرى، فالبعض ينشد هذه الوجبة، ويأمل فى هذه الشفافية المعدنية وتتابع متعة مداعبة اللسان الحريرى المملح للمحار ذى الليمون، يجب أن أرى هذا المشروع المرصع فى مائة آخرين، ويندفع إلى ألف أخرى، هذه النية من الأعداد تتذوق وليمة من المحار - هذا المشروع حقيقى، كى تأخذ اللوحة شكلها.

لكن عندما ننظر إلى طبيعة ميتة، عندما نتلذذ دون أن نتابع هذا الجمال الذى تنبثق منها الواجهة المجمدة والساكنة للأشياء، فإننا نتمتع بعالم نمتلكه ونشتهيه. نحن نتأمل ما لا نرغبه. إذن فالطبيعة الميتة، تكشف جمالا يتكلم عن رغباتنا، لكنها تنام فوق طبيعة أخرى تمس متعتنا دون الدخول فى أى خطط، لأنها تعطى نفسها والمجهود الذى نرغبه، يتقمصه العنصر الخامس للفن.

هذا اليقين نحو الأبدية، فى مشهد السكون دون حياة إلا حركة، يتقمص زمنا استثنائيا من مشاريع للعواطف المتعلقة بالديمومة ومللها الجشع: متعة دون رغبة، وجود بلا ديمومة، وجمال بلا إرادة. لأن الفن هو العواطف دون رغبة.

يوميات حركة العالم رقم 5

سيتحرك لن يتحرك

اليوم, اصطحبتنى أمى عند محللها النفسى, الدافع أننى أتخفى. هذا هو ما قالته أمى: "عزيزتى.. أنت تعرفين أن هذا يصيبنى بالجنون, وأنك تتخفين هكذا, أعتقد أن هذه فكرة طيبة أن تأتى للتحدث مع الطبيب تيد, خاصة بعد أن قلت فى آخر مرة" الدكتور تيد, ليس طبيباً سوى فى المخ, أثار القلق أمى, ليس طبيباً أو بصاحب حق فى هذا الأمر، لكن هذا يستثير بشكل احتجاجى, عند أمى, رضاء كبيرا جدا كى تقول "دكتور" مما يتفق مع الطموح الذى عليها أن تعتنى به ظاهرياً.. لكن أن يأخذ الزمن "10 سنوات".. إنه يسارى قديم امتهن علم النفس بعد عدة سنوات من الدراسة. ليس فقط فى نانتر, ولقاء سماوى, مع الدافع الفرويدى, ثانيا لا أرى أين تكمن المشكلة "أختبئ" ليس حقيقة، من ناحية أخرى, أنا انعزل هناك حيث لا يمكن لأحد العثور علىَ. أريد فقط أن أتمكن من كتابة أفكارى العميقة, ويوميات حركة العالم فى سلام.

فيما قبل, كنت أريد فقط أن أفكر بهدوء داخل رأسى, دون أى قلق تسببه لى أختى التى تتكلم أو تسمع الراديو فى قناتها, أو دون أن تزعج أمنا التى جاءت تهمس لى "مامى. هناك عزيزتى, تعالى اعملى له بيزو" إنها جملة من بين الجمل الأقل جاذبية التى أعرفها

عندما بدت عينا أبى غاضبتين, سألنى أخيراً: "لماذا تتخفين؟".. لم أرد. ماذا يجب أن أقول؟ "لأنكم تسببون لى العصبية، ولدىَ عمل أرتبط به لأكتبه قبل أن أموت". حقا, لا أستطيع, إنها المرة الأخيرة التى أجرب الإبداع, قصة درامية. بدوت تائهة قليلة. قلت وأنا أنظر إلى أبى وبصوت رخيم: "هذا سبب كل هذه الأصوات فى رأسى", تباً.. هذا هو الاستعداد للمعركة العامة! كان لأبى عينان تكادان أن تخرجا من رأسه, وأمى وكولومب تبرطمان عندما تذهب للبحث عنهم, يتكلم الجميع إلىَ فى الوقت نفسه : "عزيزتى, الأمر ليس جسيماً. سوف تخرجك من هناك" "بابا", "اسمى الدكتور تيد, على التو" "ماما", "كم من الأصوات تسمعين" "كولومب" الخ, كانت لأمى خطتها للأيام الطويلة التى تمزج بين القلق والإثارة: إذا كانت ابنتى حالة اختبار

للعلم؟ أى خوف ولكن أى مجد! حسنا، ونحن نراها مجنونة هكذا، قلت "أبدا، أنا أمزح!"

لكن، كان يجب أن أكرر لمرات عديدة قبل أن يسمعونى، وأكثر قبل أن يصدقوننى، وأيضا، لست واثقة أن أراهم وقد اقتنعوا.. باختصار أخذت أمى موعداً معى، ومع الدكتور "ت" وذهبت هذا الصباح.

فى البداية جلسنا فى قاعة الانتظار الأنيقة، وبها مجلات حديثة متنوعة، مجلات "جيو" منذ عشر سنوات حتى العدد الأخير، كانت موضوعة فوق بعضها، ثم وصل الدكتور "ت" مؤكداً صورته إلى مجلة أشارت إليها أمى لكل الحاضرين، ولكن فى الحقيقة هذا يعنى الألوان والرائحة: كستنائى وبرميلى، النشاط الخمسينى، الاعتناء بشكل خاص بالشعر، واللحية الحليقة، والصبغة "اختبار سيشل"، البلوفر، البنطال، الحذاء، وسوار الساعة: كل شئ كستنائى، له اللون الكستنائى نفسه، بما يعنى مثل كستناء حقيقى، أو مثل الأوراق الميتة، هناك رائحة التبغ العالمية، التبغ أشقر، عسل وفاكهة مجففة، قلت لنفسى: "حسنا، هيا لعقد اجتماع صغير خريفى فى ركن من النار بين أشخاص ولدوا فى ظروف طيبة، حديث ساحر، ثقافى، وربما حريرى "أحب هذه الصفحة".

دخلت أمى معى، وجلسنا فوق مقعدين أمام مكتبه، الذى جلس خلفه، فى مقعد فوتيه كبير، له بروز بأذنين غريبتين، من طراز مسلسل "رحلة إلى النجوم" عقد يديه حول بطنه، وهو ينظر إلينا، قال "أنا سعيد لرؤيتكما، أنتما الاثنتين".

إذن، الأمر يتحرك بشكل بالغ السوء، هذا يسخن الأذنين، جملة تجارية فى أى سوق تجارى لبيع فرش الأسنان ذات الوجهين، إلى امرأة وابنتها الجائمة خلف المكتب. ليس هذا ما ننتظره من محلل نفسى، ومع ذلك فإن غضبى توقف تماماً عندما تنبه وعى إلى أننى متعاطفة من أجل يوميات حركة العالم، نظرت جيداً وأنا أركز كل قواى، وأقول: "لا، ليس مستحيلاً، نعم، نعم! إنه ممكن! غير معقول"، كنت مندهشة لحد أننى أكاد أسمع أمى تحكى كافة مآسيها الصغيرة: "ابنتى تخفى نفسها، ابنتى تخيفنا وهى تحكى لنا أنها تسمع أصواتاً، ابنتى تتكلم إلينا، نحن قلقون على ابنتى"، وهى تردد "ابنتى" مائتى مرة كنت على مسافة خمسة عشر سنتيمترا، وعندما تكلم إلى فجأة، ارتجفت.

يجب أن أشرح لكم, أعرف أن الدكتور ت, ظل حياً لأنه سار أمامى, كان جالسا, تكلم ولكن بالنسبة للباقى كان يمكن أن يكون أيضاً ميتاً, لم يكن يتحرك, مرة واحدة تكلم فى مقعده الواسع, أكثر من حركة شفاه تتململ ولكن بالكثير من الاقتصاد. أما الباقى, فهو صامت, ساكن تماماً, كالعادة, عندما نتكلم لا تتحرك سوى الشفاه, هذا يؤدى إلى القيام بحركة أخرى. عضلات الوجه, حركات بالغة الخفة لليدين والرقبة والكتفين, وعندما لا يتكلم فمن الصعب جداً أن يظل ساكناً. هناك دائماً اشتباكات فى مكان ما, رمشة أهداب, حركة مستمرة للقدم, الخ.

لكن هنا: ولا شئ, عدا, باللو, لا شئ! تمثال حى! إذن! قال لى وهو يجعلنى أرتجف: "إذن يا فتاة, ما قولك فى كل هذا؟", كان من المؤلم أن أجمع كل أفكارى لأننى كنت مرتجفة تماماً.. لدى سكوته فجأة, بدأت أستعيد وقتى للإجابة, راحت أمى تتحرك بعصبية فوق مقعدها وكأنها مصابة بنزيف رعاف, لكن الدكتور نظر إلىَ دون أن يرمش, قلت لنفسى: "يجب أن أجعله يتحرك, يجب أن أجعله يتحرك, هناك شئ ما يجب أن أجعله يتحرك", ثم قلت له "لن أتكلم إلا فى وجود المحامى الخاص بى".. آملة أن يضحكه هذا بشكل كامل, لا حركة واحدة, تنهدت أمى مثل قديسة, لكن الآخر ظل ساكناً تماماً. "محاميك.. هم م م" قال دون أن يتحرك, حسنا, صار التحدى عاطفيا, هل سيتحرك أم لا؟ قررت أن أرمى عليه كافة أعماق معركتى. قال مضيفاً "هذه ليست محاكمة, أنت تعرفين هم م م", قلت لنفسى إذا استطعت أن أجعله يتحرك, فإننى سوف أتألم, لا, لا أريد أن أفقد يومياتى!, قال التمثال "حسناً, يا عزيزتى سولانج, سوف أدير حديثاً صغيراً بمفردى مع هذه الفتاة" قامت "عزيزتى سولانج" وهى توجه إليه نظرة مبللة بالدموع وتركت الغرفة, وهى تحدث الكثير من الحركات اللامجدية دون شك كى تكافئه.

قال لى مهاجما وهو ينجح فى ألا يحرك سوى شفتيه الخارجيتين: "أمك تكن لك الكثير من المحبة", فكرت لحظة وقررت أن أسلوب الاستفزاز هذا لا يفيده معى. هل تريد أن تضع محللك فى يقين من التسلط؟ هل تستثيره مثل مراهق يستفز أبويه, لقد اخترت أن أقول له بكل جدية: "هل تعتقد أن هذا متوافق مع اسم الأب؟ هل تعتقد أن هذا سوف يحركه؟ أبدا. ظل ساكناً, بلا حركة, لكنه بدا لى أنه يرى شيئاً ما فى عينى, كأنه يترنح, قررت أن أجد وسيلة لنجاحى.. بدت "هم م.." لا أعتقد أنك فهمت ما قلت – تنهدت وآه, لكن هناك شيئاً ما لا أفهمه عند لاكان, إنها الطبيعة

الصحيحة لتقريظه أو لبنائيته, ففر فاه كى يقول شيئا, لكننى كنت أسرع منه:

"آه, آه. نعم ثم الرياضيات أيضاً. كل هذه القصة, إنها مشوشة قليلا, هل فهمت شيئا, لقد مر وقت طويل عرف فيه العالم أن هذا احتيال, أليس كذلك؟"

هنا, أدركت أننى أحرزت نقطة, فليس لديه الوقت أن يغلق فمه, أخيراً ظل فمه مفتوحاً, ثم تماسك, وفوق وجهه الساكن بدا تعبير دون أن يصدر أى حركة: "هل تريدين أن تلعبى معى هذا يا جميلتى؟.. نعم أريد أن ألعب هذا معك. يا أيتها المارون جلاسيه". انتظرت, قال "أنت شابة صغيرة بالغة الذكاء, وأنا أعرف ذلك".. تسعيرة هذه المعلومة التى استقاها من "عزيزتى سولانج" تعنى 60 يورو فى النصف ساعة. لكن ربما شديدة الذكاء, وفى الوقت نفسه شديدة التجرد, أنت تعرفين, بالغة الصفاء, وبالغة التعاسة دون أن يضحك, لقد وجدت هذا فى أعمال بيف جادييه, فشلت فى أن أسأل, وفجأة أردت أن أركب رأسى, كنت أمام رجل تسعيرته قرابة 600 يورو فى الشهر من أسرتى, منذ عقد من الزمن والنتيجة كما نعرف: ثلاث ساعات يومياً تمشيط نباتات خضراء واستهلاكات عاطفية للفواتير. أحسست بمشاعر شريرة تصعد إلى أنفى, وتعلقت بالمكتب, وقلت بصوت خفيض تماماً: "اسمعنى جيداً".

تجمد السيد فى مكانه, سوف يتقاضى أجرا بسيطاً مقابل ذلك, سوف يتركنى فى سلام, ونحن نتبادل الكلام, لن أدمر تجارتك الصغيرة فى الحزن, وأنت تنشر الأشرار وضجيجهم فوق حسابك فى باريس بأكملها فى الأعمال والسياسة, وصدقنى على الأقل إذا كنت قادرا على رؤية إلى أى حد أنا ذكية, فهذه هى كافة أحبالى.. حسب رأى لا يمكن أن نمشى, أنا لا أصدقه, يجب أن تكون فطيرة كى تصد نسيجا يماثل قدراً من الحماقة, لكنه لا يصدق. مرض من القلق فوق وجه الدكتور تيد. أعتقد أنه عالجنى, هذا ساحر: إذا كان هناك شئ لم أفعله من قبل فإن هذا يولد ضوضاء مزيفة, تسرى كى تتجاهل شخصاً, لقد أورثنى جمهورية أبى لفح فيروس للأدبيات, ووجدت هذا عبثاً أكثر من الآخرين, لقد وثقت فى نفسى بكل قوة لكن الطبيب الماهر ليس لديه سوى أم كى يقيس الأسرة عليها, ويقرر بشكل ظاهرى أن التهديد حقيقى, فضلا أن المعجزة حركة! يحرك الساند, ويفرد ذراعه, ويمد يده نحو المكتبة ويضرب براحته فوق يديه بغضب, حركة حنق لكنها أيضاً تقارب, ثم قام بكل رقة واختفى, ذهب وراء الباب, ونادى على أمى التى أرقتها حيلة حول صحتى الحقيقة

أن هذا سوف يمنع تدبيره, وأننا جعلناه يفلت من وراء مكتبه.

في البداية, كنت سعيدة من نفسي, لقد نجحت في أن أجعله يتحرك, ولكن بالتتابع, وفي مقياس اليوم, أحسست أكثر بالإحباط, لأن ما حدث عندما تحرك أنه قام بالسير بضعة خطوات, خطوات نقية, كان عليَ أن أعرف أن فلكيا أقنعه بالحكمة, ولكن ما هو أقبح وأقسى أنني عرفت أنه يكفي أن أؤثر فيهم اليوم حتى تسقط الأقنعة, وعندما يحدث هذا مع العنف, فإن الأمر يؤلمني, وعندما ضرب براحته فكان هذا يعني: حسنا, أنت ترين من أنا, من غير المفيد أن نستكمل المهزلة. نتصافح هناك من أجل اتفاقك البائس, وقومي من أريكتي بسرعة, حسناً ولقد آلمني هذا, نعم, لقد آلمني, فلدي معرفة كثيرة أن العالم قبيح, ولا أرغب في رؤيته. نعم, لنترك هذا العالم يتحرك كاشفاً عن قبحه.

(12)
موجة أمل

جميل أن أقترب من علم الظاهراتية متوحدة بدون قط, فقد كرست حياتى إلى الأبدية، لكن من يطارد الخلود يحصد الوحدة.

قال وهو يمسك حقيبتى:

- نعم, أعتقد ذلك أيضاً, إنها حالة من التعرى, ورغم ذلك, هى أيضاً إيقاعية كبرى.

شقة السيد أوزو, كبيرة جدا وجميلة للغاية. نصوص مانويلا جعلتنى يابانية فى داخلى, لكن إذا كانت هناك أبواب جرارة وستائر داكنة وسجادة سميكة سوداء مطرزة بالرمادى وأشياء آسيوية المنشأ – مائدة منخفضة مدهونة داكنة أو طولية أسفل النوافذ, وستائر من المامبو مسحوبة بشكل مختلف, تعطى للغرفة أجوائها.

هناك أيضاً أريكة وفوتيهات, وحوامل, ومصابيح, ومكتبة على الطراز الأوروبى, إنها بالغة الأناقة, وهكذا مانويلا وجاسينت روزن قد تركا أثرهما, على العكس, لا شئ أطول من اللازم, ليس هذا أكثر نقاء ولا فارغة مثلما أقدمها, وأنا أضع ما وراء أفلام أوزو فى مستوى أكثر تميزاً لكن أكثر هوية بشكل حسى فى التجريد الوصفى لهذه الحضارة الغريبة.

قال السيد أوزو: "تعالى.. لن نبقى هنا. إنه احتفال كبير. سوف نتعشى فى المطبخ, نعم فأنا الذى أقوم بالطهى".

تحققت أنه يرتدى مئزراً اخضر فوق بلوفر ذى ياقة دائرية بلون كستنائى. وبنطال من التيل البيج. وفى قدميه خف من الجلد الأسود.

مشيت خلفه حتى المطبخ, مأساة, فى مثل هذه الظروف النادرة, أردت أن أطهو كل يوم حتى ولو من أجل ليو. لا شئ يمكنه أن يكون عاديا وأنا أفتح علبة روترون يجب أن تكون لذيذة, قال السيد أوزو بكل بساطة: "أنا فخور بمطبخى".

قلت, بدون أى ظل للسخرية: "هل يمكنك؟"

كل شئ أبيض, خشب فاتح, ومسطحات طويلة للعمل, وحاملة أطباق كبيرة مليئة بالأطباق وأكواب من الخزف الأزرق, الأسود, والأبيض, وفى الوسط الفرن, وأطباق ثمينة, حوض له ثلاث حنفيات, وبار واسع فوق أحد مقاعد الاستقبال, جلست عليه كى أكون فى مواجهة السيد أوزو الذى اهتم بالفرن, وضع أمامى زجاجة ساكى حار صغيرة, واثنين من الكؤوس الخزفية الزرقاء تقرقع. قال لى:

- لا أعرف إذا كنت تعرفين المطبخ اليابانى.

- ليس بشكل جيد.

جذبتنى موجة أمل, لقد طرحنا ملحوظة, حتى الآن, تبادلنا عشرين كلمة, بينما أتماسك فى ترقب معرفة أمام السيد أوزو الذى يطبخ مرتدياً مئزراً أخضر, ويعد مائدة هولندية, ساحرة لا يمكن لأحد مقاومتها, وقد سبق ترتيبها فى فضل الأشياء المنسية.

فى المساء, تبدو مكانة المطبخ الآسيوى:

- السيد اوزو, ساكن جديد, قليل الضجة, دعا البوابة لعشاء اجنبى, تحدثا عن الوجبة اليابانية, وحبوب فول الصويا.

هل يمكنه أن يجد نفسه فى ظروف أفضل من هذه؟

لقد بدأت الكارثة إذن.

(13)

مثانة صغيرة

فى البداية، كان يلزمنى أن أعترف أن مثانتى صغيرة, كيف أفسر إذن أن أصغر فنجان شاى يرسل بى دون سابق انذار إلى ركن صغير, وأن البراد يجعلنى أكرر الشئ بمعياره الصحيح؟ مانويلا هى جمل حقيقى، إنها تتبول ما تشربه بعد ساعات وتعض ناجذيها دون أن تتحرك من فوق مقاعدها, بينما أنا أقوم بالتحرك ذهابا وإيابا مرات عديدة إلى دورة المياه, مساحة فى مسكنى, ستون متراً مربعاً, لذا فإن دورة مياه المقصورات, لم تكن أبداً بعيدة قابعة مكانها منذ وقت طويل للغاية.

آه.. إن مثانتى الصغيرة تنقلب على, وبكامل الوعى لترات من الشاى المستهلك بعد الظهيرة نفسها, يجب أن أستمع إلى ندائها: أن أفرغها بشكل ذاتى.

- كيف تطلب هذا فى العالم؟

- أين الساخرون؟ لا تبدو لى بشكل جاد مناسب.

- بل على العكس.

- هل تريد أن ترشدنى إلى المكان؟ رغم الحساسية فى المجهود المبذول فى عدم تسمية الشئ, مخاطرة قصيرة من اللاوعى, ومع ذلك, ارتباك مضاعف.

- أريد أن أعمل "بى بى".

مثل هذه الكلمات, لا تقال على مائدة حتى ولو لشخص مجهول.طرحت المشكلة: "أين دورة المياه؟ إنها شديدة البرودة, تحس بطعمه الإقليمى." كم أحب هذا؟"

- أين الكبائن منطقة الكبائن, انها مكان تفوح منه الطفولة والبيئة فى أعماق الحديقة, لكن هناك أيضاً مفهوم انه مكان تنبعث منه الروائح الكريهة.

- هناك اذن ضوء عبقرى يجتازنى.

- الرامن هو نوع من الرخويات ومنه يعد حساء صينى الأصل, لكن اليابانيين يأكلون دائماً فى الظهيرة, وفى حالة أن تقول ان السيد اوزو تسمع فى الجو كمية عاطفية من الزوائد التى وضعها لتوه فى المياه الباردة.

أين بيت الراحة, أرجوك: هو التعليق الوحيد الذى أطلقته.

- هذه, أمنحها لكم, بكل خفة.

قال السيد أوزو, بتلقائية ملحوظة:

- آه, أنا آسف, لن أشير لك إليها, فالباب خلفك, الثانى على اليمين فى الممر.

- هل يبدو كل شئ بسيطاً للغاية.

- يجب أن تصدق أنه "لا".

يوميات حركة العالم رقم 6
كيلوت فان جوخ

اليوم, مع أمى, ذهبنا للشراء من التصفيات فى شارع سان أونوريه, هناك رصيف أمام بعض المحلات, وأفكر أنك سوف ترى أى من الحوانيت, فى شارع سان أونوريه, حيث نجد الكثير من المعاناة فى شراء الإيشاربات والقفازات بثمن أقل, ورغم ذلك, فإنها تساوى سعر فان جوخ, إنه شئ مذهل, لكن هؤلاء السيدات يفعلن ذلك بعاطفة حادة, وأيضاً مع بعض الجليطة.

رغم ذلك, فأنا لا أستطيع أبداً أن أشكو من اليوم لأننى يمكن أن أدون حركة مهمة للغاية. هه.. حركة جمالية للغاية, على العكس, فهى بالغة التميز, نعم! ومسلية أيضاً, أو مأساوية, لا أعرف جيداً منذ أن بدأت هذه اليوميات, لم فعلت ذلك بشكل سئ, فى الواقع, فإننى جزء فى فكرة اكتشاف إيقاع حركة العالم ووصلت فيه إلى نساء متميزات يتصارعن من أجل كيلوت من الدانتيلا, لكن حسنا.. أفكر أننى, بأى طريقة, لن أؤمن بها, لكن بدافع العمل, وأيضاً بدافع التسلية قليلا..

هذه القصة: مع أمى, دخلنا, محل ملابس داخلية رقيقة, إنها شئ جذاب كاسح, وإلا, ماذا؟ هل هناك ملابس داخلية خشنة؟ حسنا فى الواقع, هذا يعنى ملابس داخلية مثيرة. لن تجد هناك كيلوتات قديمة من القطن تناسب الجدات, لكن لأن هذا هو شارع سان أونوريه, فبالطبع فإن جنسى أنيق به ملابس داخلية من الدانتيلا, صناعة يدوية, وسراويل حريرية, وملابس من الكاشمير المقلم. ليس فى الأماكن عمل الذيول, لكن هذا كان أيضاً جيداً, لأنه فى الداخل كانت متجاورة, أحسست أننى أعود إلى حبات الكريز المجفف, فوق الكعك, سرعان ما أصاب أمى غثيان وهى ترفل فى ملابس داخلية ملونة مغلقة "سوداء, وحمراء, أو زرقاء بترولى", تساءلت أين يمكن أن أختفى وأضع نفسى فى ملجأ الزمن الذى وجدت نفسها "أمل بسيط" بيجامة قطنية, تحركت خلسة خلف مقصورة القياس, لم أكن وحدى, كان هناك رجل, رجل واحد, يبدو عليه البؤس, مثل نبتون عندما افتقد مؤخرة آتينا, هذا؟..

انها الخطة السيئة "أحبك يا عزيزتى", البائس كان قد أصيب بحالة من التمرد من كثرة قياس الملابس الداخلية الأنيقة. وجد نفسه فى أرض العدو مع ثلاثين امرأة

يمشين على الأقدام ويطلقن عليه نظرة أينما كان المكان, حاول أن يلقى دعاباته كرجل, أما بالنسبة لصديقته الرقيقة, فها هى وقد انتابها الغضب, وكأنها مستعدة للقتل من أجل طائر وردى, هوشيا.

ألقيت عليه نظرة تعاطف أجاب عليها بنظرة حيوان مطارد, من هناك حيث كانت لى نظرة محصنة, مثلما يحدث فى كل المحلات, خاصة مع أبى وأمى, سال لعابى أمام نوع من مشد الصدر صغير جدا جداً بالدانتيلا البيضاء "على الأقل هكذا" لكن له أيضاً زهرة ضخمة موف. أمى فى الخامسة والأربعين, وبعض الوزن الزائد, لكن الزهرة الضخمة الموف لم تخفها. بل على العكس, فإن القناعة وأناقة اللون البيج وحدتا شلل الخوف. باختصار, هذه أمى التى ستجرب بصعوبة مشد صدر صغير جداً مزهر بدا على مقاسها وقد وصل إلى الكيلوت المتعدد الألوان, ثلاثة أدوار أسفل, سحبت لأعلى بكل اهتمام, لكن فجأة دعكت أهدابها: إنه عند أطراف الكيلوت, كانت هناك سيدة أخرى سحبت القطعة الداخلية, وهى تدعك أهدابها أيضاً, تبادلنا النظرات, ونظرنا إلى رجل, يقوم بمعاينة الكيلوت, كأنه الأخير من صباح طويل من التصفية, وكأنها تدخل معركة تتراشق فيها بالتبادل مع المرأة الأخرى.

هذه الحركات الطليعية المهمة: كيلوت ثمنه مائة وثلاثين يورو, لا يزيد مقاسه - رغم ذلك - عن بضع سنتيمترات من الدانتيلا الدقيقة, يجب أن تبتسم للآخر, ان تمسك الكيلوت جيدا, وأن تسحبه دون أن تمزقه, قلت لكم كل شئ بوضوح: لأنه فى عالمنا, فإن قوانين الطبيعة ثابتة, وليس هذا ممكنا, بعد ثوان من الهدنة, امتثلت النساء لنيوتن لكنهن لم يتخلين عن مواقفهن, يجب أن نتابع الحرب بطريقة أخرى, بمعنى الدبلوماسية "واحدة من الأساليب المفضلة لأبى".

هذا يعطى الحركة المهمة التالية: يجب أن تتجاهل أن تشد الكيلوت بقوة, إذن هذه أمى, والسيدة التى لم يصبح الكيلوت فى يدها فجأة, كما لو كانت غير موجودة, وكأن السيدة وأمى تتحدثان بهدوء عن كيلوت موجود دائماً على الحامل, ولم يحاول أحد أن يتوائم مع القوة, أين هى اليد اليمنى! هاربة! مسروقة! اختفت! مكان الدبلوماسية.

مثلما يعرف كل الناس, فإن الدبلوماسية فشلت دوماً عندما تتوازن القوى, لم نر أبدا قبولا للأوضاع الدبلوماسية للآخر بشكل قوى, فجأة, بدأت المفاوضات فى

التوحد إلى واحد: "آه, لكن أعتقد أننى كنت أكثر سرعة منك, يا سيدتى العزيزة", شئ كبير, عندما أصل إلى جانب أمى, أكرر "لن أتركه", وربما من السهل أن نصدق المحاربتين.

بالطبع, لقد ضاعت أمى, عندما وصلت إلى جوارها, تذكرت أنها أم لأسرة محترمة وأنه ليس من المستحيل بالنسبة لها, دون أن تفقد كل كرامتها أمامى, أن تطلق يدها اليسرى فى وجه الأخرى, لقد استعادت استخدام يدها اليمنى, والتقطت الكيلوت وبالأخرى مشد الصدر, كانت لأمى روح قتالية على العشاء, عندما سأل أبى عما حدث، أجابت: أنت غلطان يجب أن تنتبه إلى تبديل العقلية والحضارية.

لكن لنعد إلى الحركة المهمة: امرأتان فى كامل الصحة العقلية, وفجأة لا تعرفان كثيراً جزءا من جسديهما, يعطى هذا بعض الغرابة لرؤيته, كانت هناك علامة عن الواقع, ثقب أسود لا ينفتح فى رحلة الزمن, مثلما فى رواية خيال علمى حقيقية, حركة سلبية, نوع من الحركة فى الدرك الأسفل.. ماذا؟

وتساءلت, إذا كان يمكن أن يتم تجاهل أن اليد اليمنى, ماذا يمكن أن نفعل.. تجاهل الآخر؟ هل يمكن أن تمتلك قلباً سلبياً, وروحا من الدرك الأسفل؟

(14)

واحد من هذه اللفائف

مرت المرحلة الأولى للعملية بشكل جيد.

وجدت الباب الثانى على اليمين, دون أن أحاول فتح السبعة الآخرين طالما أن مثانتى صغيرة, وأننى أعملها بتخفف لأن عسرى لا يكدرنى, لقد كان فارساً يستجوب السيد أوزو فى مقصوراته, مقصورات لن تكون أكثر من بياض الجليد, وحوائط بطول الأحواض بنظارة نظيفة عليها يجرؤ المرء أن يستريح, خشية من أن تتسخ, كل هذا البياض كان موقوتاً من النوع الذى لا يبدو مشهده طيباً. براقاً, وخفيفاً, وموكيت أصفر كالشمس الهادئة, من ينقذ المكان من أجواء الكتلة, فهمت هذه الملاحظات باحترام كبير للسيد أوزو, البساطة الحقيقية للأبيض, بدون رخام ولا زخارف – ضعيفة رغم أن هناك دائماً أشياء تبدو مبتذلة – رقة موكيت شمس.

فى دورة المياه, نفس شروط المعادلة, ماذا نبحث عندما نتجه إليها؟ من الوضوح حتى لا نفكر فى كل هذه الظلمات العميقة التى تتجمع, وشئ ما فوق الأرض كى نؤدى واجبنا دون أن نتقرب ونمسح الأقدام, بشكل خاص عندما نتجه إليها فى الليل.

ورق التواليت, هو أيضا طموح إلى الشرعية, هذه العلامات على الأغلفة دليل على ثراء من يمتلكونها, على سبيل المثال, نوع مسراتى أو ماركة جاجوار. ورق التواليت هذا مصنوع من أجل الأثرياء, أناس يهتمون بالعلامات التجارية للسلع التى يقومون بشرائها, كان الورق عند السيد أوزو سميكاً, رخواً, رقيقاً, معطراً بشكل رائع, وعليه أن يأخذ فى الاعتبار هذا الجزء من أجسادنا, أكثر من أى ورق آخر, وهو بشكل خاص شهى. كم ثمن واحدة من هذه اللفافات؟ أتساءل وأنا أضغط الزر الأوسط لشطافة المياه, المحاطة بزهرتين من اللوتس, مثانتى الصغيرة بقوتها الذاتية ذات قدرة كبيرة, وزهرة تبدو لى مضبوطة تماماً.

وهكذا دارت الأشياء.

قصف متوحش، أصاب أذنى، يحاول أن يهزنى فى مكانى، إنه شئ مخيف، لم أتوصل إلى تحديد هويته الأصلية، ليس هكذا يتم التحكم فى المياه، لم أسمع عن ذلك، إنه يأتى من أعلى، ثم يسقط على بأسفل، لدي قلب يخفق بقوة، أنتم تعرفون البدائل الثلاثين.. أمام الخطر، أضرب، أطير أو تجمد.. أنا أتجمد، إذن على أن أطير لكن فجأة. لم أعرف كيف أفتح مزلاج الباب، البدائل تضرب فى عقلى؟ ربما، لكن دون أى صفاء، هل دست على الزر الخطأ، - أى حدس , أى كبرياء، رينيه، زهرتان لوتس تساهمان فى السخرية - وأنا معاقبة بالتباعية لأن العدالة الإلهية تضرب أدائى، هل أتلذذ كثيراً - بامتياز - لذة المشهد فى هذا المكان، عندما يجب أن نعتبرها مكاناً عفناً؟ لكن هل تركت نفسى للرغبة، متمنية هذا الأمر الأساسى . هل أبلغ، دون غموض، هذا الخطأ القاتل؟ أصابعى المتضخمة من العمل اليدوى هل هى – تحت تأثير وعى غاضب. تتعامل بشكل سيئ مع الآلية البارعة لزرع اللوتس مما يولد كارثة فى أعمال السباكة التى تهدد بانهيار الدور الرابع.

حاولت بكل قوة أن أهرب، لكن يدى غير قادرة على إطاعة أوامرى، دست الزر النحاسى، الذى يعمل بكفاءة وعليه أن يحررنى، لكن لم يسفر الأمر عن شئ.

فى هذه اللحظة، اقتنعت تماماً أننى صرت شديدة الجنون، لدرجة بلوغ السماء، لأن الصوت راح يتتابع بشكل غريزى، وغير متوقع، أشبه بأعمال موزار. بمعنى "لحن" و"قداس" لموزار..

يشدو صوت جميل سوبرانى.

وصرت بالغة الجنون.

سأل صوت من خلف الباب: "السيدة ميشيل، هل أنت بخير؟"

إنه صوت السيد اوزو، أكثر تنوعاً، وكأن القديس بيير هو الذى عند الباب. قلت: "أنا.. لا أستطيع فتح الباب".

حاولت بكل السبل أن أبلغ السيد أوزو أن يخلصنى، وقد حدث هذا فعلا.

ألح الصوت الوقور للقديس بيير: "يمكن أن تديرى الزر فى الاتجاه الآخر".

اعتبرتها لحظة لاستقاء المعلومات, تتبعت بصعوبة طريقى حتى الهدف الذى يجب بلوغه, ثم أدرت الزر فى الاتجاه الآخر. انفتح الباب، وتوقفت الموسيقى تماماً, إنه دش لذيذ من الصمت أغرق جسدى تماماً.

قلت للسيد أوزو: "لأنه لم يكن هناك سواه.. أنا.. أنا... أخيراً.. هل تعرف لحن القداس؟"

كان يجب أن أنادى قطى.

قال: آه.. أراهن أن الخوف أصابك. كان يجب أن أخبرك. إنها طريقة يابانية, أرادت ابنتى أن تستوردها هنا. عندما نشد مضخة المياه, تنبعث الموسيقى, هى طريقة جميلة.. ألا ترين ذلك؟"

وجدنا أنفسنا فى الممر, أمام دورة المياه, كأننى سوف أسحق من كل مدافع العبث.

قلت: "آه.. أوه.. لقد بوغت, أو مررت على كل خطاياى فى يوم الديمومة؟"

قال السيد أوزو برقة: "لست الأولى, أليس كذلك.. إنها حالة من التسامى مع الشفاه المميزة".

أجبت بهدف استعادة جأشى بسرعة, وقد أحبطنى التحول الذى أكسبته لها للحديث الذى دار ونحن نغادر الردهة, ونقف وجهاً لوجه, الذراعان تهتزان, غير واثقتين:

- لحن قداس.. فى دورة المياه, إنه خيار.. مدهش.

نظر إلى السيد أوزو، ونظرت إليه.

شئ ما يعتمل فى صدرى, بنبض حاد, مثل سدادة تنفتح, وتحلق ببطء, ثم قمت خائرة بعمل اهتزازات خفيفة تهز جذعى, وكأن الأمر متعمد, بدا لى أن نفس المشاعر

تحرك أكتافى وجهاً لوجه. تبادلنا النظرات, المترددة. ثم انطلقت تأوهات من كلينا, ضعيفة, خارجة من فم السيد أوزو. تأكدت أن التنهدات الرقيقة نفسها قد تلبدت, لكنها صعدت فى حنجرتى أطلقنا هذه التنهدات معاً, برقة, ونحن نتبادل النظرات الجامدة. ثم تصاعدت تأوهات السيد أوزو. أما تنهداتى أنا فقد كانت أشبه بصفارة إنذار. وكل منا يبادل الآخر النظرات، ورئتانا تطلقان تنهدات تتطلع أكثر فأكثر

فى كل مرة يهدأ. ننظر إلى بعضنا, ثم نعاود التنهد لدرجة أوجعت بطنى

بكى السيد أوزو بكل عمق.

كم من الوقت ظللنا هكذا, نضحك بشكل متتابع أمام باب دورة المياه؟ لا أعرف, ولكن هذا الاستمرار كان طويلاً بما يكفى بحيث نضع كافة قوانا أرضاً. ونطلق الجديد من التنهدات المتهالكة, من التعب أكثر من شبع, فاستعدنا جديتنا.

قال السيد أوزو: "لنعد إلى القاعة". علينا أن نبلغ أولاً خط الوصل من الانفاس المستعادة.

(15)

متوحشة متحضرة جداً

أول شئ قاله لى السيد أوزو فى المطبخ: "المرء لا يشعر بالملل معك".

استرخيت بكافة الاسترخاء فوق مقعدى. تناولت الشاى الدافئ، الذى أرى أنه أقل لذة مما يكفى. ثم أضاف، وهو يمد لى كوباً أبيض ومليئاً بمعجنات صغيرة لا تبدو عليها أنها مقلية ولا مدخنة، لكن شيئاً من الاثنين معاً. وقد وضع إلى جانب المعجنات سوس الصويا: "أنت شخص أكثر من العادى". ثم قال محدداً: "تتناولين من هذا اللحم "جوزاس".

أجبت: "على العكس. أعتقد أننى شخص عادى جداً. أنا بوابة، حياتى مليئة بكوارث عديدة". قال: "بوابة تقرأ تولستوى وتستمع إلى موزار، لا أعرف ماذا تفعلين فى حياتك اليومية".

غمز لى بعينه، وجلس بدون تكليف على يمينى، ومد لى بعضاً من اللحم المطبوخ "جوزاس" لم أعرف مثيله طيلة حياتى، بمثل هذا الإحساس كيف أقول لك: "للمرة لأولى، أحس بثقة كاملة فى نفسى، رغم أننى لست وحدى، حتى مع مانويلا التى أبوح لها بكل حياتى".

لا توجد مشاعر مجردة من الأمان تولد من اليقين الذى نفهمه، فمعنى أن تخصص حياتك ليس سوى أن توزع روحك، وإذا كنت أحب مانويلا كأخت، فلا أستطيع أن أشاركها ما ينسج القليل من المشاعر، والأحاسيس مع وجودى غير المتوافق مع العالم.

تذوقت عصيان اللحم "جوزاس" المصنوعة من الكزبرة واللحم المعطر، معبرة عن الدهشة والذهول، وأنا مازلت أتحدث مع السيد أوزو. قلت:

- يجب أن أشرح، أنا أذهب إلى المكتبة البلدية وأبذل كل ما بوسعى.

- هل تحبين الرسم الهولندى؟ - ودون أن ينتظر اجابة ـ : إذا كان لديك الخيار بين الرسم الهولندى, والرسم الايطالى, فأيهما تختارين؟

تحججنا بالزمن الماضى المزيف من الأسلحة حيث استمتعت حماساً بلوحات فيرمير, لكنه سرعان ما انتبه أننا توافقنا بسرعة. سألت: "هل تعتقد أن هذا رجس؟".. أجابنى وهو يهز المعجنات بقوة من اليسار إلى اليمين فوق الكوب: "أبداً... أبداً عزيزتى صدقى أننى سوف أعمل نسخة من لوحات مايكل أنجلو كى أعرضها فى الممر.

أضاف وهو يضع أمامى سلة من الصفصاف مليئة بالخضروات التى تنبعث منها رائحة الفستق, إنها "الزلامنية", طبق من المكرونة الباردة مع صلصة بها القليل من السكر.

- يجب أن نقلب المكرونة فى هذه الصلصة أخبرينى أنك تحبينها.

ومد لى بفوطة من الخيوط المنسوجة.

- هناك خسارة مضاعفة انتبهى إلى فستانك.

قلت: "شكراً". وأضفت: "هيا نعرف لماذا؟"

- أنا لا أهتم بهذا.

أطلقت تنهيدة كبيرة, وأنا أقول: "أنت تعرف أننى أعيش وحدى منذ وقت طويل ولا أخرج قط. أخشى أن أكون متوحشة قليلاً".

قال لى مبتسماً: "متوحشة متحضرة جداً!"

مذاق المكرونة المخلوطة بصلصة الخضروات رائع. أعرف كيف أبدو بفستان ماريا. ليس من السهل أن نغوص فى متر من المكرونة الشريطية فى صلصة نصف سائلة, وابتلع دون ارتكاب أى خطأ. لكن السيد أوزو التهم مكرونته بتلذذ محدثاً جلبة, أحسست أننى أتخلص من التعقيدات, وأنا أطمح باستخدام أظافرى الطويلة.

قال لى السيد أوزو: "بجدية.. ألن تجدى هذا رائعاً؟ قطك اسمه ليو، وقطتاى تسميان كيتى وليفين. نحن الاثنان نحب تولستوى، والرسم الهولندى، ونسكن فى نفس العمارة، ما احتمال أن يسفر مثل هذا الشئ؟"

قلت: "عليك ألا تقدم لى هذا الطبق الرائع: الأمر غير مؤلم".

أجاب السيد أوزو، سيدتى العزيزة، هل يعجبك هذا؟

قلت: "حسناً، هذا يسعدنى جداً، لكن هذا يخيفنى أيضاً، أنت تعرف أننى لا أريد أن يتخيل الناس أننى هنا".

أكملت: "من أنت؟ لماذا؟"

- لا أريد اختلاق القصص، لا أريد شيئاً من بوابة لديها مباهاتها.

- مباهاة، لكن أنت تعرف من المباهاة، لقد تذوقتها، الأضواء، والمكانة

قلت: "لكن أنا البوابة، لم أتلق تعليماً، ولست من نفس العالم".

قال السيد أوزو بالطريقة نفسها: "عمل جيد! أنت تعتقدين أن مانويلا تثير الضحك بالنسبة لى". ورفع حاجباً متسائلاً.. قلت محاولة أن أفسر: "أنه الشعور المفضل لأعز صديقاتى".

- ماذا تقول عن أعز صديقاتك بشأن أفكارها؟

- بذمتى، لا أعرف شيئاً.

- أنت تعرفها، مانويلا

- آه، السيدة لوبس، هل هى صديقتك؟

- صديقتى الوحيدة.

- إنها امرأة عظيمة أرستقراطية. أنت ترين أنك لست الوحيدة التى ترتقين إلى المجتمعات الكبرى, أين السوء إذن؟ نحن فى القرن الواحد والعشرين, ياللشيطان؟

- سألت, وقد أصابتنى عصبية:

- ماذا كان والداك يعملان؟

تخيل السيد أوزو بلا شك أن تميز الطبقات قد اختفى منذ إميل زولا.

- كان أبى دبلوماسياً, لم أعرف أمى قط, توفيت عقب ميلادى مباشرة.

- آسفة..

أشار بيده, كى يقول إن هذا حدث منذ وقت طويل. استكملت فكرتى.

- أنت ابن دبلوماسى, وأنا ابنة فلاحين فقراء, وهو أمر غير مناسب ان اتناول عشائى عندك هذا المساء.

- ومع ذلك, فأنت تتعشين هنا هذا المساء - وأضاف بابتسامة لطيفة للغاية: وأنا أتشرف بهذا كثيراً.

وهكذا استمر الحديث, بسعادة وتلقائية. وولجنا فى عوالم ياسوجيرو أوزو (أحد الأقارب البعيدين) وتولستوى, وليفين وهم ينطلقون فى البرية مع فلاحيهم. والمنفى وموروثات الثقافات وأشياء أخرى عديدة, ارتبطنا بها بكل حماس ونحن آخر ما لدينا من مكرونة شريطية وخاصة التشويش المشابهة فى مسيرتنا الروحية.

إلى أن حانت اللحظة التى قال فيها السيد أوزو:

- كنت أحب أن تسمينى كاكورو. انه أقل تكلفاً. هل يضايقك أن أناديك رينيه؟

- أبدا. وأنا أفكر فيه حقاً.

من أين جاءتنى هذه السهولة المفاجأة فى التواءم؟ الساكى الذى لاطفنى بكل لذة. أعاد السؤال المرعب الأكثر عجالة. سأل كاكورو:

- هل تعرفين ماذا يعنى الازوكى؟

قلت وأنا أبتسم متذكرة النهاية: "مرتفعات كيوتو". سأل: "كيف؟".. قلت وأنا أجاهد فى أن أتكلم بشكل غريزى: "مرتفعات كيوتو لها ألوان الآزوكى".

سأل كاكورو: "هل كان هذا فى فيلم, أليس كذلك؟"

- نعم, فى نهاية فيلم "الأخوات مونا كاتا".

- رأيت هذا الفيلم منذ فترة طويلة لكننى لا أتذكره جيداً.

- ألا تتذكر الكاميليا فوق عشب المعبد؟

- لا, أبدا, لكنك أعطيتنى الرغبة أن أراه, هل يدفعك هذا أن نراه معا. ذات يوم؟

- عندى الشريط, ولم أعيدة إلى المكتبة

- ربما فى نهاية الأسبوع؟.

- هل لديك جهاز عرض؟

قال مبتسماً: "نعم". قلت: "حسنا, اتفقنا,أاقترح عليك الآتى, يوم الأحد, سنشاهد الفيلم فى ساعة الشاى, وسأحضر الحلويات".

أجاب كاكورو: "كل هذا معاً".

ثم استمرت الأمسية أيضاً بينما نظل نتكلم دون أن نحس بالتلاحم ولا بالوقت, ونحن نرتشف المشروب المغلى لأحد الأعشاب, دون مفاجأة. كان يلزمنى أن أتواءم مع النظارة ذات لون الجليد. والموكيت الشمسى, اخترت الزرار الذى عليه زهرة لوتس واحدة – لقد بلغت الرسالة – فقد تحملت طبق الطعام بكل صفاء الدروب

الكبرى. التى اجتمعت فى مرة واحدة رائعة مع كاكورو أوزو، وان هذا الحماس والبراءة اللامعة تثيران الامتثال، وتلقى حكمة كبيرة. لست معتادة على مثل هذا الأمر فى حياتى. يبدو لى أنه يتعامل معى بكل تسامح وفضولية، وأن الآخرين هم بشر يعاملهم بكل تحد ولطف (مانويلا) سذاجة ولطف (أوليمب) أو عجرفة وقسوة (بقية العالم)، وقوة الشهية، وصفاء وأريحية وجه برئ، وكوكتيل غير مسبوق، ثم نظرت إلى ساعتى. "إنها الثالثة". انتصبت فوق قدمى. قلت: "يا إلهى: هل ترى الساعة؟"

نظر إلى ساعته، ثم رفع عينيه نحوى، قلقاً.

- نسيت أنك ستعملين صباحاً مبكراً، أنا على المعاش، ولا أهتم بهذا، هل انتهى الوقت؟

- حسناً. بالتأكيد، يجب أن أنام قليلاً.

أسكت الواقعة أننى، حسب سنى المتقدم يجب أن يعرف أن العواجيز ينامون قليلاً. يجب أن أعمل طوال ثمان ساعات كى يمكننى السيطرة على خوف العالم برباطة جأش.

قال لى كاكورو عند باب شقته : "إلى يوم الأحد". قلت: "شكراً جزيلاً، لقد قضيت أمسية رائعة جداً، وأنا معترفة لك بالجميل". قال: "أنا الذى أشكرك، لم أضحك هكذا منذ وقت طويل، ولم أتحدث مثل هذا الحديث الرائع، هل تريدين أن أصحبك إلى مسكنك؟".. قلت: "شكراً، لا داعي".

كانت هناك نباتات خضراء موجودة على السلم. قلت:

- حسناً إلى يوم الأحد، ربما نتقابل قبلها.

- قال أيضاً بابتسامة واسعة مشرقة. "شكراً يا رينيه".

وهو يغلق بابه ورائى، وأنا أتوجه إلى مسكنى، رأيت ليو يزمجر بقوة فوق مقعد التليفزيون، وبدأت أحسبها: لأول مرة فى حياتى أحسست أن لى صديقاً.

(16)

إذن

إذن, انه مطر الصيف

(17)

قلب جديد

كم أذكر مطر هذا الصيف. يوماً وراء يوم نعبر حياتنا مثلما نمر فى ممر.

أفكر فى مكان لائق للقط.. هل رأيت بطانيتى، إنها المرة الثالثة التى يسرقونها منى.. إنها تمطر بقوة وكأن النهار ليل.. هناك دائماً ساعة للاجتماع.. هل تريد أن أنزع ريحك الثقيلة.. فنجان شاى مر.. صمت ما بعد الظهيرة.. ربما نحن مرضى بقوة.. كل هؤلاء الطيبون قد... هؤلاء العباقرة الذين يؤدون مهاماً كبرى.. إنها تمطر ثلوجاً.. هذه الزهور هى أسماؤها..

هى قطة فقيرة تتبول فى كل مكان تقريباً.. شمس الخريف، كم هى حزينة.. ينتهى اليوم مبكراً.. لماذا تفوح القمامة فى الممر؟.. أنت تعرف أن كل شئ يحل فى ميعاده.. لا، أنا لا أعرف بشكل خاص.. إنها أسرة مثل بقية الأسر. يقال أنها آزوكى.. قال ابنى إن الصينيين شرسون.. ماذا تسمى القطط؟.. هل يمكن أن نستلم باقات كل أعياد الميلاد. كل أغانيها تثير الملل.. كى نلتهم حبة بندق ضرورية.. هناك الهاتف الذى يرن.. الجو حار رغم أنها الساعة العاشرة.. قطعت عيش الغراب إلى قطع صغيرة، والتهمنا الحساء مع عيش الغراب بالداخل.. تركت سراويلها الصغيرة أسفل السرير.. كان يجب أن أعيد ترتيب السجاد..

ثم... مطر الصيف.. هل تعرف ما هو مطر الصيف؟

فى البداية، الجمال النقى يغطى سماء الصيف، هذا الخوف المبجل الذى يغشى القلب، تحس بالسخرية وهى فى قمتها. بالغ الهشاشة والانتفاخ وعظمة الأشياء، مذهولاً، مفتوناً بسخاء العالم.

ثم، تبلغ ممراً، وفجأة، تدخل غرفة النور، أبعاد أخرى، يتولد اليقين. ليس الجسد سوى غلاف خارجى، والروح تسكن الغيوم، وقوة الماء هى قوته، تعلن الأيام السعيدة عن نفسها، فى ميلاد جديد.

ثم, مثل الدموع, أحياناً, عندما تكون دائرية, وقوية, ومتوحدة, تاركة خلفها شاطئاً طويلاً قائما من الارتجال والمطر, والصيف يوقف الغبار الساكن, ويترك بالنفس تأثيرات مثل التنفس بلا نهاية.

وهكذا فإن بعض مطر الصيف يتخشب فينا مثل قلب جديد يدق مع وحدة الآخر.

(18)

نعاس رقيق

بعد ساعتين من النعاس الرقيق. نمت بكل ارتياح.

فكرة عميقة رقم 13

من يؤمن

انه قادر على صنع العسل

دون أن يشارك النحل فى مصيره؟

فى كل يوم, أقول إن أختى لا يمكنها أن تغوص بعمق فى مستنقع من العار, وفى كل يوم أفاجأ أن أراها تفعل ذلك.

بعد الظهيرة, عقب المدرسة, لم يكن هناك أحد فى البيت. تناولت الشوكولاتة بالبندق فى المطبخ, وذهبت لآكل فى القاعة, استقررت على الأريكة, ورحت أقرقع شوكولاتى وأنا أفكر فى فكرتى العميقة التالية, فى أعماقى, هناك فكرة عميقة حول الشوكولاته أو حول الطريقة التى تقرقع فى فمى, مع سؤال رئيسى, ما هو الجميل فى الشوكولاتة؟ الجوهر نفسه أو تقنية الأسنان التى تقرمش؟

وجدت هذا بالغ الأهمية, دون أن نأخذ فى الحسبان أن أختى عادت مبكرة على غير العادة وأنها بذلك سرعان ما أفسدت حياتى وهى تتكلم معى بالإيطالية. منذ أن ذهبت إلى فينسيا مع أسرة تيبير (فى دانيليى) لم تتكلم كولومب سوى هكذا, منتهى المأساة اليوم السبت تذهب لتتعشى عند أصدقائها فى جرينبار الذين لديهم عقارات فى توسكان, لا تنطقها سوى "توسكان", كولومب راضية, وأمى أغمى عليها. أعلمكم إياه. آل توسكان ليس لديهم الآن الهكتارات, إنهم غير موجودين سوى لدى بعض الأشخاص مثل كولومب. أمى أو آل جرينبار سيحركان غريزة الامتلاك. تنتمى لهم "توسكان" فى ثقافتهم, والفن وكل ما يمكن كتابته بحرف كبير.

بالنسبة لـ "توسكان" إذن, كان لدىّ الحق فى ركوب الحمير, زيت الزيتون, أشعة الغروب, الحياة الجميلة, وأن أعيش على سجيتى, لكن مثل كل يوم, فإننى أنخسف برصانة, أما كولومب فلا يمكنها أن تجرب عليها قصتها المفضلة. إنها تسرع إلى وهى تكتشفنى فوق الأريكة, فتدمر ذوقى وفكرتى العميقة القادمة.

فوق أراضى أصدقاء آباء تيبير، هناك خلايا عسل نحل. كافية لإنتاج العسل لعام. آل توسكان يستأجرون عمال نحل، يقومون ببيع العسل تجارياً فى "محال فيلباجى"، بالطبع ليس هذا بهدف المال، لكن عسل "محال فيلباجى" يعتبر أحسن عسل فى العالم، وهذا يساهم فى مكانة الملاك "أصحاب الدخل" لأنهم يقدمونه فى المطاعم الكبرى لمشاهير الزبائن الذين يفضلونه فى أطباقهم.. كولومب، تيبير، وآل تيبير لديهم الحق فى التهام العسل وكأنه نبيذ، وكولومب تهرول نحو العسل بشغف؛ فعسل نبات إكليل البحر يجعلها تحس أنها كبيرة. إلى هذا الحد من النص، فإننى أراها شاردة، وأنا أفكر فى "قرقعة الشوكولاتة" وأقول لنفسى أن هذا يمكن أن يوقفها. فأنسحب إلى شأنى الخاص.

لا يجب أن آمل فى شئ كهذا مع كولومب، فجأة، تستعيد هيبتها البغيضة، وتبدأ فى الحكى عن عادات النحل، بشكل ظاهر فلديهم الحق فى منهج دراسى كامل، ويضرب الأمل الصغير المشوش لكولومب بشكل عام بالمرور فوق شعائر زواج لملكات النحل، والنواقيس المزيفة. والمنظومة العجيبة للخلية لا تترك الكثير من الأثر، وأجد مع ذلك أن هذا أمر عاطفى.

بشكل عام، إذا فكرنا أن هذه الحشرات لديها لغة مشتركة ولديها محددات لا يمكن أن يدركها الذكاء إلا كتخصص إنسانى، لكن هذا يثير اهتمامى وليس لكولومب التى تعد رسالة علمية فى الفلسفة، إنها على العكس، فكل شئ منعش تماماً بالجنس عند الحشرات الصغيرة.

سوف ألخص لكم المهمة، ملكة النحل عندما تكون مستعدة، فإنها تبدأ فى طيرانها الزوجى وتستكمله، يطاردها الذكور المزيفون، وأول من يلحق بها ويكون ثنائياً معها يموت لأنه، بعد الحدث، فإن عضوه الذكرى يبقى كامنا فى النحلة، لقد تم بتره، مما قتله . أما الذكر الثانى المزيف الذى يلحق بالنحلة فعليه كى يكون ثنائياً معها أن يسحب بمخالبه العضو الذكرى السابق، وبالتأكيد سوف يحدث له نفس الشئ. وهكذا، حتى الذكر العاشر، أو الخامس عشر، الذى يملأ جيب الملكة المنوى ويسمح لها طوال أربع أو خمس سنوات أن تنتج مائتى ألف من البيض كل عام.

هذا ما حكته لى كولومب وهى تنظر لى بشكل أمومى وهى تزخرف النص الوقح فى نوعه: ليست لديها الحق مرة واحدة، هه، إنها تستهلك خمسة عشرا.. إذا كنت

تيبير فلن أحب أبداً أن تحكى صديقتى هذه القصة إلى كل العالم, فلا يمكن أن نمنعها من ممارسة القليل من علم النفس بثمن بخس, عندما تحكى فتاة هائجة أنه يلامسها خمسة عشر ذكر فإن هذا يسعد الأنثى, وكى تثيرهم فإنها تجذبهم وتقتلهم. بكل قوة هذا يطرح الأسئلة, فإن كولومب مشدوهة. إن هذا هو اطلاق نيران فتاة متحررة منفلتة تمارس الجنس - الجنس - مع - الطبيعة. نست كولومب تماماً أنها تحكى لى هذه القصة بهدف أن تصدمنى, وأن للقصة مضمون ليست له قيمة. وبالنسبة لشخص مثلى تفكر أن الرجل حيوان, فإن الجنس ليس أمراً مشيناً لكنه عمل علمى. أجد أن هذا عاطفي, أتذكر لكل العام أن كولومب ترفع يدها ثلاث مرات يومياً, وتصرخ عند أقل وسوسة, تصرخ للشعرة الخفية فى الدوش (الشعرات الخفية أكثر أهمية), لا أعرف لماذا. لكننى أجد أن هذا سيذهب بسرعة مع جنس الملكات.

لكن بشكل خاص, إنها مثل رجال يضاجعون الطبيعة, ويعتقدون أنهم يهربون منها, إذا حكت كولومب هذه القصة بتلك الطريقة, فلأنها تفكر أن الأمر لا يخصها. وإذا سخرت من لهوها المؤثر مع الذكور المزيفة, فلأنها مقتنعة أنها لا تشارك نوعها, ولكن أنا لا أرى شيئاً صادماً, فى رحلة طيران الملكة الزوجى, وفى نوع الذكور المزيفة, لأننى أحس بعمق مشابه لكل هذه الحيوانات, حتى وإن كانت لى عادات مختلفة, أن نحيا, ونأكل ونتتج, ونؤدى واجبنا الذى من أجله ولدنا ونموت, ليس لهذا أى معنى, حقاً, لكن هكذا تكون الأشياء, عجرفة الرجال فى التفكير أنهم يستطيعون إرغام الطبيعة, والهروب إلى مصيرهم كأشياء صغيرة حيوية.. وهذا العماء الذى لديهم فيما يخص القسوة, أو عنف أساليبهم فى الحياة والحب والإنتاج, وشن الحرب على أقرانهم.

أعتقد أن هناك شيئاً واحداً يجب عمله: أن نؤدى الواجب الذى ولدنا من أجله, وأن نبلغه على أحسن ما نستطيع. وبكل قوانا, دون أن نبحث عن الظهيرة حتى الساعة الثانية, ودون أن نؤمن أنه لا توجد مقدسات فى حياتنا الحيوانية, هكذا فقط سيكون لدينا الإحساس أننا نمارس أشياء ثنائية فى نفس اللحظة, التى يأخذنا فيه الموت. الحرية, الفرار, الإرادة, هذا كل شئ. إنها خرافة. نحن نؤمن أننا قادرون على إنتاج العسل دون مشاركة أقدار النحل, لكن نحن أيضاً لسنا سوى نحلات مسكينة مكرسة لبلوغ واجبها, ثم تموت.

بالوما

(1)
مشحوذ

فى الصباح نفسه, فى الساعة السابعة, قرع جرس بابى.

احتجت إلى بضع لحظات لبلوغ الفراغ, ساعاتان من النوم لا تكفيان لبلوغ رضاء كبير نحو النوع الإنسانى, وللعديد من قرعات الجرس المتتابعة بينما أرتدى فستانى وحذائى, وأمرر يدى على شعرى المزيد بشكل خانق, لا لغيرتى اللحوحة.

فتحت الباب, ووجدت نفسى أمام كولومب جوس. قالت لى:

- حسناً, لقد استبد بك الكسل.

أصابنى ألم اعتقد أننى سمعته. قلت:

- انها السابعة.

نظرت إلى, وقالت:

- نعم, أعرف.

أشرت وأنا أبذل مجهوداً كى أتماسك: "المكان يفتح فى الثامنة"

سألت بشكل تصادمى: "كيف هذا, فى الثامنة, هل هناك ساعات؟"

- لا, مقر البوابة هو مكان مقدس محمى, لا يعرف المكانة الاجتماعية, ولا قوانين التسعيرة.

قلت, غير قادرة على النطق بكلمة أخرى: "نعم".

قالت بصوت كسول: "آه حسنا, طالما أننى هنا".

قلت وأنا أغلق الباب فى وجهها, ثم اتجه نحو طبق الشوربة:

- عليك أن تعودى فيمابعد.

سمعتها تصرخ من وراء الزجاج:

- إذن, هذا هو منتهى الأمر!..

ثم أدارت جذعها الغاضب وداست بغضب على زر استدعاء المصعد.

كولومب جوس, هى الابنة الكبرى لآل جوس, كولومب جوس شقراء ترتدى مثل بوهيمية مفلسة.. إذا كان هناك شئ أننى أكره هذا النوع من الأثرياء الذين يرتدون كالفقراء، نوعا رخوا من طواقى الصوف الرمادية, وأحذية المتشردين وأقمصة عليها زهور تحت البلوفر المتهالك, ليس هذا فقط شئ قبيح, لكنه مهين, لا شئ أكثر حقارة من احتقار الأثرياء لرغبة الفقراء.

للأسف, فإن كولومب جوس تقوم بعمل دراسات مهمة, هذا الخريف, عادت إلى الدراسات العليا, قسم الفلسفة.

أعددت لنفسى الشاى مع البسكويت ومربى الجانرك, وأنا أحاول أن أسيطر على اهتزازات القصب التى تحرك يدى, بينما يتسرب ألم جانبى أسفل جمجمتى. أخذت حماماً عصبياً, وارتديت ملابسى, وقدمت إلى ليو فطوره المعتاد ما بقى من لحم الخنزير, خرجت من الفناء, ووضعت النبتون المحلى فى صناديق القمامة, فى الساعة الثامنة, تركت كل هذه الأعمال وعدت مجدداً إلى مطبخى, باحثة عن أقل قدر من الهدوء.

فى أسرة جوس, هناك أيضاً الابنة الصغيرة بالوما, وهى بالغة الغموض والشفافية. أعتقد جيداً أننى لم أرها أبداً رغم أنها تذهب وتعود من المدرسة, هذا كل شئ

بالنسبة لها، فى الساعة الثامنة تماماً، أرسلتها لى كولومب. وكنت فى دورة المياة.

يا لها من مناورة جبانة.

الطفلة الصغيرة (فى أى سن هى، الحادية عشر، الثانية عشر) كانت واقفة فى طريقى. حادة مثل العدالة، تنهدت قليلاً - لم أعبأ بالغضب البرئ الذى يحدوه مكر - وحاولت أن أبتسم بشكل طبيعى.

قلت: "صباح الخير يا بالوما".

انسحبت أسفل الجيليه الوردى، وقالت بصوت مترقب: "صباح الخير".

نظرت إليها باهتمام، كيف يمكن أن أفتقد ذلك؟ بعض الأطفال لديهم موهبة من الصعب أن يفهمها الكبار. لا شئ، فى مسكنهم، لا يتفق مع مقاييس أعمارهم. إنهم بالغو المهابة، جادون للغاية، بالغو الرصانة، وفى الوقت نفسه فإنهم مشعوذون بشكل مرعب. نعم، مشعوذون، فعند النظر إلى بالوما مع الكثير من التنبه. فإننى أميز بحدة. حكمة باردة لا أستطيع أن أبلغها، قلت لنفسى، إنه من المستحيل بالنسبة لى أن أتخيل أن بذاءة كولومب يمكنها أن تكون على أختها توافقاً انسانياً.

قالت بالوما:

- أختى كولومب أرسلتنى لأخبرك أن شخصاً أرسل لها مظروفاً يهمها كثيراً.

قلت، وأنا آخذ فى اعتبارى ألا أغير من نبرة صوتى، مثلما يفعل الكبار عندما يتكلمون إلى الأطفال: "حسنا". هذه علامة ازدراء كبيرة أن ملابس الفقراء للأغنياء. أكملت بالوما: "إنها تسأل إن كان يمكنك أن توصليها إلى المسكن". قلت: "نعم". قالت بالوما: "حسنا".. وظلت فى مكانها. إنه أمر مثير جداً.

ظلت تنظر إلى بهدوء، دون أن تتحرك، وذراعها بطول جسمها، فمها مفتوح بشكل خفيف، لديها جديلة قصيرة ونظارات ذوات أيد وردية، وعينين وضاحتين جداً.

سألت، بشكل محدد: "هل يمكن أن أقدم لك شوكولاتة؟"

هزت رأسها, وهى لا تزال جامدة. قلت:

- ادخلى, فقط أتناول الشاى.

وتركت باب المقر مفتوحاً, كى أقطع الشك لكل الاتهامات, سألت:

- أفضل الشاى أيضاً, ألا يضايقك هذا؟

أجبت: "لا, بالتأكيد".

وقد اندهشت قليلا, وأنا أدون بشكل عقلى أن بعض الهبات بدأت فى التجمع: للإنسانية أشكال جميلة مثل تقديم الشاى.

جلست فوق مقعد, ووازنت قدميها فى الفراغ, وهى تنظر إلىَ بينما أمد لها الشاى بالياسمين. وضعته أمامها, وجلست أمام فنجانى.

أعلنت لى بعد أن تناولت جرعة صغيرة: "أفعل نفس الشئ كل صباح, فأختى تعاملنى باحتقار, أختى تقضى طيلة الأمسيات مع أصحابها فى التدخين والشراب, والتحدث مثل شباب الضاحية لأنها تفكر أن ذكاءها لا يمكن أن يكون محل شك".. هذا يمشى جيدا مع نظام SDF.

أكملت بالوما, وهى تنظر إلىَ دوما بحدة, وقد امتلأت عيناها بصفاء: "أنا فى ضيق لأن هذا لا يتلاءم معى". قلت بأدب: "حسنا, هذا يمنحنا الفرصة للتعارف". قالت, وقد بدا بعض التوسل فى صوتها: "هل يمكن أن أعود؟"

أجبت بهدوء: "بالتأكيد, أهلا بك, لكن أخشى أن تتضايقي هنا, لا يوجد شئ مدهش تفعلينه". عقبت علىَ: "أريد فقط أن أكون هادئة".

- ألا يمكن أن تكونى فى هدوء فى حجرتك؟

قالت: "لا, لست هادئة, إذا كان العالم كله يعرف أين أنا, قبل كل شئ, أنا أتخفى. الآن, صارت كل مخابئى مكشوفة".

- أنت تعرفين، كم أنا منزعجة تماماً أيضاً، لا أعرف إذا كان يمكنك أن تفكرى بهدوء.

- يمكن أن أظل هنا (أشارات إلى مقعد الفوتيه أمام التليفزيون الذى يعمل بصوت خفيض). يأتى الناس كى يرونك، إنهم لن يزعجونى.

قلت: "أنا موافقة، لكن يجب أن تسألى أمك إذا كانت موافقة".

مررت مانويلا من الباب المفتوح، وهى التى تبدأ عملها فى الثامنة والنصف، بدت كأنها تود أن تقول لى شيئاً ما عندما اكتشفت بالوما وفنجانها الذى تنبعث منه الأبخرة. قلت لها:

- ادخلى. نحن نتبادل وجبة خفيفة، تحدث.

حركت مانويلا رموشها، مما يعنى بالبرتغالية على الأقل: ماذا تفعل هناك؟ هززت كتفى تلقائياً، بللت شفتيها، وبالعكس، سألتنى فجأة، وهى غير قادرة على الانتظار: "إذن؟".. قلت بابتسامة عريضة: "هل ستعودين لتوك؟"..

قالت، وهى ترى ابتسامتى:

- آه.. حسنا جدا، حسنا جدا، نعم، سأعود كالعادة.

ثم وهى تنظر إلى بالوما:

- حسنا، سأعود حالاً.

وبكل أدب:

- إلى اللقاء يا آنسة.

قالت بالوما وهى تفرد ابتسامتها الأولى: "إلى اللقاء".

طفلة مسكينة, ذات ابتسامة صغيرة, غير ملموسة, أخفقت قلبى. قلت:

- يجب أن تعودى إلى بيتك الآن, سوف تقلق أسرتك.

وقامت واتجهت نحو الباب وهى تجر قدميها. قالت لى:

- من الواضح, أنك بالغة الذكاء.

وكأننى لم أقل شيئاً مصدومة:

- سوف تجدين مخبئاً جيداً.

(2)
هذا الخفى

مظروف وضعه ساعى البريد فى مسكنى, إلى صاحبة العصمة كولومب من عائلة ركأى, مفتوح. مفتوح بشكل مربع, دون أن يكون مربوطاً, بدون باقة ولكنه مزين بشريط أبيض, المظروف يبدو, قديماً كاشفاً عن كومة من الأوراق الخاصة.

لماذا لم يكلفوا أنفسهم وسعاً لإغلاقه؟ هكذا تساءلت وأنا أضع فروضا لشخص واثق فى أمانة ساعى البريد, والبوابات وأفترض الثقة فى محتويات المظروف لا تهمهم.

أقسم بكل الآلهة إنها المرة الأولى, وأتوسم أنهم وضعوا فى حساباتهم الوقائع "ليلة قصيرة. مطر الصيف, بالوما, الخ". سحبت المحتوى برقة خارج المظروف.

كولومب جوس, قواعد الطغيان المطلق, مذكرات الماجستير تحت إشراف السيد البروفيسور ماريان, جامعة باريس: السوربون.

هناك بطاقة محددة فى غلاف الأوراق الأولى.

عزيزتى كولومب جوس

هذه تعليقاتى. شكراً لساعي البريد.

سنلتقى فى سلشور غدا

مع المعزة

ج.ماريان

الأمر يتعلق بفلسفة القرون الوسطى، وأيضاً بمدخل إلى الشئ الذى أعلمه, إنها مذكرات حول جويوم أوخام, أقل الفرنشيسكان والفلاسفة الوضعيين فى القرن

الرابع عشر, أما بالنسبة لسلشوار, فهى مكتبة لـ "علوم الأديان والفلسفات", موجودة فى الشارع الثامن. يملكها الدومانيكيون, إنها تملك مراجع مهمة من أدب القرون الوسطى, وبها توجد الأعمال الكاملة لجويوم أوخام باللاتينية فى خمسة عشر جزءاً. هل أعرفها؟ حسنا لقد ذهبت إلى هناك منذ بضع سنوات. لماذا؟ لا لشئ, لقد اكتشفت فى طريق باريس هذه المكتبة التى تبدو مفتوحة للجميع, وجعلتنى هاوية جمع كتب. لقد اجتزت ممرات المكتبة, وهى مضاءة, مزدحمة بشكل متتابع بالسادة العواجيز والباحثين أو التلاميذ المزعومين. كنت منبهرة دوماً بإنكار الذات التى بها نحن الآدميون قادرون أن نخصص طاقة كبيرة فى خدمة لا شئ فى لحم الأفكار غير المجدية والعبثية. لقد تناقشت مع شاب متخصص فى الفكر اليونانى وسألنى كيف أن الكثير من الشباب يمكنهم أن ينهاروا فى خدمة العدو.

عندما نفكر جيداً فى الواقعة التى تشغل المرء قبل كل شئ.. إنه الجنس, والإرهاب, والتكوين الاجتماعى والتفكير على معنى الصلاة عند أوجستين ديبون الذى يبدو تافهاً بشكل واضح. البعض يتوقف بدون شك عند واقعة أن الإنسان ينجذب فى إحساسه إلى ما وراء الغريزة, لكننى رددت أن هذا حقيقى فعلا "اللهم إلا ممارسة الأدب". إنه مزيف للغاية: فالمعنى, هو أيضاً من الغريزة, إنها نفس الغريزة التى تبلغ أعلى درجة من المتعة. والتى تستخدمها بطريقة أكثر علواً لبلوغ نهاياته, لأن هذه المهمة من الحس والجمال ليست دليلاً عن طبيعة شامخة للإنسان الذى يهرب من حيوانيته, ويجد فى النور أمل العدل لوجوده, إنها سلاح مشحوذ لخدمة النهاية المادية والمبتذلة, وعندما يأخذ السلاح نفسه كمادة, وأن تكون ظرفا بسيطا من هذا التلاحم النورانى المتميز الذى يميزنا عن الحيوانات الأخرى, فإنها تسمح لنا أن نعيش بهذه الوسيلة الواضحة, فإن الذكاء يقدم لنا إمكانية التعقيد دون تعميق, فالفكرة بدون فائدة, والجمال بدون وظيفة, مثل حشرة, إنها ملابسات بدون ملابسات, لحدة ذهن أدمغتنا وهى انحراف مذهب يستخدم فى الخسارة النقية لثوابت جاهزة.

عندما تتوقف الأمور عن الهذيان, فهذا أيضاً ضرورة لاختراق الحيوانية, فالأب مثلاً, لديه وظيفة نفعية, مثل كافة أشكال الفن, لديه إجابة مهمة لإتمام كافة واجباتنا الحياتية كى تكون مثل كائن بشرى يجرب مصيره بقوة التفكير, والمرونة والمعرفة التى تسرى, والسمات غير المحتملة لكل الصفاء المجرد, نحن نعرف أننا حيوانات مدانة لسلاح استمرار الحياة, لسنا آلهة يوظفون العالم حسب أفكارهم

الخاصة، وهناك شئ ما لهذه الحكمة التى أصبحت متسامحة، شئ ما ينقذنا من الحزن، وحمى خالدة للمصائر الحيوية.

لذا ابتكرنا الفن، وهو أيضاً، نحن حيوانات نعى أننا فى النهاية لنا نوعنا الحى.

الحقيقة لا نحب شيئا طالما أن بساطة الواقع هى درس كان يجب على كولومب جوس أن تحصل عليه من قراءتها فى العصور الوسطى، وممارسة بهرجة تتناسب مع خدمة لا شئ طالما أن الفائدة التى تبدو تتدرج فى العمل، إنه واحد من هذه الضفائر اللا مجدية، وهو أيضاً التبذير المخجل للنبوغ.

تصفحت الأوراق وعليها الملاحظات. ما يجب أن تكون طبعة نهائية، وأنا مندهشة ونحن نعتبر أن الآنسة ريشة لا تدافع عن نفسها بشكل سيىء، رغم أنها أصغر سنا، لكن لتموت الطبقة المتوسطة من أجل تمويل عرقهم، وضرائبهم، وأبحاث مغرورة تجعلنى أجامع نفسى. سكرتيرات، محظيات، عمال، وموظفون من الطبقة الدنيا، وسائقو تاكسى، وبوابات تغرفن من حياة يومية من الصباحات الصغيرة حتى نهاية زهرة شبابهن الفرنسى، لديها مسكنها، ومرتبها، مسرفة فى كل ثمرة فوق طبائع من الأعمال السخيفة.

هذه الأولوية أكثر حساسية: هل هناك عوالم أو فقط أشياء مفردة، هى المسألة التى فهمت أن جويوم تحدث عن ضرورة الحياة، أجد أن هذا سؤال ساحر: كل شئ، هل هو جوهر خاص، وفى أى حالة، فهو مشابه لشئ آخر وهذا منحى لغوى، يمتلك بالكلمات والمفاهيم بشكل عام ذات مدلول، ويتضمن أشياء كثيرة خاصة. ترى هل هو موجودة حقاً، أشكال عامة تشارك فيها الأشياء الخاصة التى لا تكون وقائع بسيطة للغة؟ عندما تقول مائدة، عندما تنطق بكلمة مائدة، وعندما يكون مفهوم المائدة، يشير دائماً إلى هذه المائدة، ونذهب نحن بشكل واقعى إلى جوهر مائدة عالية فى أعماق الواقع لكل الموائد الخاصة الموجودة! "فكر" المائدة هل هى حقيقة لا تنتمى إلى روحنا؟ أى حالة، لماذا تتشابه بعض الأشياء؟ هل هى اللغة التى تجمعها بشكل حرفى، وتجعلها متلائمة للإدراك الإنسانى فى مراحل عامة، وهل يوجد شكل عالمى يشارك فى كافة الأشكال الخاصة؟

بالنسبة لجويوم، فإن الأشياء متفردة، والواقع العالمى مغلوط، لا يوجد سوى

الوقائع الخاصة, العمومية, هى من الروح واحدة, والتعقيد من البساطة الذى يفترضه وجود الوقائع العامة, لكن هل نحن واثقون؟ أى موافقة بين لوحة لروفائيل وأخرى لفرمير. تساءلت مساء الأمس, العين تعرف فيها شكلاً عاما, وأعتقد من ناحيتى أنه يجب أن يكون الواقع فى هذا الشكل. وألا تكون رسالة بسيطة للروح البشرية التى تضيف كى تفهم, حيث لا يمكن أن نصنف مالا نستبعده. لا شئ يتجمع وهو ليس غير قابل للجمع, أبدا مائدة لن تكون "منظر خفى", الروح البشرية لا يمكنها أن تخلق هذا الخفاء. بنفس الطريقة ليست هناك قوة ميلاد للوحدة العميقة التى تنسج طبيعة ميتة هولندية وعذراء الطفلة الايطالية, كل شئ مثل مائدة تشارك فى جوهر لا يعطيها شكلها جوهراً يمنحها شكلها. عمل الفن هو المشاركة فى شكل عالمى يمكنه فقط أن يعطيه هذا الخاتم. بالتأكيد, نحن لا نلاحظ بشكل مباشر, هذه العالمية, إنها واحدة من الأسباب التى تعتمد عليها الفلسفة واعتبار الجواهر مثل الواقع لأننى لا أدرى أبداً أن هذه "المائدة" وأن هذه اللوحة ليستا سوى الجوهر الجميل.

ورغم ذلك, فهى هناك تحت أعيننا, فى كل لوحة للسيد الهولندى هى تقمص, ظهور ساطع لا يمكننا أن نتأمله إلا عبر التفرد, ولكننا نعطى المفاتيح للخلود والرجعية بشكله النهائى. إنه الخلود, هذا الشئ غير المرئى الذى نرنو إليه.

(3)

العدل الصليبى

هل تؤمن أن كل هذا يهم مشاعرنا فى إطار المجد العقلانى؟

لا لا أبدا.

كولومب جوس، تفتقد الجمال، أما بالنسبة لمصير الموائد فإن أى اعتبارات تتبع ذلك، تهتاج حول انبثاق فكرة لاهوت أوخام حسب معانى علم الدلالة، الأمر الأكثر تمييزاً هو النية التى تحصن المشروع: الأمر يتعلق بعمل أفكار أوخام الفلسفية، ونحن نستغرق السنوات فى الاجتهاد الفلسفى فى صف الإطارات الثانوية للأفكار اللاهوتية، إنه قدرى، يسرى مثل النبيذ الردئ وخاصة لكاشف وظيفة الجامعة: إذا أردت أن تمارس وظيفة. خذ نصاً هامشياً وغريباً (مجموع المنطق – لجوييوم أوخام) أيضا اقل انبثاقاً، يهين جسد الأدب، وهو يبحث فيها عن نوايا المؤلف نفسه التى لم يقصدها (لأن كل واحد يعرف أن عدم العلم بمادة المفهوم أقوى من كل الرسوم الواعية)، تتفكك حتى نقطة التشابه مع موضوع رئيسى (إنها القوة المطلقة لله الذى خلق تحليلاً منطقياً فيها الرهانات الفلسفية مجهولة) تحترق وهى تصوغ كل الأيقونات (الإلحاد، الإيمان فى العقل ضد عقل الايمان، حب الحكمة، وتفاهات أخرى غالية للاشتراكية)، تخص سنة من حياته فى هذه اللعبة الصغيرة التى لا تستحق النقود التى توقظك فى الساعة السابعة، وترسل خادماً إلى مدير أبحاثك.

فيم يفيد الذكاء إن لم يتم استخدامه؟ لا أتكلم عن العبودية المزيفة التى يرتكبها كبار رجال الدولة، وتستعرض بكل فخر كدليل على ما يتسمون به من فضيلة، إنه أمر مثير للخجل للواجهة ليست سوى زهو واستحياء. يبدو كل صباح من الفخر المتواضع لخادم كبير. اتيان دوبروجلى أقنعتنى طويلا بمكانة طبقتها الاجتماعية. على العكس، فإن الامتيازات التى تعطيها الواجبات الحقيقية تنتمى إلى النوادى الصغيرة المغلقة على الصفوة، يجب خدمة معيار المجد، والسيولة فى الوجود المادى الى تحصده كثمن لهذا الانتماء.

هل أنا مثل كولومب جوس، شابة طبيعية، المستقبل مفتوح أمامها؟ يجب أن

أنشغل بتطور البشرية, وحلول مشاكلى الصليبية كى نجعلها مستمرة الوجود, أو ارتفاع النوع البشرى, ووقع الجمال فى العالم والعدل الصليبية وصحيح الفلسفة ليس هذا أمر مقدس. هناك خيار, والحقول واسعة, نحن لا ندخل الفلسفة كأننا فى دائرة بحثية حاملين السيف وصوت متفرد للمصير, هل يعلمون عن أفلاطون, وآبيقور, وديكارت, وسبينوزا, وكانط, وهيجل, وأيضاً هوسرك؟ حول علم الجمال, والسياسة, والمعنويات, وعلم المنطق, والميتافيزيقا؟ هل يمكن أن نخلص إلى التعليم أو إلى دستور عامل, والبحث, والثقافة؟ إنه أمر مختلف؟ لأنه فى ظاهر المادة, شئ واحد يجلب النوايا, تربية الفكر, والمساهمة فى الخدمة العامة, أو الانضمام إلى مدرسة ليس لديها سوى شئ آخر هو إعادة الإنتاج, ووظائف أخرى غير الإنتاج الذاتى من خصوبة الصفوة, حيث صارت الجامعة عملاً خرافياً.

فكرة عميقة رقم 14

اذهب إلى أنجلينا

كما تتعلم

لماذا تحترق السيارة.

اليوم, حدث شئ ما من العاطفة!

ذهبت إلى السيدة ميشيل أطلب منها أن تحضر رسالة كولومب من المنزل عندما أوصلها ساعى البريد إلى مسكنها, فى الحقيقة, فإن ذاكرتها يسيطر عليها جويوم أوخام, إنه أول كتاب كان على مديرها أن يقرأه وأن يخبرها بكل تعليقاته. الشئ البالغ الغرابة, أن كولومب واثقة فى السيدة ميشيل لأنها دقت على باب مسكنها فى الساعة السابعة كى تحضر لها الباقة, كان على السيدة ميشيل أن توبخها "المسكن يفتح فى الثامنة" لأن كولومب صعدت غاضبة إلى المنزل وهى تزمجر أن البوابة امرأة عجوز خرفة تتصرف على أنها هانم.. هل لكن حدث هذا مراراً؟

بدا على أمى أنها تتذكر, نعم, فى الواقع, فى البلاد المتقدمة والمتحضرة, يجب عدم إزعاج البوابين مهما كان السبب فى أى ساعة من النهار أو الليل (كان عليها أن تذكر كولومب ألا تنزل) لكن هذا لم يهدئ أختى التى استمرت غاضبة حتى الصباح لأنها قد خدعت فى الوقت أو أنه ليس من حقها أن تغلق الباب فى وجهها, تركتها أمى تصرخ, لو كانت كولومب ابنتى (داروين تملكنى) لصفعتها صفعتين.

بعد عشرة دقائق, جاءت كولومب إلى غرفتى بابتسامة معسولة تماماً. إذن, لا أستطيع. لا يمكن أن أتحملها. أفضل أن تصيح فى: "بالوما يا برغوتى. هل تريدين أن تؤدى إلى خدمة جليلة؟" صرخت, فأجبت عليها "لا", أطلقت تنهيدة, وهى تأسف أننى لن أكون خادمتها الخاصة, يمكنها أن تجلدنى - أحسست أنها صارت أفضل - مما أصابنى بالعصاب. أضفت "لنعقد اتفاقاً" تمتمت بتنهيدة خفيفة: أنت تعرفين ما أريد.. قلت: "تريدين أن أذهب لمقابلة السيدة ميشيل".. ظل فمها مفتوحاً, تكاد أن تقول إننى ضعيفة. انتهت بأن اعتقدت هذا, قالت كولومب: "حسنا إذا لن تعرفى صوت

الموسيقى فى غرفتك طوال شهر"، "أسبوع" اذهبى إلى هذه العجوز الخرفة، وأبلغيها أن تحضر لى باقة ماريان التى وصلت إلى مسكنها.. ثم خرجت وهى تضرب الباب. وذهبت لمقابلة السيدة ميشيل ودعتنى على احتساء الشاى.

حتى اللحظة، فإننى أجربها، لا أعنى أمرا جسيماً. نظرت إلى باستغراب، وكأنها ترانى للمرة الأولى، لم تقل شيئاً عن كولومب، إنها بوابة حقيقية، كان عليها أن تقول أشياء عديدة مثل "نعم، حسناً، لكن أختك: يجب ألا تعتقد أن كل شئ مباح لها" بدلاً من ذلك قدمت لى فنجان شاى، وحدثتنى بأدب شديد، وكأننى شخص حقيقى.

فى مسكنها كان التليفزيون مفتوحاً، لكنها لا تنظر إليه، هناك تحقيق تليفزيونى حول الشباب الذين يشعلون السيارات فى الضواحى، وأنا أرى المشاهد تساءلت، ماذا يمكن أن يدفع شاباً لإحراق سيارة؟ ماذا يمكن أن يدور فى رأسه؟ وماذا بعد، انتابتنى هذه الأفكار؟ وأنا؟ لماذا أريد إحراق الشقة؟ يتكلم الصحفيون عن البطالة والفقر، وأنا أتكلم عن الأنانية وزيف أسرتى، ولكن هذا لغو. هناك بطالة دوماً، والفقر، والأسر المتعثرة. ومع هذا، لا يحرقون السيارات ولا الشقق كل صباح. رغم ذلك! قلت لنفسى. أخيراً، كل هذه أسباب مزيفة، لماذا نحرق سيارة؟ لماذا أريد إشعال النيران فى الشقة؟

لم أجد إجابة على سؤالى، حتى ذهبت لعمل دراساتى مع خالتى هيلين، شقيقة أمى، وابنة خالتى صوفى، فى الواقع، فإن الأمر يتعلق بالذهاب لشراء هدية لعيد ميلاد أمى الذى ستحتفل به الأحد القادم. لقد اتفقنا أن نذهب معاً إلى متحف دابر، وفى الحقيقة فإننا ذهبنا إلى محلات الديكور فى المنطقة الثانية، وحتى السابعة،

الفكرة أن نجد مظلة مطر، وأن أشترى هديتى أيضاً.

بالنسبة للمظلة، فالأمر غير محتمل. استغرق الأمر ثلاث ساعات، وبالنسبة لى فكل ما رأيناه كان تائهاً تماماً. هناك أسطوانات بالغة الغباء، وآلات مع قطع حديدية من الطراز القديم. وكله خارج الأسعار، هذا لن يزعجك من ناحية ما. أنت لديك فكرة أن المظلة يمكنها أن تتكلف مائتى وتسعة وتسعين يورو؟ إنه السعر الذى دفعته هيلين من أجل شئ من "الجلد العتيق" عينى، التى دعكتها بفرشة من الصلب. نعم مع ندوب كالسروج، وكأنها تسكن فى زريبة. أما أنا فاشتريت لأمى علبة صغيرة لمنوم مطلية باللون الأسود من محل آسيوى، ثلاثون يورو، وجدت أنها غالية جداً،

لكن هيلين سألتنى إذا كنت أريد أن أضيف شيئاً ما, لقد رأت أن العلبة ليست شيئاً كبيراً, زوج هيلين هو العالم, وأستطيع أن أضمن لك, إنه عالم الأطباق, هما ليسا شديدا الفقر.. لكننى مع ذلك أحب هيلين وكلود لأنهما.. حسنا, لا أعرف جيداً ماذا أقول.. انهما سعيدان بحياتهما, أعتقد, أخيراً فهما لا يمثلان شيئاً آخر غير كونهما, لديها صوفيا, ابنة خالتى صوفيا ثلاثية الفكر. لست من الطراز الذى ينجذب إلى ثلاثى الفكر, وكأنه من الايقاع الذى فى أسرتى (حتى كولومب تؤمن به) الحوارات المقنعة. انهما يعانيان رغم ارتباطهما الكامل, متعاطفان تماما, ومؤثران تماماً, بشكل شخصى أجد أن حضور صوفى بالغ الصعوبة: فهى تسيل لعاباً, وتصرخ, وتستاء, وتمارس نزواتها, ولا تفهم شيئاً. لكن هذا لا يعنى أننى لم أوافق على هيلين وكلود, إنهما يقولان بنفسيهما أنهما يستمران, وأن المسار الحقيقى أن تكون لهما ابنة ثلاثية الفكر لكنهما يحبان ويهتمان بها كثيرا. أجد أن هذا, من سماتهما الداخلية وهذا يجعلنى أحبهما أكثر, وعندما أرى أمى وهى تؤدى دور المرأة العصرية فى جلدها, أو جاسينت روزن التى تؤدى دور البرجوازية منذ أن كانت فى المهد, هذا يجعل هيلين التى لا تؤدى أى من هذه الأدوار, تشعر كم هى سعيدة بنفسها, فهذا بالغ اللطف.

باختصار, بعد سيرك المظلة, ذهبنا نأكل كعكة ونشرب شوكولاتة عند أنجلينا, قاعة الشاى فى شارع ريفولى. ستقول لى أنها ليست بعيدة عن أنظار شباب الضاحية الذين أشعلوا السيارات أبدا! لقد رأيت شيئا ما فى محل أنجلينا سمح لى أن أفهم شيئاً آخر. على مائدة مجاورة, كان هناك زوجان مع طفل رضيع, زوجان من البيض مع طفل آسيوى, طفل صغير اسمه نيو, تلاطفت هيلين معهم وتحادثوا للحظة, كان لطفاً كآباء لطفل مختلف, بالطبع, فهكذا تعارفوا وابتدأوا الحديث. عرفنا أن نيو هو طفل صغير تبنياه منذ خمسة عشر شهراً عندما أتيا به من تايلاند, وان أبويه ماتا فى تسونامى, وأيضاً كل إخوته وأخواته, نظرت حولى, وتساءلت: كيف سيتصرف؟

نحن عند أنجلينا وكل هؤلاء الأشخاص يرتدون ملابس أنيقة, يقرقعون فى تلذذ كل الحلويات المقرمشة. ومن ليس هناك من أجل... رغم ما يعنيه المكان, فإن الانتماء لعالم معاً, مع اعتقاداته وشيفراته, ومشاريعه وتاريخه الخ. هو أمر مثالى. وعندما نحتسى الشاى عند أنجلينا فنحن فى فرنسا, فى عالم ثرى, فوضوى, عنصرى, ديكارتى, بوليسى, كيف يفعل ذلك, الصغير كيو؟.. لقد قضى الشهور الأولى من حياته فى قرية الصيادين بتايلاند, فى عالم شرقى تحكمه قيم ومشاعر

خاصة، حيث الانتماء النموذجى، هذا يبدو واضحاً فى عيد القرية عندما يحتفلون بإله المطر، أو يسبح الأطفال فى إيمان خيالى، الخ. هذه فرنسا، فى باريس، عند أنجلينا، هو منغمس، دون تحول، فى ثقافة مختلفة، وفى وضع متغير من النقيض إلى النقيض: من آسيا إلى أوروبا، من عالم الفقراء إلى عالم الأثرياء.

فجأة، تساءلت: نيو، سيرغب بلا شك أن يحرق السيارات فيما بعد، لأن هذه حركة غضب وإحباط، ربما أن الغضب الأكبر، والإحباط الأكبر ليس بسبب البطالة، وليس بسبب الفقر، ليس هذا هو غياب المستقبل، إنه الشعور بأنه لا يمتلك الثقافة لأنه حائر بين الثقافات، والنماذج المتناقضة. كيف نتحقق إذا لم تكن نعرف أين تكون؟ ماذا يجبْ أن أتحمل فى الوقت نفسه ثقافة الصيادين التايلانديين وثقافة البرجوازيين الكبار الباريسيين؟ من أبناء المهاجرين وأعضاء أمة عريقة محافظة؟ إذن فهم يشعلون السيارات لأنهم عندما لا تكون لديهم ثقافة، يشعرون كأنهم حيوان متحضر، مثل حيوان متوحش، هو الذى يحرق، ويقتل، و يسلب.

أعرف أن هذا ليس عميقاً جداً، ولكن رغم ذلك فهى فكرة عميقة، وعندما أتساءل: وماذا عنى أنا؟ ما هى مشكلتى الثقافية؟ فيما أتعلق بين القناعات؟ وفيما إذا كنت حيواناً متوحشا؟ إذن، لقد جاءتنى لحظة تنوير، تذكرت اعتناء أمى الشديد بالنباتات الخضراء، الأساليب الجنونية لكولومب، ومعاناة أبى لأن أمى فى حالة استيداع بمنزلها.

كل هذا حالة من حالات عديدة مثلها. تؤمن أمى أنها يمكن أن تشتم فجأة. مثل أولاد الشوارع، وكولومب يمكنها أن تتخلص من المعاناة وهى تغسل يديها، أما أبى، فهو طفل عاق، ستتم معاقبته لأنه ترك أمه، أخيراً فلديهم قناعات خيالية، قناعات بدائية، لكن على عكس صيادى تايلاند، لا يمكنهم أبداً الاضطلاع بالأمر لأنهم فرنسيون متعلمون – أثرياء – ديكارتيون.

وأنا. ربما أنا أكبر ضحية لهذا التناقض. لأنه، لسبب مجهول، أنا مفرطة الحساسية تجاه كل ما هو نشاز، وكأننى أمتلك أذنا مطلقة من النشاز بالنسبة للتناقضات، هذه التناقضات وغيرها.. فجأة. تعرفت على قناعة أخرى، فى واحد من هذه الثقافات المألوفة المتفككة.

ربما أنا نموذج للتناقضات العائلية, وأننى يجب أن أختفى, كى تغدو الأسرة أفضل.

(4)
توازن القاعدة

عندما عادت مانويلا فى الثانية ظهراً من عند آل بروجلى, كان لدي الوقت لاستعادة الذكريات من مظروفها, الذى يجب أن أسلمه إلى منزل آل جوس.

كانت أمامى فرصة فى حديث مهم مع سولانج جوس.

نحن نتذكر أنه, بالنسبة لمحلات الإقامة, فأنا البوابة تهتم بالحاشية المليئة برؤيتهم الروحية, والمادية, لم تمثل سولانج جوس استثناءً, لكنها متزوجة من برلمانى, وهى تبذل مجهوداً, قالت لى وهى تفتح الباب وتأخذ المظروف الذى أمده لها. "صباح الخير". ورحت أبذل مجهودا, وهى تكمل: "أنت تعرفين أن بالوما طفلة صغيرة بالغة الحساسية".

تنظر إلي كى تتحدى معرفتى عن الكلمة. بدوت محايدة, وهذه إحدى صفاتى, أن أترك الحرية لكل أنواع المفاهيم.

سولانج جوس امرأة اشتراكية لكنها لا تؤمن بالإنسان.

علقت وكأنها تتكلم إلى شخص سيىء الفهم: "أعنى أنها غريبة قليلا".. قلت وأنا أتسم بالجدية وأكسب الحديث قليلاً من الآدمية: "انها بالغة اللطف".

قالت سولانج جوس بنبرة تريد بها أن تصل إلى نقطة, لكن يجب أن نبلغها مرحلة وراء أخرى مع ما تعارضه من ثقافة الأخر: "نعم, نعم, إنها طفلة لطيفة, لكنها تقوم أحياناً بأشياء غريبة. إنها مثلا تحب التخفى, إنها تختفى لساعات".

قلت: "نعم, أخبرتنى بذلك".

انها مخاطرة بسيطة, مقارنة باستراتيجية الانتقال. لا ثمارس, وغير مفهومة, لكننى أعتقد أننى أستطيع أن أمسك الخيط دون أن أخون قناعاتى وطبيعتى.

- آه, هل أخبرتك.

فجأة بدأت نبرة سولانج جوس فى التضخم, فكيف تعرف أن البوابة فهمت ما قالته بالوما؟ والسؤال الذى يمثل متابعة الإدراك والتركيز أعطاها مظهر التائهة. أجبت: "نعم, أخبرتنى".. يجب أن أقول ذلك أن هذه موهبة فى الاختزال.

لاحظت خلف سولانج جوس أن القط كونستانسيون يمر متمهلاً, قالت:

- انتبهى, انه القط.

خرجت وهى تغلق الباب خلفها, كى تترك القط يخرج, وألا تترك البوابة تدخل.. هو التوازن لدى النساء الاشتراكيات. أجابت:

- باختصار بالوما أخبرتنى أنها تود الحضور إلى مسكنك بين وقت وآخر, إنها طفلة حالمة جدا. كى أقول لك كل شئ, كم أحب أن تفعل ذلك فى المنزل.

- آه.

- لكن من وقت لآخر, ألن يزعجك هذا. فسوف أعرف, على الأقل, أين هما, نحن نصاب بالجنون حين نبحث عنها فى كل مكان, كولومب عليها أن تعمل فوق رأسها, أليس هذا سعيدا جدا أننا يجب أن نقضى ساعات فى تحريك السماء والأرض كى تعثر على أختها.

وتركت الباب نصف مفتوح, كى تتحقق أن القط تخلص من اللوح, سألت:

"ألا يضايقك هذا؟؟؟ لعلك منشغلة بشئ آخر". قلت: "لا, إنه لا يزعجنى". قالت سولانج جوس التى لفت انتباهها تماماً شئ عاجل بالغ الأهمية: "حسنا, حسناً جدا.. شكراً, شكراً, إنه لطيف منك"، ثم أغلقت الباب.

(5)

نقيض

بعد هذا, بلغت مكتبى كبوابة, ولأول مرة فى النهار, كان لدىّ وقت فى التفكير ملياً, فى مساء البارحة عادت إلىّ بشكل جاد. هناك عطر رائع من الفستق, لكن أيضا بدايات معاناة صامتة. أحاول أن أستدير إليها وأنا أنشغل فى رى النباتات الخضراء فى كل أنحاء العمارة, نفس الطراز من البقع الذى أمسكه على نقيض السلوك البشرى.

فى الساعة الثانية إلا دقيقة, وصلت مانويلا, تبدو مخلوبة أن نبتون كان يختبرها فى مهارة تقشير الكوسة.

علقت دون أن تنظر وهى تمد لىّ زهور المادلين فى سلة صغيرة, مستديرة من العظام: "إذن؟".. قلت: "أنا فى حاجة مجدداً لخدماتك".

اعتدلت وهى تسحب نفسها بقوة ورغم أنها ضغطت على كلمة "حسناً".

لم أر مانويلا قط فى مثل هذا الحال من التألق. قلت:

- سوف نتناول الشاى يوم الأحد, وسأحضر الحلويات.

قالت مشرقة: "أووووه, حلويات".

وبكل برجماتية عاجلة: "يجب أن أفعل لك شيئاً ما".

تعمل مانويلا حتى ظهر السبت. أعلنت بعد برهة قصيرة من التفكير:

- مساء الجمعة, سوف أصنع لك العصيدة.

العصيدة هو نوع من الجاتوالإلزاسى. شهية قليلا. لكن حلوى مانويلا هى أيضاً ذات رحيق, كل ما هو إلزاسى له رائحة فواحة, والنواشف تتحول بين يديها إلى أفضل الروائح.

سألت: "هل سيكون لديك الوقت؟"

قالت بملائكية: "بالتأكيد, عندى وقت دوماً كى أصنع لك الحلوى!"

حكيت لها كل شئ: الوصول, والطبيعة الميتة, والساكى, وموزار, والمأكولات اليابانية, كيتى, والشقيقتان مونا كاتا, والباقى.

- لا تكونى سوى صديقة, لكن اختارى جيداً.

قالت مانويلا فى نهاية حديثى:

- أنت رائعة, كل هؤلاء الأغبياء هنا, وأنت, عندما يصل سيد لأول مرة يدعوك إلى منزله.

مدت زهور المادلين، وهتفت فجأة وهى تنطق الهاء بقوة:

- ها.. سوف أصنع لك أيضاً كعكة بالويسكى.

- لا, لا تتعبى نفسك يا مانويلا.. الحلوى تكفى.

- يتعبنى؟ لكن يا رينيه, كم قدمت لى من خدمات طوال سنوات.

فكرت برهة: "هى تستعيد ذكرياتى". سألت:

- ماذا فعلت بالوما هناك؟

- حسنا, لقد استراحت قليلا من أسرتها.

- آه, المسكينة! يجب أن أقول إنها مع أختها..

تكن مانويلا مشاعرها تجاه كولومب, التى أحرقت لها ثيابها القديمة قبل أن ترسلها إلى الحقول من أجل ثورة ثقافية من المشاعر. أضافت:

- باللير الصغير يصبح فمه فاغرا عندما يمر. لكنها لا تراه, يجب أن نضع حقيبة فوق رأسه, إذا كانت كل آنسات العمارة مثل أوليمب

- حقا, أوليمب بالغة اللطف.

- فعلاً, إنها صغيرة لطيفة, نبتون لديها مقاعد الثلاثاء, أنت تعرفين, أنها تعتنى بها.

- مقعد واحد فقط. انه أمر بالغ الحقارة.

- أعرف, لقد تزكناه مع سجادة جديدة فى البهو, سوف نوزعه غداً, لن يصيبه هذا بالأذى, إنه نحيف للغاية.

- أنت تعرفين, يمكنك أن تحتفظى بالفستان, لقد قالت ابنة السيدة إلى ماريا: احتفظى به, وماريا قالت لى إنها أخبرتك أنها أعطتك الفستان.

- نعم. حقا, انه لطيف للغاية, لكننى لا أستطيع أن أقبله.

قالت مانويلا غاضبة:

- لا تعاودى. على كل, فأنت التى ستدفعين النسبة. أنظرى إلى, يقال انه برتقالى. البرتقالى هو ربما شكل حقيقى من لون العربدة.

- حسنا, اشكرى ماريا نيابة عنى, أنا ممتنة حقاً.

- حسناً هذا. نعم, نعم, سأشكرها نيابة عنك.

وقرع الباب قرعتين قصيرتين.

قلت: "حسنا, اشكرى ماريا نيابة عنى. أنا بالغة الامتنان".

قالت: "هذا أفضل, نعم, نعم, سوف أبلغها شكرك".

ودق الباب دقتين صغيرتين.

(6)
القاعدة الحاملة

إنه كاكورو أوزو.. قال وهوعلى باب المسكن: "صباح الخير", ثم أضاف وهو يرى مانويلا: "صباح الخير يا سيدة لوبيز". ردت وهى تهرول: "صباح الخير يا سيد أوزو". بدت مانويلا شديدة الحمية.

قلت: "نحن نتناول الشاى, هل تنضم إلينا؟"

قال كاكورو وهو يمسك مقعدا: "بكل سرور". ثم قال وهو يرى ليو: "القط الجميل! لم أره جيدا فى المرة السابقة, يقال إنه سيامى".

قالت مانويلا وهى تعرقل المرقاش وتمد السلة نحو كاكورو: "هل لك أن تأخذ زهرة المادلين, إنها "العريدة". العريدة هى بشكل متنوع نوع من أنواع البرتقال.

قال كاكورو وهو يتناول زهرة: "شكرا.." قال وهو فاغر الفم: مشهورة!

تأرجحت مانويلا فوق مقعدها, وهى تتثاءب, قال كاكورو بعد أن حصل على أربع زهرات مادلين:

- جئت أسألك رأيك. أنا فى خلاف مع صديق لى حول مسألة الارتقاء الأوروبى فى مسألة الثقافة. (مكملا وهو يرمش لى بعينيه الضيقتين).

فغرت مانويلا فاها التى بذت أكثر أناقة مع باللير الصغير:

- إنه متعلق بإنجلترا. أما أنا فمتعلقة تماما بفرنسا, لقد قلت إننى أعرف شخصاً يمكنه مشاركتنا! هل تريد أن تكون وسيطا؟

قلت وأنا أجلس: "أنا قاض وحكم, لا أستطيع التصويت".

قال كاكورو: "لا, لا, لا, لن تصوتين. سوف تجيبين فقط على سؤالى: ما هما

الابتكاران العظيمان للثقافة الفرنسية والثقافة البريطانية؟ (وأضاف) يا سيدة لوبيز أنا محظوظ اننى هنا هذه الظهيرة, سوف تعطينى رأيك أيضا. إذا أردت.

علقت مانويلا بكل تحديد: "الإنجليز". (ثم توقفت) أنتما أولا يا رينيه (قالت فجأة متذكرة بكل حذر ومتذكرة بدون شك أنها برتغالية).. فكرت لحظة.. "بالنسبة لفرنسا, فهى قلعة القرن الثامن عشر, والجبن".

سأل كاكورو: "وبالنسبة لإنجلترا؟"

قلت: "بالنسبة لإنجلترا, الأمر سهل".

بالغت مانويلا وهى تنطق: "كتااااله؟"

ضحك كاكورو ملء شدقيه, وقال: "يلزم شئ آخر".

قالت: "حسنا, الروتوبى دائماً قبل البريطانى".

ضحك كاكورو: "هاها, أنا متفق معكما, إذن يا رينيه, ماذا ترين؟"

قلت ضاحكة: "النبات الملحم والعشب".

وبالتأثر, ضحكنا جميعا, خاصة مانويلا التى سمعت "القاعدة الحاملة" التى لا تعنى شيئاً, ولكن مع هذا غرقنا فى الضحك. حتى طرق باب المسكن.

يا له من جنون أن هذا المسكن الذى ظل حتى الأمس لا يهم أحداً, بدا اليوم مركزاً للانتباه العالمى. قلت, دون تفكير فى حمية الحديث: "ادخل.."

مررت سولانج جوس رأسها من الباب.. نظرنا إليها ثلاثتنا بتساؤل كأننا كنا مدعويين فى وليمة, أقامتها خادمة غير مؤدبة فتحت فاها, مندهشة.

مررت بالوما رأسها من وراء المزلاج.

تماسكت, وأنا أقف. سألت السيدة جوس التى اندهشت هى أيضاً, ثم انفجرت:

"هل يمكن أن أترك لكم بالوما لمدة ساعة؟"

قالت إلى كاكورو الذى وقف ثم أمسك يدها: "صباح الخير يا سيدى العزيز". قال بمودة: "صباح الخير يا سيدتى العزيزة, صباح الخير بالوما, أنا سعيد لرؤيتكما".. "حسنا, عزيزتى, إنها بين أيد طيبة يمكنك أن تتركيها لنا".

كيف تتصرف بكل ثقة وفى درس واحد؟ قالت سولانج جوس: "آه.. حسنا, نعم". وسارت ببطء للخلف, وبقليل من الصوت أغلقت الباب خلفها

سألتها:"هل تريدين فنجان شاى؟" أجابت: "بكل سرور".

أميرة حقيقية فى إطار وضعها.

مددت لها فنجانا صغيرا من الشاى المنقوع فى الياسمين, بينما مدت لها مانويلا زهرة مادلين مقطوفة.

سألها كاكورو, وهو فى قمة تألقه الثقافى: "ماذا ابتكر الإنجليز بالنسبة لك؟".. فكرت بالوما بتركيز, وقالت: "القبعة كشعار نفسى؟" قال كاكورو: "رائع".

علقت أننى ربما صرت أقل إقداما بالنسبة لبالوما, وأننى يجب أن أعمق لها هذه الفكرة, لأن القدر طرق فجأة ثلاث مرات, طالما أن المتآمرين قد خلعوا أمتعتهم فى يوم واحد, يقرع الباب من جديد على مربع المسكن, محدداً فكرتى.

كان بول نيجوين هو أول شخص لم تبد عليه الدهشة. قال لى: "صباح الخير يا سيدة ميشيل".. ثم "صباح الخير على الجميع".

قال كاكورو: "آه, بول, نحن نتحدث عن إنجلترا بشكل محدد".

ابتسم بول برقة, وقال: "حسنا, ابنتك تذكرتها لتوها, لقد تذكرت فى خمس دقائق". ومد له المحمول.

قال كاكورو: "اتفقنا, حسنا, سيداتى, يجب أن آخذ أجازة".

ورمش بعينيه أمامنا. قلنا بصوت واحد, وكأننا كورس: "إلى اللقاء".

قالت مانويلا: "حسنا, هذا شئ جميل تفعله". سألت: "أيهم؟"

كل زهور المادلين أكلناها، وضحكنا. نظرت إلىَ وهى تفكر, وتبتسم: "نعم, إنه لأمر غريب" رينيه التى كانت لها دوماً صديقة, لم تعد مقبولة.

لكن رينيه, التى لها صديقتان, تحس بالتوجس ولديها خوف غير محدد.

عندما ذهبت مانويلا, ارتمت بالوما بكل سجيتها فى مقعد القط, أمام التليفزيون, وهى تنظر لى بعينيها الواسعتين الجادتين وسألتنى:

- هل تعتقدين أن للحياة معنى؟

(7)

ليلة زرقاء

عند الكواء. كان يجب أن أواجه غضب نساء الضواحى.

نقاط مشابهة فوق فستان, هل لاحظن وهن يسلمننى تذكرة زرقاء لازوردية.

هذا الصباح, إنه صباح آخر جريت فيه هذه الأوراق المستطيلة, أكثر شبابا, وأقل يقظة, لقد تبعثرت عشوائياً بين الصفوف المتواصلة من القوالب الدائرية, ثم مدت لى فستانا بنفسجى اللون والبلاستيك الشفاف المربوط.

قلت وأنا أمسك الفستان بعد تردد واضح: "شكراً".

يجب أن نضيف إلى فصل من سلبياتى, واغتصابى لفستان لا أمتلكه فى مقابل فستان يخص امرأة ميتة أحس أننى سرقته. انتابنى الألم, على الباقى, فى أطراف ترددى, هل يجب أن يتولد ندم بمفهوم امتلاك ما أستطيع أن أعلن الاعتذار عنه, أخشى أن يمر الوقت فأضعف أمام التحدى خلال ساعة, مرت مانويلا بمسكنى حاملة سلتها.

قالت: "أردت أن أحضر مبكرة, لكن مدام دو برجولى, كانت ترقبنى من ركن".

بالنسبة لمانويلا فإن "ركن"العين هو نوع من التفسير.

وهى تضع سلتها. هناك لفافة مدهشة من ورق الحرير الأزرق, كعكة رائعة على الطريقة الإلزاسية, تعيدنى إلى الإلهام, كعكات صغيرة من الويسكى, بالغة الرقة تكاد أن تتحطم, وقرميد اللوز فوق سطحها مكسرات, سال لعابى بشكل غريزى.

قلت: "شكراً مانويلا. لكننا لسنا سوى اثنتين كما تعرفين".

قالت: "ليس عليك سوى أن تبدأي بسرعة".

قلت لها: "شكراً حقاً, لقد استهلكت وقتك".

قالت وهى تتمتم: "تاراتاتا.. صنعتها مزدوجة, وفرناندو يشكرك".

يوميات حركة العالم رقم 7

أحب هذه الساعة المكسورة من أجلك

أتساءل إذا لم أكن فى حالة من التحول إلى جمال تأملى. مع توجهات ضخمة. وفى الوقت نفسه, شك رونسان.

شرحت لنفسى أن "حركة العالم" هو متخصص قليلا, لأن هذه ليست حركة الجسم فى الصباح, وأنا أتناول فطورى, رأيت حركة "الحركة" مزايا الحركة, بالأمس (كنا يوم الاثنين) السيدة جريمون, الخادمة, أحضرت باقة ورد إلى أمى, السيدة جريمون قضت يوم الأحد عند أختها التى لديها حديقة صغيرة مفتوحة فى سورسن. واحد من الاخيرة, احضرت باقة من بواكير الزهور لهذا الفصل. ورودأ صفراء, من طراز خاص شاحب كزهرة الربيع, بالنسبة للسيدة جريمون, هذه الباقة من الزهور تسمى "الحج".

لا شئ سوى هذه أعجبتنى, إنها أكثر تربية وأكثر شاعرية وأقل تصنعا مما نسميه باقة ورد "مدام فيجارو" أو "غراميات بروست" وأنا لا أبتدع شيئاً. حسنا, اتحدث عن واقعة أن السيدة جريمون قدمت ورودأ إلى أمى. كلتا الاثنتين لهما نفس العلاقات لكل البرجوازيات المتقدمات مع الخدم, رغم أن أمى على قناعة أنها حالة من طراز: عجوز طيبة علاقات قديمة أبوية, وردية (قدموا القهوة, ودفعوا مباشرة, دون أى توبيخ. أعط لى الملابس القديمة والأثاث المتكسر, واهتموا بالأطفال وبالعودة, وصار الحق فى باقات ورد وأغطية كستنائية وبيج) أو كروشيه, لكن هذه الوردات شئ آخر.

كنت أتناول فطورى, نظرت إلى الباقة فوق مائدة المطبخ. أعتقد أننى لم أفكر فى شئ, ربما لهذا, من ناحية أخرى, رأيت الحركة, لعلى انهمكت فى شئ آخر. إذا كان المطبخ ليس صامتاً, وإذا لم أكن وحدى فى المطبخ, فإننى لم أنتبه بشكل كاف, كنت وحدى, هادئة, وخالية البال, واستطعت أن أستقبلها بنفسى.

هناك قليل من الضجيج, شئ من التأوه ينطلق فى الجو "ش ش.. هـ. هـ" رقيق

جدا جدا إنه زر الورد مع طرف الساق المكسور الذى سقط فوق لوح. فى هذه اللحظة لمسه, مما أصدر صوتا "بوف" إنها "بوف" من نوع الفوق صوتى فقط بالنسبة لآذان الفئران أو بالنسبة للآذان البشرية عندما يكون كل شئ صامتا جدا جدا جدا.

أبقيت الملعقة فى الهواء ممسوكة تماما. كان الأمر رائعاً. لكن ماذا يعنى رائع كهذا؟.. إنه بالضبط برعم من الورد فى قمة ساق نبات مكسورة سقطت لتوها. إذن؟ فهمت وأنا أقترب, وأنا أنظر إلى برعم الورد الساكن الذى انتهى بالسقوط, أنها حيلة يجب أن نراها مع الزمن, مع الاتساع, أو بالتأكيد, هو جميل دوماً, برعم من الورد الذى سقط بشكل مهيب, نحن نرسم بشكل ساذج! لكن هذا ليس ما يفسر الحركة, الحركة, هذا الشئ الذى نعتقده كونياً.

أنا، وأنا أنظر سقوط هذه الساق والبرعم, انتابنى فى كسور من الثانية جوهر الجمال, نعم, أنا وإنا صغيرة فى الثانية عشر والنصف لدى هذه الفرصة غير المرئية لأنه فى هذا الصباح تجمعت كافة الفرص: روح خاوية لمنزل هانئ, ورود جميلة, سقوط برعم. ولهذا فكرت فى رونسار, دون أن أفهم كثيرا فى البداية: لأن هذا هو سؤال عن الزمن والورود, لأن ما هوالجمال, إنه ما يشد انتباهك ويمر. إنه الوجه الزائل للأشياء فى لحظة, حيث نرى فيه فى نفس اللحظة زمن الجمال والموت.

أى، أى، أى, قلت لنفسى, هل يعنى أنه يجب أن يعيش المرء حياته بهذا الأسلوب؟ أبدأ توازن بين الجمال والموت, والحركة, واختفائها؟

ريما هذا: هو مطاردة اللحظات التى تموت.

(8)

جرعات صغيرة سعيدة

نحن فى يوم الأحد..

فى الساعة الثالثة ظهرا, اتخذت طريقى نحو الدور الرابع, بالفستان البرقوقى الذى بدا واسعاً جداً على نزيلة يوم السلة، وقد انقبض قلبى مثل قطيطة تدور فى دائرة صغيرة عصراً, وهى بين الدورين الثالث والرابع, وجدت نفسى وجها لوجه أمام سابين بالليز, فمنذ عدة أيام وهى تقابلنى, تنظر بازدراء ملحوظ, وبكل احتقار إلى شعرى المتطاير. لوحظ أننى تخليت عن إخفاء مظهرى الجديد, لكن هذا الإلحاح جعلنى عكرة المزاج, بعض المتحررة التى أكونها, لقاؤنا الدومنيكانى لم يخرق القاعدة. قلت وأنا أكمل مسيرتى: "صباح الخير".

أجابتنى بإشارة رأس متحجر دون أن تضعنى فى الاعتبار, ثم اكتشفت وجودى, توقفت على مسافة خطوة, رياح الألم دفعتنى بقلق, أدركت أننى من الجنوب مهددة بفستانى المسروق معبرةعن مجاعة عانيت منها.

قالت لى بلهجة متعمدة: "هل يمكنك, طالما أنك صعدت أن تروى زهورى فى الزهريات؟".. هل كان يجب أن أذكرها أننا يوم الأحد.. سألت فجأة: "هل هذه كعكات؟"

أحمل فوق لوحة أعمال مانويلا مظروفاً من الحرير, وأتأكد أن فستانى يخفى نوعاً من توقظ الإدانة لسيدة, ليست هذه ادعاءات خفية, لكن المرأة الشرهة افترضت هذا.

قلت: "نعم, إنها طلبية خاصة".

قالت وقد استعادت جأشها: "حسناً, استغلى الفرصة لرى الزهور".

بلغت السلال فى الدور الرابع بكل صعوبة لأننى أحمل أيضاً الكاسيت, لكن كاكورو

فتح لى بحمية وتماسك لحظة، وهو يتأملنى قال: "أو لا. لا. أنت لا تمزحين".

وتقدمت نحو الأمام, قلت وأنا أتبعه إلى المطبخ: "سوف نشكر مانويلا".

سأل وهو يفرغ السلة الحريرية الزرقاء: "هل هذا حقاً, إنها جوهرة حقيقية؟"

تصورت فجأة أن هناك موسيقى.

إنها ليست قوية وهذا ينطلق من مكبر الصوت غير المرئى الذى يبث الصوت فى كل أنحاء المطبخ. "الأغنية الإنجليزى".

يداها, تحبان الروح, الظلام يغلفنى

دعنى أبقى فى صدرها

عندما أكون موجوداً فوق الأرض

ربما خلقى الخطأ

لا متاعب فى الصدر

تذكرينى, تذكرينى

لكن أوه! انس بدانتى

إنه موت ديدون, إذا أردت رأيي: فإن أجمل شئ هو الغناء للعالم, ليس هذا جميل فقط. إنه القمة, يجلب السعادة غير المتوقعة الكثيفة للأصوات، وكأننا مرتبطون بقوة غير مرئية, ومثلما يتميز كل شئ فيها, فإنها تتهاوى واحدة تلو الأخرى, عند حدود الأصوات البشرية, تقريبا فى أرض النوح الحيوانية, لكن مع جمال صراخات الحيوانات لا تنتظر قط, جمالا مولودا من تدمير النبرات الصوتية, وانتهاك العناية التى تضعها اللغة الشفاهية التى من خلالها يمكن تمييز الأصوات.

تتحطم الخطى، وتتهاوى الأصوات. الفن, هو الحياة, ولكن بإيقاع آخر.

قال كاكورو وهو يضع الفناجين، والبراد، والسكر، والفوط الصغيرة فوق لوح أسود: "هيا بنا".. تبعته فى الممر، وتبعاً لحركاته، فتح الباب الثالث على اليسار. قلت أسأل كاكورو أوزو: "هل لديك جهاز تسجيل؟"؛ أجاب بابتسامة غامضة: "نعم".

الباب الثالث على اليسار يفتح على قاعة سينما صغيرة. هناك شاشة كبيرة بيضاء، كم من الأجهزة اللامعة الغامضة، وثلاثة صفوف من خمسة مقاعد سينمائية حقيقية مغطاة بالقطيفة الزرقاء الداكنة، ومائدة طويلة منخفضة أمام الأولى، والجدران، وسقف ممتد طويل من الحرير الداكن قال كاكورو: "فى الواقع، هذه هى مهنتى؟"

- مهنتك؟

- طوال أكثر من ثلاثين عاما استوردت مكبرات الصوت إلى أوروبا، إنها تجارة مربحة، لكنها بشكل خاص رائعة، اللعبة بالنسبة لى أن كل جزء من الآلة الالكترونية شاعري.

أخذت مكانى فى مقعد مجهز بشكل رائع، وبدأ العرض. كيف أصف هذه اللحظة من الفرحة الكبرى؟ نحن نشاهد فيلم "الأخوات موناكاتا" على شاشة عملاقة، وسط ظلام خفيف رقيق، ظهر قوى على ملف رخو جيداً ونحن نلتهم من الكعكة، ونشرب الشاى الحراق بجرعات صغيرة سعيدة، من وقت لآخر، يوقف كاكورو الفيلم، ونعلن معا، فوق عصا مكسورة، تنمو زهور الكاميليا فوق عشب المعبد ومصير البشر عندما تبدو الحياة مناسبة جداً. دهشتان. تمتمت بتحية صديقى الكونفوشيوسى وعدت إلى القاعة، وكأنه سرير ساخن ناعم.

إنه خارج الزمن وداخله.. عندما أحسست بهذا الشعور اللذيذ لأول مرة، الذى لم يصنع سوى الشخصين.. الثقة التى جربناها عندما كنا وحدنا، هذا اليقين بنفسينا فى صفاء الوحدة، لا شئ بالمقارنة بمبدأ دعه يذهب دعه يأتى، دعه يتكلم. من يعيش مع الآخر، فى صحبة متكاملة.. عندما أحس لأول مرة بهذا الراحة السعيدة فى حضور رجل.

اليوم، إنها المرة الأولى.

(9)

صناى

فى التاسعة مساء, بعد أن تحدثنا ونحن نشرب الشاى, استعددت لأخذ قسطاً من الراحة, مررنا بقاعة كبرى, ولاحظت فوق مائدة منخفضة إلى جوار أريكة، صورة فى إطار لامرأة بالغة الجمال.

قال كاكورو برقة وهو يرانى أتأملها: "كانت زوجتى, ماتت منذ عشر سنوات، بسرطان, كان اسمها صناى.

قلت: "آسفة, كانت.. جميلة, للغاية". قال: "نعم, بالغة الجمال".

ودام صمت قصير.

أضاف: "لدىّ ابنة تعيش فى هونج كونج وعندها طفلان".. قلت: "لعلك تفتقدها". "أذهب إلى هناك دائماً, أحبهم كثيراً, حفيدى يسمى جاك "أبوه إنجليزى" وهو فى سن السابعة, قال لى فى الهاتف هذا الصباح أنه اصطاد بالأمس أولى سمكاته, إنه حادث الأسبوع, هل تفكرين؟"

دام صمت جديد.

قال كاكورو وهو يتقدم فى الممر: "أنت أيضاً أرملة كما أعتقد".

قلت: "نعم, أنا أرملة منذ أكثر من خمسة عشر عاماً".

وأحسست برقبتى تشتد.

- زوجى كان اسمه لوسيان, السرطان, أيضاً..

ونحن أمام الباب. تبادلنا النظرات فى حزن.

قال كاكورو: "عمت مساءً يا رينيه".

ثم استعدنا البهجة.

- كان يوماً رائعاً.

شخص ماكر ضخم فى أعماقى ينطلق بسرعة هائلة.

(10)

سحب داكنة

قلت وأنا أرفع الفستان الخوخى, وأنا أكتشف برودة الويسكى فوق عروة: "أنت مسكينة غبية. ماذا تعتقدين فى نفسك؟ لست سوى بوابة فقيرة, لا توجد صداقة ممكنة بين الطبقات, ثم ماذا تعتقدين, أيتها الفقيرة المجنونة؟"

لم أكف عن التكرار, وأنا أباشر غسيل المساء, وأنا أسحب نفسى بين أغطيتى بعد معركة قصيرة مع ليو: الذى لم يتمنى أن يلتزم البقاء فوق الأرض: "من تعتقدين نفسك أيتها المجنونة؟".

الوجه الجميل لـ "صناى أوزو" أمام عيني المغلقتين, أحسست أننى شئ عجوز يتذكر الواقع فجأة دون بهجة. ثم نمت وقلبى قلق.

صباح اليوم التالى, أحسست بمشاعر غريبة من روح الغابة.

إذن, لقد مر الأسبوع كالسحر, أثار كاكورو بعض المظاهر المندفعة وهو يحرك مواهبى التحكيمية (بارد أم شراب؟ الأطلنطى أم أوسطى؟), وجدت المتعة نفسها فى صحبته المنعشة, رغم السحب الداكنة التى تتقاطع بصمت فوق قلبى, سخرت مانويلا وهى تكتشف الفستان الخوخى اللون وقد اندست بالوما فى مقعد فوتيه ليو. أعلنت لأمها: "فيما بعد, سأصبح بوابة". وهى تنظر إلىَ بعين جديدة صباحية حذرة عندما جاءت تقطع ذريتها فى مسكنى.

أجبت بابتسامة محبة: "حفظك الله, ستكونين أميرة".

ثم استعرضت تى شيرت ورديا كالشيكولاتة, يتوافق مع نظارتها الجديدة وقد اكتسبت مظهر فتاة, ستكون بوابة – مع أو ضد – كل – خاصة – أمى.

سألت بالوما: "كيف تحسين هذا؟"

هناك مشكلة تقنية فى صالة الحمام الخاصة بى, تفوح منها رائحة كأنها غرفة قذرة, ناديت السباك منذ عشرة أيام لكن يبدو أنه ليس متحمساً لفكرة الحضور.

قلت وأنا أحاول قليلاً أن أحور السؤال: "الميزاب".

قالت وكأننى لم أرد عليها أبداً: "فشل الليبرالية".

قلت: "لا, إنها مشكلة تقنية خاصة بالصرف الصحى".

قالت بالوما: "حسنا ما قلت لك. لماذا لم يأت السباك إذن؟"

"لأن أمامه زبائن آخرون".

علقت: "أبداً. لأنه ليس مضطراً, ولماذا ليس مضطراً؟"

قلت: "لأن ليس لديه ما يكفى من المنافسين".

قالت بالوما بمنظر المنتصر: "هذا هو, ليس هناك ما يكفى من المنافسين. الكثير من الزبائن والقليل من السباكين بصفة شخصية, أفضل الكولخوز".

هنا قوطع هذا الحوار العاطفى, وطرق على البلاط. إنه كاكورو مع طفل صغير لا أعرف من يكون بالضبط. دخل ورأى بالوما. قال: "أوه.. صباح الخير يا صغيرتى, حسنا, رينيه, سأمر فيما بعد". قلت: "كما تريد, هل أنت بخير؟" أجاب: "نعم, نعم". ثم اتخذ حلاً مفاجئاً, كأنه ألقى بنفسه فى الماء:

- هل تريدين أن تتناولى العشاء معى مساء الغد؟

قلت وأنا أحس بمشاعر عظيمة من الجنون تتملكنى: "أوه.. إنه.." وكأن النوايا تبث فى هذه الأيام الاخيرة متخذة شكلاً مجسداً.

تابع مثل كلب يتمنى عظمته: "أريد أن أصحبك إلى مطعم أحبه كثيراً".

قلت والجنون يتملكنى أكثر فأكثر: "مطعم؟"

وعلى يسارى أصدرت بالوما ضجيجاً من الابتسام.

قال كاكورو الذى يبدو أنه ممتن قليلا: "اسمعى.. أرجوك بكل إخلاص, إنه.. عيد ميلادى غداً, وسأكون سعيداً أن أمتلكك كفارس".

قلت دون أن أقدر على المزيد: "أوه!"

- سوف أذهب عند ابنتى يوم الاثنين. سأحتفل هناك مع الأسرة, بالتأكيد.. لكن غداً مساء.. إذا أردت.

ثم توقف فجأة, ناظراً إلى بكل أمل. هل هى العاطفة؟

بدا لى أن بالوما تحاول أن تفعل شيئاً.

واستمر صمت قصير.

قلت: "اسمع, حقاً, أنا آسفة, لا أفكر أن هذه فكرة جيدة".

سأل كاكورو وقد بدا مصدوماً: "لكن لماذا؟"

قلت وأنا أطلق ما يشبه الأنين الذى يترك أثراً:

- هذا شئ لطيف جدا, وكم أعترف بجميلك, لكننى لا أحبذ هذا, أنا واثقة أن لديك أصدقاء يمكنك أن تحتفل معهم بهذه المناسبة.

نظر كاكورو إلى مقاطعاً ثم انتهى قائلاً:

- أنا.. أنا.. نعم, بالتأكيد لكن.. أخيراً.. فعلا, كنت أحب كثيراً.. لا أرى أبداً.. (دعك رموشه, وقال): أخيراً.. أنا لا أفهم.

قلت: "هذا أفضل, صدقنى".

وأنا أصحبه برقة نحو الباب وأنا أمشى قبالته, أضفت:

- ستكون لدينا فرص أخرى للثرثرة أنا واثقة فى ذلك.

وانسحب مثل جندى مشاه فقد أرضه. قال:

- خسارة, علىَ أن أصنع فرحتى, على كل حال..

قلت وأنا أقفل الباب برقة بعد رحيله: "إلى اللقاء".

(11)

المطر

قلت لنفسى: مضى ما هو أسوأ، دون أن آخذ فى الحسبان مصير الفستان الوردى الشيكولاتى: استدرت ووجدت نفسى فى مواجهة بالوما. لم تبد سعيدة على كل حال. سألتنى بنبرة ذكرتنى بالسيدة بيلو آخر معلماتى:

- هل يمكن أن.أعرف ماذا تلعبين؟

قلت بضعف واع لسخف سلوكى:

- أنا لا ألعب قط.

- هل لديك شئ تفعلينه بشكل خاص مساء الغد؟

- لا, لكن ليس لهذا السبب.

- هل يمكن أن أعرف لماذا؟ بالضبط!

- أعتقد أنها ليست فرصة جيدة.

ألحت مثل مفتش شرطة:

- ولماذا إذن؟

- لماذا..؟

- هل أعرف الباقى؟

هكذا, دون صراخ حذر, بدأ المطر فى السقوط.

(12)
أخوات

كل هذا المطر..

فى بلادى، تمطر فى الشتاء، ليست لدى ذكريات عن أيام الشمس: فقط المطر والوحل والبرد، البلل الذى يلصق ملابسنا ومشاعرنا، وأيضاً ركن من النيران. فلا تبدو أنها حقيقة أبداً .كم من مرة فكرت منذ هذه الأمسية الممطرة، كم من ذكريات أكثر من أربعين عاماً، حدث حادث اليوم، تحت هذا المطر الضارى.

كل هذا المطر.

بالنسبة لأختى، أعطيناها اسما لحمار ولد ميتاً، كان يحمل آنذاك اسم خالة ميتة، هى ليزيت، كانت حلوة، رغم طفولتى، فإننى عرفت آنذاك. أكثر مما لم تعرف عينى أى نقطة محددة لشكل الجمال، ولكن فقط فى استشعار الأشياء فأنا لا أتكلم أبداً فى منزلى. هذا لم يقله أحد قط. لكن الجيران من حولى يثرثرون، وعندما كانت أختى تمشى تبدأ التعليقات حول جمالها، بالغة الجمال، شديدة الفقر.

يا له من مصير طيب شرير.. هكذا ينظرون إليها وهى فى طريقها إلى المدرسة، أما أنا، فقبيحة، وعاجزة الجسد والروح، أمسك بيد أختى، ليزيت وهى تمشى، عالية الرأس، ليست خفيفة العقل، إنها فى دربها حيث تحل المصائر المشئومة عليها الواحد تلو الآخر.

فى سن السادسة عشر، رحلت إلى المدينة لتعتنى بأطفال الأثرياء، لم نعد نراها طوال العام، تعود لقضاء عيد الميلاد فى دارنا، ومعها هدايا غريبة (خبز متبل، وشرائط ملونة حية، وكيس من اللافندر)، إنها منجم من الذهب، هل يمكن أن تجد وجها أكثر وردية وأكثر حركة، وأكثر إشراقاً من وجهها؟.. للمرة الأولى حكى لنا شخص حكاية، فتصلبت شفاهنا، شراهة المنبه الغامض التى تستفز فى داخلنا الكلمات الخارجة من فم هذه الفتاة الريفية التى أصبحت بالغة القوة، ومن يتكلم عن عالم مجهول، مزركش يلمع حيث تقود النساء السيارات، وتعدن فى المساء إلى

المنازل المليئة بالأجهزة التى تؤدى أعمالها مكان الرجال, وتنقل الأخبار للعالم عندما تتحرك قبضاته.

عندما أعاود التفكير فى هذا كله, فإننى أقيس الإملاق الذى نعيش فيه. نحن نسكن على مسافة خمسين كيلو مترا من المدينة, هناك مبنى ضخم من اثنتى عشر طابق. لكننا نسكن مثل زمن القصور الحصينة, دون ارتياح ولا أمل طالما أننا نفقد تقاربنا الموثوق فيجعلنا دائماً موكلين. أما اليوم, فتوجد فى هذه القرى المتخلفة حفنة من العواجيز الذين فاتهم القطار, ولا يعرفن شيئاً عن الحياة العصرية, لكن الأمر يتعلق بأسرة بأكملها, شابة وحيوية.. وعندما كانت ليزيت تصف شوارع المدينة المضاء فى عيد الميلاد, كانت تكشف أنه يوجد عالم غير قابل للشك.

ثم تسافر ليزيت مرة أخرى, وطوال بضعة أيام, مثل الميكانيكى المتحجر, نستكمل الحديث قليلاً, وطوال بضعة أمسيات, يبدأ أبى على المائدة التعليق على قصص ابنته, إنه قاسي, وغريب.. ثم يسود الصمت, وتتلاحم الصراخات من جديد فوقنا مثل طاعون لدى البؤساء.

عندما أفكر فى هذا.. كل هذا الشتاء, كل هؤلاء الموتى.. وأن ليزيت تحمل اسم اثنين من الموتى, اسم جدتى الكبرى التى ماتت قبل ميلادها بقليل, أما إخوتى فيحملون اسم أبناء الخال الذين ماتوا فى الحرب, الذين يحملون أيضاً أسماء أبناء الخالة الذين ماتوا فى الوباء والذين لم تعرفهم, وهكذا عشنا دون كلمة فى هذا العالم من الموتى, حيث عادت إليه ليزيت ذات مساء من شهر نوفمبر.

أتذكر كل هذا المطر.. صخب الماء المندفع فوق السقف, الدروب المنسابة, بحر من الوحل على أبواب المزرعة, السماء السوداء, الريح, والمشاعر البشعة بليل بلا نهاية.

من يقوم بوزننا طالما أننا نزن حياتنا: دون وعى, أو تمرد.. كنا ملتصقتين الواحدة بالأخرى على مقربة من المدفأة, عندما قامت أمى فجأة, وفقدت التوازن, نظرنا إليها وهى تتجه نحو الباب, يدفعها انسلاخ مظلم, وفتحت المصراع.

كل هذا المطر, أوه. كل هذا المطر.. فى إطار الباب, ساكنة, الشعر ملتصق بالوجه, الفستان مبلل, والحذاء التهمه الوحل, النظرة ثابتة, إنها ليزيت واقفة, كيف عرفت أمى؟ كيف أن المرأة, التى لم تتعامل قط معاملة سيئة لم تفهم قط أنها تحبنا, بلا

حركة أو كلمة، كيف أن هذه المرأة القوية التى دفعت أطفالها إلى العالم بنفس الطريقة التى عادت فيها إلى الأرض، وتتغذى بالفراخ، كيف أن هذه المرأة الأمية المخبولة إلى حد أنها لم تنادنا قط بالأسماء التى أعطتنا إياها، وأشك أنها تتذكرنا دائماً، عرفت أن ابنتها نصف الميتة، التى لا تتحرك ولا تتكلم، تقف عند الباب تحت الأمطار المتلاطمة، دون أن تفكر فى الطرق، تنتظر أن يفتح لها أحد الباب، وأن يدخلها إلى الدفء!

هل هذا هو الحب الأمومى، هذه المشاعر فى القلب، والدمار، هذه الشعلة من الحنو التى تستمر رغم أن الإنسان تضاءل فى الحياة كحيوان؟ هذا ما قالته لى لوسيان: "الأم التى تحب أطفالها تحس بهم دائماً عندما يكونون فى خطر"، بالنسبة لى، فأنا لم يغمض لى جفن على هذا التفسير. لم يكن لدىّ أى احساس نحو هذه الأم التى لم تكن واحدة منهن. المأساة هى المنجل: إنه يقطع فينا كل ما نعرفه عن قابلية الإتجار بالآخر وتتركنا فارغين، منقسمى المشاعر كى نستطيع أن ندوم وسط سواد الحاضر، لكننى لم يكن لدىّ قناعات جميلة، نقاط حب أمومة فى هذه المشاعر لأمى، إنها ترجمة لحركات يقين البؤس، إنها نوع من الوعى المجذور فى أعماق القلوب، والذى يؤكد أن فقراء صعاليك مثلنا. يحدث لهم ذات مساء ممطر أن فتاة أصابها العار ستعود ميتة إلى منزلها.

عاشت ليزيت أيضاً زمناً كى تضع طفلها، وجاء الوليد الجديد مثلما ننتظر منه: لقد مات خلال ساعات فى هذه المأساة التى بدت بالنسبة لأبوىّ مسيرة طبيعية للأشياء من هذا النوع التى لا تهتز أبداً – وليس أقل – وأنها أضاعت نحساً.

صارت لدىّ قناعتان: يعيش الأقوياء ويموت الضعفاء، فى المتعة والمعاناة المناسبة، فى أماكنهم المتسلسلة، كل شئ مثل ليزيت، كانت جميلة وفقيرة. كانت ذكية، وابنة بلد مكرسة إلى هذا النوع من العقاب وكم آملت أن آخذ أكثر من روحى فى احتقار طبقتى، أخيراً ولأننى لا أستطيع أن أوقف من أكون ولا من كنت. فقد بدا لى أن طريقى هو طريق الأسرار. كان يجب أن أسكت عما كنت عليه، وعلى العالم الآخر الذى لم أختلط به.

من صامتة، صرت إذن كياناً خفياً.

فجأة، تأكدت أننى جالسة فى مطبخى، فى باريس، فى هذا العالم الآخر الذى حفرت فيه وكرى الصغير غير المرئى، حيث راعيت ألا أختلط بالعالم، وأننى أبكى بدموع ساخنة بينما فتاة صغيرة، ذات نظرة حادة بشكل غير معقول، تمسك يدى وتداعب الجاحفل برقة – تأكدت أننى قلت كل شئ. وحكيت كل شئ عن ليزيت، وأمى، والمطر، والجمال المدنس، وفى آخر الحدث فإن يد القدر الحديدية التى تعطى للمولودين الموتى أمهات ميتات تريدن أن تلدن من جديد، بكيت بحرقة وسخونة. لفترة طويلة بدموع حقيقية منسابة، مشوشة، لكننى سعيدة تماماً من تحول النظرة الحزينة، والجامدة لبالوما التى بدت فى بئر ملتهبة، وأنا أجفف دموعى.

قلت وأنا أهدئ نفسى قليلا: "يا إلهى.. يا إلهى. هكذا أنا شديدة الغباء؟"

أجابتنى: "يا سيدة ميشيل، أنت تعرفين، أنك أعطيتنى الأمل".

قلت وأنا أزمجر بطريقة تثير الشفقة: "الأمل".

قالت: "نعم، يبدو أنه من الممكن أن نغير القدر".

وظللنا هنا دقائق طويلة متماسكى الأيدى، دون أن ننطق بكلمة. أصبحت صديقة، روح جميلة فى الثانية عشر، شعرت نحوها بمشاعر العظمة الجليلة. وفظاظة لهذا الارتباط غير المتعلق بالسن، بظروف وملابسات لا تبلغ أعماق مشاعرى، وعندما جاءت سولانج جوس إلى مسكنى لاستعادة ابنتها. تبادلنا نحن الاثنتين النظرات بكل علامات المحبة المتعذرة، وقلنا إلى اللقاء فى يقين بلقاء قريب، انغلق الباب، وجلست فوق مقعد التليفزيون، ويدى على صدرى ووجدت نفسى أقول بصوت عال جداً: "ربما هذه هى الحياة".

فكرة عميقة رقم 15

إذا أردت أن تعتنى بنفسك

اعتن

بالآخرين

وابتسم وابك .

فمن هذه السعادة تستمد ذاتك

هل تعرفون ماذا؟ أتساءل إذا كنت لم أفتقد شيئاً آخر. قليل مثل شخص ما لديه مخالطة سيئة, ويكتشف طريق آخر وهو يقابل شخصا ما طيبا. المخالطة السيئة لى. هى أمى, وكولومب, وأبى, وكل هذه الجماعة . لكننى اليوم قابلت شخصا ما طيباً, السيدة ميشيل حكت لى عن صدمتها: لقد هربت من كاكورو لأنها صدمت فى موت أختها ليزيت, التى تم إغواؤها ثم هجرتها مع ابنها, لا تصادق الأثرياء, حتى لا تموت معهم, منذ آليتها أن تبقى على قيد الحياة.

وأنا أسمع السيدة ميشيل, تساءلت: "ما هى الصدمة النفسية الكبرى؟ أخت تموت لأنه تم هجرانها والتوابع الدائمة لهذا الحدث: الخوف من الموت إذا لم تبق دوماً فى مكانك؟ موت الأخت, كان على السيدة ميشيل أن تتجاوز الأمر, لكن هل يمكن أن تتجاوز إخراج عقابها الخاص؟"

ثم, بشكل خاص, أحسست بشئ آخر, مشاعر جديدة, وأنا أكتبها, تأثرت كثيراً. من ناحية أخرى كان يجب أن أترك قلمى دقيقتين. إنه وقت البكاء, إذن هذا هو ما أحسه, وأنا أستمع إلى السيدة ميشيل, لا أراها تبكى, أحس إلى أى حد استراحت كي تبوح لى بكل هذا. فهمت شيئا ما. فهمت أننى كنت أعانى لأننى لا أستطيع أن أكسب شخصاً ممن هم حولى. لقد فهمت أننى أردت هذا من أبى وأمى, وخاصة كولومب لأننى غير قادرة أن أكون مفيدة بالنسبة لهم, لأننى لا أستطيع شيئاً بالنسبة لهم. إنهم بعيدون جداً فى المرض, وأنا بالغة الضعف. أرى جيداً ظاهرهم, لكننى غير

مؤهلة أن أعتنى بهم. وهذا يجعلنى مريضة مثلهم، لكنى لا أرى ذلك.

إذن، حين مددت يدى إلى السيدة ميشل، أحسست أننى مريضة أنا أيضاً. هل هو مؤكد، فى مثل هذه الحالة، لا أستطيع أن أعتنى بنفسى وأنا أعاقب الذين لا أقدر على شفائهم. يجب أن أعاود التفكير فى هذه القصة حول الحريق والانتحار. من ناحية أخرى يجب أن أبوح بها: أننى لم تكن لدى الرغبة قط أن أموت، أرغب فى رؤية السيدة ميشيل وكاكورو ويوكو، بالتأكيد، لن أستطيع أن أقول: من فضلك، انقذنى، أنا طفلة صغيرة منتحرة، ولكننى وددت أن أترك الآخرين يمارسون الطيبة علىّ. فبعد كل شئ، لست سوى طفلة صغيرة بائسة، ثم أنا بالغة الذكاء، وهذا لن يغير فى الأمر شيئاً، أليس كذلك. فتاة صغيرة بائسة، فى اللحظة السيئة، لديها الفرصة فى مقابلات سعيدة، هل أعطانى هذا بشكل روحانى الحق فى أن أترك الفرصة تضيع؟

سوف لا أعرف - بعد كل شئ - فهذه القصة مأساوية، هناك أشخاص لهم قيمتهم ! هل أرغب أن أقول لنفسى، لكن أخيراً، أى أحزان انتهت تحت المطر! لم أعد أعرف كيف أفكر. لحظة. اعتقدت أننى وجدت فكرتى. اعتقدت أننى فهمت أنه كى أعتنى بنفسى، يجب أن أعتنى بالآخرين، وأخيراً الآخرون المعتنى بهم هؤلاء الذين يمكنهم أن ينقذوا. بدلاً من الضجيج لا أستطيع إنقاذ الآخرين، إذن ماذا أفعل كى أكون طبيبة؟ أو كاتبة؟ أو شئ من هذا القبيل، أليس كذلك؟

ثم بالنسبة للسيدة ميشيل. كم من كولومب، كم من أحزان مثل تيبير؟

صص(13)

فى ممرات الجحيم

بعد رحيل بالوما, صرت مخروبة تماماً. ظللت جالسة فى مقعدى لأطول فترة ممكنة. ثم أمسكت شجاعتى بيدى, وأدرت أرقام كاكورو أوزو.

أجاب بول نجوين عند الرنة الثانية. وقال لى:

- آه. يوم سعيد يا سيدة ميشيل, هل يمكننى أن أفعل شيئاً من أجلك؟

قلت: "حسنا, أحب أن أتكلم إلى كاكورو".

قال لى: "هو غير موجود, هل تريدين أن أبلغه بشئ عندما يعود؟"

قلت: "وقد تخففت من قدرتى على العرض, بطريقة ما: لا, لا يمكنك أن تخبره إذا كان قد غير رأيه, سوف أكون سعيدة أن أتناول العشاء معه مساء الغد؟"

قال بول نجوين: "بكل سرور".

وضعت السماء أرضاً, وتركت نفسى من جديد أتهاوى فى مقعدى, وأتأمل طوال نصف ساعة فى أفكار مشتتة, لكنها ممتعة.

قال صوت ذكورى رقيق من وراء ظهرى: "لن يكون هذا جيداً فى منزلك, أخبرينى إذن هل قام شخص ما باصلاح هذا؟"

فتح الباب برقة شديدة لم أسمعها, إنه شاب وسيم أسمر, وله شعر مخلوط قليلاً, سترة شاب جديدة تماماً, وعينان واسعتان هادئتان.

سألت, دون أن أصدق ما أراه: "جان؟ جان آرتين؟"

قال وهو يوجه رأسه جانباً: "نعم, مثل الزمن القديم".

هذا كل ما تبقى لى من الأطلال, من روح شابة, تحترق فى جسده الشهوانى, جان آرتين منذ عهد قريب هو أقرب إلى السقوط، وقد بدا عليه أنه آثر أن يولد من جديد.

قلت وأنا أبتسم له ابتسامة عريضة: "أنت تملك شكلا لافتاً!"

وأعادها لى بكل رقة، قال: "صباح الخير يا سيدة ميشيل. يسعدنى أن أراك, "وهو يشير إلى شعره" هل هو جيد؟

قلت: "شكراً. لكن ما الذى أتى بك هنا؟ هل تريد فنجان شاى؟"

قال بحركة تردد: "آه.. لكن أنت.. بكل سرور".

أعددت الشاى بينما أخذ مكانه فوق مقعده وهو ينظر إلى ليو بعينين مندهشتين, تمتم دون أدنى خداع: "لقد صار كبيراً, هذا الكلب"

قلت: "نعم, إنه ليس رياضياً كبيراً".

سأل وهو يتأجج: "يبدو عصبياً, أليس هو الذى يبدو سيئاً, ياللمصادفة؟"

قلت: "لا, لا, إنها مشكلة السباكة".

قال: "هل يجب عليك أن تندهشى لأننى جئت هنا, خاصة أننا لا نتكلم كثيراً, هه. أنا لم أتحدث إليك منذ زمن, زمن أبى".

قلت بكل صفاء: "أنا سعيدة أن أراك, خاصة يبدو عليك أنك على ما يرام". قال: "نعم.. أنا عائد من مكان بعيد".

وتناولنا بالتتابع جرعتين من الشاى الحارق. قال:

لقد شفيت, أخيراً, أعتقد أننى شفيت, إذا شفيت تماماً يوما, لن أتناول المنشطات, قابلت فتاة طيبة, فتاة ساحرة, ويجب أن أقول ذلك (لمعت عيناه اللتان تحركتا بخفة, وهو ينظر إلى) وصرت نموذجاً مثالياً.

سألت: ماذا تعمل؟

أعمل فى محل للوازم السفن.

قطع غيار سفن؟

نعم, انها جيدة, أحس قليلاً أننى فى اجازة, هناك, يأتى الناس ويتكلمون عن سفنهم, والبحار, ثم يذهبون إلى البحار التى جاءوا منها. أحب هذا جيداً, ثم أنا سعيد أن أعمل, كما تعرفين.

ما هو عملك بالضبط؟

أنا تقريباً الرجل الذى يفعل كل شئ. أعمال المحل, ساع, لكن بمرور الزمن تعلمت جيداً, والآن ولعدة مرات, يمنحوننى الفرصة لأداء كل ما هو مهم: اصلاح الاشرعة, الأعمدة, عمل الامدادات والتموين.

هل انتم حساسون لشاعرية هذا المصطلح؟ نمون سفينة, ونعيد تموين المدينة, إلى من لم يفهم أن سحر اللغة ولد من مثل هذه الترجمة. أوجه النداء الآتى: "هل ترتابون فى الفصلات؟"

قال وهو ينظر لى برقة: "أنت أيضاً تبدين فى أحسن حال".

قلت: "نعم, حسناً, هناك بعض الأشياء غيرتنى".

قال: "أنت تعرفين, لم أعد لأرى الشقة, ولا الناس, هنا, لست متأكداً أنهم سيعرفوننى, من ناحية أخرى, لقد أخذت بطاقة هويتى, أنت لم تتعرفين على عدة مرات, لا (أكمل) لقد جئت, لأننى لم أستطع أن أتذكر شيئاً مما ساعد فى كثيراً. عندما كنت مريضاً, ثم بعد ذلك, أثناء مرحلة النقاهة"

- هل يمكننى أن أفيدك؟

- نعم، لأنك أخبرتنى اسم هذه الزهور، ذات يوم، فى هذه الحاشية، هناك (أشار بإصبعه إلى عمق الفناء) هناك زهور بيضاء صغيرة، وحمراء، أنت التى وضعتها، أليس كذلك؟ ذات يوم سألتك ماذا كانت، لكننى لم أكن قادراً على الاحتفاظ باسمها، ومع ذلك، فكرت طيلة الوقت فى هذه الزهور. لا أعرف لماذا. إنها جميلة للغاية عندما كنت أتألم، فكرت فى الزهور، وقد جعلنى هذا أفضل. لقد مررت قريباً من هنا، وللحظة، قلت لنفسى سوف أسأل السيد ميشيل إذا كان بإمكانها أن تخبرنى.

انتظر رد فعلى، وقد اعتلاه قليل من الارتباك

- ألا يبدو هذا غريبا بالنسبة لك؟ أتمنى ألا أكون أثرت خوفك، بمثل هذه القصص عن الزهور.

- لا، أبداً. لو كنت أعرف إلى أى حد ستسعدك.. لوضعتها فى كل مكان!

وضحك مثل طفل سعيد:

- آه، يا سيدة ميشيل، لكنك تعرفين، لقد أنقذ هذا حياتى تماماً، إنها معجزة! إذن يمكنك أن تقولى ما هذا؟

- نعم، ملاكى، أستطيع، فى ممرات الجحيم. تحت اللهاث، نفس متقطع، وقلب على طرف الشفاه. ضوء رقيق: "إنها زهور الكاميليا".

- نعم، انها الكاميليا.

نظر لى بتركيز، العينان جاحظتان. ثم انزلقت دمعة صغيرة بطول خد طفل هارب. قال، ضائعاً فى ذكريات تخصه وحده:

- كاميليا.. كاميليا.. نعم (وكرر وهو ينظر لىَ من جديد): إنها هى.. الكاميليا.

وأحسست بدمعة تنزلق على خدى أنا. مددت له يدى. قلت:

- جاك، أنت لا تستطيع أن تعرف إلى أى حد أنا سعيدة أنك جئت إلى هنا اليوم.

قال, وقد بدت عليه الدهشة:

- حسناً! لكن لماذا؟"

- لماذا؟

- لأن زهرة الكاميليا يمكنها أن تغير مصيراً.

(14)

من ممشى إلى ممر

ما هذه الحرب التى نعيشها, فى خضم فشلنا؟ صباح وراء صباح. متعبات من هذه المعارك التى تأتى, وتقودنا إلى ذعر الحياة اليومية, هذا الممر بلا نهاية حيث أننا فى الساعات الأخيرة نتمنى أن تتسع خطى مصيرنا طويلاً, نعم يا ملاكى, هذه هى الحياة اليومية.. سيئة, خاوية, وبالكاد غاطسة, ممرات الجحيم ليست غريبة عنها, نحن نتمنى اليوم أن نظل هناك طيلة الوقت, من ممشى إلى ممر, حيث يحدث السقوط. دون صدمة أو مفاجأة, كل يوم نعقد مع أحزان الممر, وليس بعد ذلك, تنفيذ طريق لعنتنا المرن.

هل تعيش المماشى؟ كيف تولد بعد الهمس. أى يتامى جدد فوق العيون المتكلسة؟ أين تبدأ الحرب, وأين تتوقف المعركة؟ إذن, هى زهرة الكاميليا.

(15)

فوق الكتف ونحن نسبح

فى الساعة الثامنة, جاء بول نجوين إلى مسكنى, وهو يحمل باقة على ذراعيه. قال بابتسامة جميلة:

- السيد أوزو لم يعد بعد – هناك مشكلة فى السفارة بشأن الفيزا – إذن رجانى أن أسلم لك هذه.

وضع الباقة فوق المائدة, ومد لى بطاقة صغيرة.

قلت: "شكراً, ألا تتناول شيئاً؟"

قال: "شكراً, لدى ما أعمله, سأحتفظ بدعوتك لفرصة أخرى".

وابتسم لى مجدداً بشئ من الحميمية والسعادة التى أبهجتنى دون تحفظ جالسة وحدى فى مطبخى أمام الباقة, بعد أن فتحت المظروف.

فجأة, سيحط فوق كتفيها وهى تسبح.

مشاعر رائعة من الطزاجة التى لا تفسر

ليست حسنا أولاً, لكن أثناء التوقف, لمح

أن قطعة جليد ضخمة داكنة, تهبط من السماء.

تتكسر لتوها..

من فضلك. تقبلى هذه الهدايا بكل بساطة

كاكورو

مطر الصيف فوق كتفى ليفين الذى.... وضعت يدى على صدرى، مأخوذة كما لم يحدث من قبل، فككت الباقة قطعة قطعة.. إنه فستان رمادى من الحرير واللؤلؤ، مع ياقة صغيرة جامدة، مغلفة بإطار من جلد السيور من الساتان الأسود. قطعة من القماش القرمزى. خفيفة، كثيفة كالريح. خف صغير، من جلد أسود بارز رقيق، وناعم، أحسست بملمسه على خدى. نظرت إلى الفستان: القماش والخف.

فى الخارج، سمعت ليو يخربش الباب، محاولاً أن يدخل. بدأت فى البكاء برقة، وبطء وعلى صدرى كاميليا تتأوه.

(16)

يجب أن ينتهى شئ ما

فى الساعة العاشرة من اليوم التالى, طرق على مسكنى.

إنه شخص نحيف يرتدى بدلة سوداء, وقبعة من الصوف الأزرق البحري فوق رأسه, وأزرار بحرية معروفة فى فيتنام, إنه صديق كولومب الصغير, هو خبير عالمى فى صياغة الأدب, اسمه تيبير.

قال تيبير: "أبحث عن كولومب".

لاحظ من فضلك, سخف هذه العبارة: "أبحث عن جولييت" كما قال روميو, ورغم ذلك هو أكثر تأنقاً.

تكلم تيبير إذن وهو لا يخشى سوى حمام الشامبو الذى عمله عندما تحلل من أحسن أعماله ليس لأنه لطيف, ولكنه لأنه بالغ الحمية: "أبحث عن كولومب". نحن فى شهر مايو, ياللشيطان. أضاف: "قالت لى بالوما إنها هنا". ثم أضاف من جديد: "اللعنة".

ها هي بالوما تمزح بشكل جيد.

مقدمة بسرعة وأنا أغوص فى أفكار غريبة.

تيبير.. اسم لامع محتمل القبول.. تذكرت قطعة النثر التى كتبتها كولومب جوس. الممرات الصامتة لسلشوار.. وروحى التى جاءت من روما.. تيبير.. ذكريات وجه جان آرتين عاملتنى كمحروم, رأيت وجه أبيها ورابطة العنق, روح سخيفة.. كل هذه المهام, كل هذه العوالم.. هل يمكننا أن تكون متشابهين, وأن نعيش فى أكوان متباعدة؟ هل يمكن أن نقتسم نفس الرعشات التى ليست لها نفس الأرض ولا نفس الدمار, أو نفس الطموح؟ تيبير.. أحس بالملل, حقا, ملل من كل الأثرياء, ملل من كل الفقراء, ملل من هذه المسرحية الهزلية.. قفز ليو من المقعد وجاء ليجلس فوق

وركى. هذا القط البدين الإحساس، صاحب روح كريمة يحس بالتموج أكثر منى.
ملل، نعم، ملل.. يجب أن ينتهى شئ ما. ويجب أن يبدأ شئ ما.

(17)
معاناة جاهزة

فى الساعة الثامنة, كنت مستعدة.

الفستان والحذاء على مقاسى تماماً (42, 37).

والمقصبة رومانية "6 سم عرضا, 2 م طولا".

جففت شعرى ثلاث مرات بالمجفف ماركة بابليس قوة 1600 وات, ومشطت شعرى مرتين. والنتيجة رائعة. جلست أربع مرات, وقمت أربع مرات أيضاً, مما يفسر أننى, حاضرة, قمت وأنا لا أعرف بماذا أحس.

وجلست, ربما أخرجت من علبة جواهره خلف المفارش فى أعماق الدولاب ضفيرتين مورثتين عن حماتى المتوحشة إيفيت، وحلقين قديمين من الفضة, مع 2 حجر كريم بشكل الكمثرى, قمت بست محاولات قبل أن أثقب أذنى تماماً. يجب أن أعيش الآن, لدى قرطان مكرشان معلقان فى عرقوبى, 54 سنة بدون جواهر لا تمثل أى معاناة جاهزة. لقد تكلست شفتاى من أول نوم.. أحمر شفاة "جارمين عميق" اشتريته قبل عشرين عاما لحفل زواج إحدى بنات خالتى, استطالة هذه الأشياء الحمقاء, لدينا حيوات قيمة تتمثل كل يوم, لا تحاول أبداً الاختلاط بى, أنا جزء من 8% من نسبة سكان العالم الذين يتبنى أفكارهم فى عالم السياحة.

طرق كاكورو أوزو بابى مرتين.. فتحت. إنه وسيم للغاية, يرتدى بدلة تتكون من سترة ذات ياقة ضابط رمادية بها زخارف واضحة, وبنطال مستقيم مناسب. وهذا حذاء من الجلد المرن. الذى يشبه خفاً من الطراز الممتاز. إنه آسيوى أوروبى تماماً. قال لى: "أوه.. كم أنت رائعة!"

قلت ممتنة: "آه, شكراً. لكنك بالغ الوسامة أيضاً, عيد ميلاد سعيداً!"

ابتسم لى, وبعد أن أعدت إغلاق الباب بعناية خلفى, وأمام ليو الذى حاول أن

يسبقنى، مد لى ذراعاً وضعت عليها يدى بخفة مرتجفة. رغم أن لا أحداً يرانا، أفكر فى داخلى لحظة أن أقاوم، إنها رينيه الخفية، ألقيت بخوفى إلى المجهول. لست مستعدة أن أغذى محلات شارع جرنيل.

هكذا، ستكون مفاجأة؟ انفتح باب الدخول الذى اتجهنا إليه قبل أن نبلغه

إنها جاسينت روزن وآن هيلين موريس.

يا أيها الكلب! ماذا أفعل. نحن أمامهما إذن.

قال كاكورو وهو يسحبنى بقوة جهة اليسار وهو يتجاوزهما فى تعجل:

- مساء الخير، مساء الخير. مساء الخير يا عزيزتي. لقد تأخرنا، نحييكما وننقذ نفسينا!

تعلقت أعينهما، وهما تستديران بحركة تتبعنا: "آه.. مساء الخير يا سيد أوزو". قالتا لى وهما تبتسمان كاشفتين عن أسنانهما: "مساء الخير يا سيدتى".

لم أر قط مثل هذه الأسنان مرة واحدة.

رمقتنى آن هيلين موريس وهى تنظر إلى وكنا قد اجتزنا النهار: "كل السعادة يا سيدتى العزيزة".

تمتم كاكورو وهو يطلق مضرب الباب: "بالتأكيد، بالتأكيد".

قال: "مأساة، أن يتم توقيفنا، أمامنا ساعة واحدة".

قلت: "لم تتعرفا على".

توقفت وسط المكان، وقد تغيرت تماماً. كررت: "لم تتعرفا على".

توقف بدوره، يدى لا تزال بين ذراعه. قال لى: "لأنهما لم يريانك قط، لقد تعرفت عليك فى أى ظروف".

(18)

المياه المتحركة

يكفى أن تكون لديك تجربة واحدة كى تكون أعمى وسط الضوء, وأن ترى اللون الأسود كى تطرح سؤالا عن الرؤية, لماذا نرى؟ ونحن نصعد فى سيارة أجرة أوصى بها كاكورو وأنا أفكر فى جاسينت روزن وآن هيلين موريس اللتين لم تريا فى سوى ما أرادتا رؤيته (فى ذراع السيد أوزو, فى عالم من التدرج), الذى بدت نظرته مثل يد تبحث عن قطع المياه الجارية, تضربنى بقوة غير مسموعة, نعم العين تلحظ, لكنها لا تفحص, تعتقد لكنها لا تسأل, تستقبل لكنها لا تبحث, تفرغ الرغبة, بلا جوع ولا تقاطع.

وبينما تنزلق السيارة فى الغروب الوليد, رحت أفكر:

فكرت فى جان آرتين, فى الحدقة المحترقة المشرقة للكاميليا.

فكرت فى بيير آرتين, ذى العين الفولاذية, والعمياء للشحاذ.

فكرت فى هؤلاء النسوة الشرهات, ذوات الأعين اللحوحة العمياء تماماً.

فكرت فى جيجين, المدارات الميتة بلا قوى, وهى لا ترى سوى سقطتها.

أفكر فى لوسيان القاسى الرؤية بسبب الظلام, أحياناً, ويؤخذ فى الحسبان أنه بالغ القوة.

أفكر فى نبتون الذى عيناه الممكنة لا تعرفان كيف تكذبان.

وسألت إذا كنت قد رأيت نفسى.

(19)

إنها تلمع

هل رأيت فيلم "المطر الأسود"؟.. إذا لم تكن قد شاهدت "المطر الأسود", أو فيلم "الشفرة المتزحلقة" من الصعب عليك أن تفهم لماذا؟ عندما دخلنا المحل, أحسست أننى أدخل فى فيلم من اخراج ريدلى سكوت. هناك هذا المشهد من "الشفرة المتزحلقة" فى بار النساء الثعبانات الذى فيه دكرك يسمى راشيل من فيديو على الحائط, هناك أيضاً بار فتيات الليل فى "المطر الأسود", ذوات الشعر الأشقر والظهر العارى للممثلة كات كابشو, ولا توجد سوى خيوط الضوء الزجاجى والواضح للكاتدرائية اللامعة فى ظلال الجحيم.

قلت إلى كاكورو، وأنا أجلس: "أحب الضوء كثيراً".

قادونا إلى صندوق صغير هادئ, يسبح فى ضوء شمسى نابع من الظلال اللامعة, كيف يمكن لظل أن يلمع هكذا؟ إنه يلمع, فى كل مكان.

سألنى كاكورو: "هل شاهدتِ المطر الأسود"؟

لم أصدق أنه يمكن أن يتوحد كائنان فى مثل هذه المصادفة من الذوق, والتوجه الفيزيقى. قلت: "نعم, اثنتي عشرة مرة على الأقل".

كان الجو لامعاً متلألئاً, متآصلاً, مزخرفاً, براقاً, رائعاً.

قال كاكورو، وهو يلوح فوطته بحركة حماسية: "سوف نصنع من السوشى "عريدة". ألا تريدينها؟ لقد أوصيت بها, كشفت لك ما أعتبره أفضل ما فى المطبخ اليابانى بباريس"

قلت وأنا أدعك عينى لأن الخدم وضعوا أمامنا زجاجات الساكى, فى عدد لا يحصى من الأكواب الثمينة. مجموعة من الخضروات الصغيرة التى تبدو كأنها كائنات بحرية فى ما لا أعرف ما يجب أن يكون قوياً: "أبداً".

وبدأنا.. بدأت بخيار البحر, الذى ليس فيه من الخيار ولا من البحر سوى الظهر, إنه حريف على اللسان, شئ لذيذ, رفع كاكورو برقة عصاتيه الخشبيتين المتباعدتين.. ومن اليوسفى، والطماطم، والمانجو, وأخفاها بمهارة. بسرعة فى نفس الأكواب. إنه الجزء المسكر لآلهة تذوق الطعام.

قلت وأنا أرفع كأس الساكى: "إذن, عيد ميلاد سعيد!"

قال متبادلاً النخب معى: "شكراً, شكراً جزيلاً!"

سألت وأنا أخرج لتوى قطعة صغيرة من الزوائد المغموسة بالسوس الأصفر الزعفرانى: "هل هو أخطبوط؟"

جاءوا بطبقين صغيرين من الخشب السميك, دون أطراف, وعليها قطع من السمك النئ. قال كاكورو: "ساشيميس. هو أيضاً, سوف تجدين به أخطبوطاً".

رحت أتأمل المكان, حيث الجمال البصرى يقطع الأنفاس, لففت قطعة صغيرة من اللحم الأبيض والرمادى بين عصيتى المرتبكتين (من شبكة مربعة أخبرنى مضطراً كاكورو) وجربت المتعة, وأنا أتذوق.

هيا نبحث عن الخلود فى أثير الجوهر الخفى؟ هذه القطعة الصغيرة البيضاء هى إناء مصنوع بمهارة. قال لى كاكورو:

- رينيه, أنا بالغ السعادة للاحتفال بعيد ميلادى فى صحبتك. لكن أنا أيضاً لدى دافع بالغ القواء للعشاء معك.

رغم أننا لم نتعارف سوى منذ أسابيع قليلة, بدأت فى تمييز دوافع كاكورو. هل هى فرنسا أم إنجلترا؟ فيرمر أو كارافاج؟ "الحرب والسلام" أم "عزيزتى آنا كارنينا"؟

تناولت قطعة ساشيمس.. تونة جديدة؟ بقامة محترمة أعلنت قليلا من التقسيم.

- دعوتك للاحتفال بعيد ميلادى, لكن فى هذه الأثناء, أعطانى شخص ما معلومات بالغة الأهمية، وكان لدى شئ ما أساسيا كى أقوله لك.

كانت قطعة التونة قد استغرقت كل انتباهى ولم تؤهلنى إلى ما سوف يتبعها. قال كاكورو وهو ينظر إلى عينى: "أنت لست أختك".

(20)
عشيرة مياه غازية

سيداتى.. سيداتى، ماذا تعنى سهرة عشاء مع رجل ثرى، وسيد رقيق فى مطعم فخم، يحرك كل شئ بنفس الأناقة. إنه يدهشك، ويزعجك، ويهمس لك، يلزمك أن تحفظ نفس الجاذبية والانفعال، وبكلمات رائعة، يتصرف بكل تميز، ولأننى مبنى حجرى أغوص فى ساشيمس مثلما تفعله من البطاطس، هززت رأسى بتشنج، وأنا أحس بفظاعة طبق الخلود يتكوم فى رقبتى. أحاول، مثلما تفعل غوريلا، البصق على الموائد الأكثر قربا، الصمت يمتد، وبعد العديد من التجشوءات، وفى آخر حالة من الهياج، بلغت حداً من الإحساس بالذنب، وأنا أغطى وجهى بفوطتى، وأنا أتعامل معها بحدة.

قال كاكورو الذى بدا عليه أنه يتسلى: "هل يجب أن أكرر؟"

سعلت: "أنا.. كوف. كوف"..

الكوف كوف هى الإجابة التقليدية للصلوات الأخوية فى عشيرة المياه الغازية "الجازوز". أكملت بشكل لامع: "أنا.. أخيراً.. كوف.. كوف"..

وبطبقة بلغت القمة: "كوا.."

قال بنوع من الصبر المتناهي الذى تمارسه مع الأطفال، أو.. مع الأرواح البسيطة:

- قلت لك فى ثانية بكل وضوح، رينيه، أنت لست أختك.

ظللت مكانى، غبية، أنظر إليه. قال بشكل عابر، وهو يتساءل عن المعدة:

- أكرره عليك لآخر مرة، آملاً هذه المرة ألا تختفي مع السوشى الذى تبلغ القطعة منه ثلاثين يورو، أنت أخت لست أختك، يمكننا أن نصبح صديقين، وأيضاً كل ما نريده.

(21)

كل أكواب الشاى هذه

توم توم توم توم توم توم توم

انظر, إذا كان معك طلقة. ومناسبة واحدة

لتقيس كل شئ وطلبته دوماً

لحظة واحدة

هل تريد أن يؤسرها, أو أتركها تنام

هذا, إنها أغنية إمينيم. أعترف أنه وفى عنوان نبى الصفوة المعاصرة, بلغنى أن أسمع عندما لا يكون ممكنا أن نجهل أن ديدون قد راهن.

لكن بشكل خاص, هناك شوشرة كبيرة.

برهان؟

ها هو

تذكرنى, تذكرنى

لقد آنس بدانتى

القطعة بثلاثين يورو

هل تريد أن يؤسرها

أو أتركها تنام

مر هذا فى رأسى، والتعليق هو الطريق الغريب الذى يبدو فيها، وهو ينطبع فى روحى ويأخذنى دوماً (دون أن تستفز بعض الكونفوشسيين. صديق كبير للبوابات ذوات المثانات). ثم رحت أبكى.

فى مشرب الأصدقاء باتو، ضيفة تفتقد أن تخنق نفسها، وهى تهرب من العدالة، ثم ينهار باكياً، الحلوى فى فوطتها، متضمنة إنذارا من الأسعار، لكن هنا، فى هذا المعبد الشمسى ذى الساشومى المباع بالقطعة. كيلى لديه تأثير معاكس. يم من الإنكارات الصامتة يغمرنى، وهاأنذا أبكى. الأنف يسيل، مجبرة أن تسرى دموعى فى فوطة. أنزعج لتجفيف سديد النظر مشاعرى تحاول أن تضع له قناعا، والفكرة العامة تثبت.

وأنتجت أكثر.

لقد خانتنى بالوما.

إذن، مشدودة بهذا النحيب، منسابة فى صدرى، كل هذه الحياة مرت فى مقاومة روح وحيدة. كل هذه النصوص الأدبية الطويلة. وكل هذه الشتاءات من المرض. كل هذا المطر فى نوفمبر على وجه ليزيت الجميل، كل هذه الكاميليا العائدة من الجحيم، الفاشلة فوق عشب المعبد، كل هذه الفناجين من الشاى فى حرارة الصداقة، كل هذه الكلمات الرائعة فى فم آنسة، هذه الطبيعة الميتة بالغة البشاعة، هذه الجواهر الخالدة تنير انعكاساتها المتفردة، وأيضاً هذه الأمطار الصيفية المنسابة فى مفاجأة المتعة، ندفات ترقص على أغنية القلب. وفى جوهر اليابان القديمة. الوجه النقى لبالوما.

أبكى، أبكى بلا توقف، بحرارة، وبدموع كثيفة جميلة من السعادة، بينما من حولنا، فإن العالم يموج وقد عكس المشاعر فى نظرة هذا الرجل وهو فى صحبة شخص ما أحس به.

يمسك يدى برقة، ويبتسم لى بكل حرارة العالم.

قلت وأنا أهمس وسط أنفاسى: "شكرا".

قال: "يمكننا أن نكون صديقين, أو ما نود أن نكون".

تذكرني, تذكرني

وآه, أرغب بدانتي

(22)

عشب البرية

يجب أن نعيش قبل أن نموت, أعرف هذا الآن, ها هو, أريد أن أخبركم به, ما يجب أن يعيش قبل أن يموت, هو المطر الضارى الذى يتحول إلى نور .

لم أنم طيلة الليل, رغم كل تدفق المشاعر المليئة بالعرفان, والعشاء الذى كان رائعاً, ممتنة متوحدة مع الصمت الطويل الرقيق. عندما اصطحبنى كاكورو إلى بابى, وقبل يدى طويلاً ثم افترقنا, دون كلمة , مع ابتسامة كهربية بسيطة.

لم أنم طيلة الليل.

هل تعرفون لماذا؟

اتفقنا, أنتم تعرفون.

اتفقنا, كل العالم يشك, أنه يعرف الباقى, بمعنى هزة أرضية قلبت فى ماء وجودنا, فجأة أزالت شيئا متحجرا, على مسافة فى رأسى الصغيرة لفتاة طائشة فى الخمسين وأن هذا شئ ما ينطق: وأيضاً كل ما نريد.

فى الساعة السابعة استيقظت كأننى انسلخت فى منتجع حاملة قطى البلدى نحو طرف السرير. كنت جائعة, جائعة بالحس الصادق (شريحة عملاقة من الخبز المدهون بالزبدة ومربى الجانرك التى لم تنجح فى إثارة شهيتى) أحس بالجوع لأكل التين: أنا غير صبورة بشكل هيستيرى, وأعرف الباقى. استدرت كأن وحشاً داخل قفص فى مطبخى. شراسة قط لم يعرنى أى انتباه. أجرب مرة ثانية الخبز والزبد والمربى, يمشى القط بطول واتساع المكان الذى يجعلنى كأننى يجب أن أزور المخابز. ثم فجأة, فى الساعة الثامنة, هدأت. دون صراخ ملحوظ, وطرق مباغت, انتابتنى مشاعر من الصفاء, ماذا حدث؟

تبديل, لا أرى أبداً أى تفسيرات أخرى, وأنا أتحدث بالحكمة.

تركت نفسى أجلس فوق مقعد, واستعادت الحياة مسيرتها.

فى خضم ما يحدث, أتذكر أننى دائماً بوابة, وفى الساعة التاسعة يجب أن أكون فى شارع باك كى أشترى منظفا للنحاس (فى التاسعة) هو تعبير ساحر: لنقل تناولت سلتى وحقيبتى وذهبت إلى العالم الواسع الذى يلمع بالزينات حيث بيوت الأثرياء فى الخارج. يلزمنى يوم رائع من الربيع.. من بعيد لاحظت جيجن كم أنا سعيدة بالنسبة له, وأنها أيام جميلة, كما أعلنت.

أفكر باختصار فى الارتباط بالأب الكبير المتعجرف المتشرد, مما يجعلنى أبتسم. فما هو سعيد, يبدو كفاح الطبقات ثانويا تماماً, قلت هذا لنفسى, مبغوتة فى تفكير لوعىَ المتمرد.

ثم. فجأة, ترنح جيجين. أحس أننى لم أتجاوز الخامسة عشر, دعكت رموشى القلقة, أترنح بكل قوة, مثل فوق سفينة فريسة الإدراك, أستطيع أن أرى وجهه ومظهره التائه.. "ماذا يحدث؟".. تساءلت بصوت عال وأنا أضغط الخطوة فوق المأساة.

من الطبيعى فى هذه الساعة ألا يكون جيجين مخموراً, وأكثر, لقد أمسك بزجاجة الكحول مثلما تمسك بقرة بعشب البرارى, كولومب المأساة. الشارع كان خاوياً تماماً. أنا الوحيدة التى لاحظت مأساة تترنح يجب أن تخطو بضع خطوات

فى وسط الشارع, توقف, ثم وعلى مسافة مترين, وكأن شيئاً وخزه, انطلق بسرعة مضاعفة, كأن شيطاناً يطارده.

وهذه هى التكملة. هذه التكملة, مثل كل تكملة, يجب أن أتحدث أبدأ عنها.

(23)

زهورى الكاميليا

أنا أموت.. أعرف من ثقتى القريبة فى التنجيم, أننى فى حالة موات وأننى سوف أبلغ شارع باك ذات صباح جميل فى الربيع, لأن متشرداً يدعى جيجين راح يرقص فى شارع سان جاى, وهو يهذى فوق طريق خاو دون أن يهتم بأمره أحد من البشر أو السماء. حقاً, ليس الطريق خاوياً. الدور الأرضى.؟

هرولت وراء جيجن وأنا أترك الحقيبة والسلة, ثم رحت ألطم.

الأمر لا يعدو أن يكون سقوطاً. بعد لحظة من الدهشة والغموض الشاملة, وقبل أن يفترسنى الألم, وأن أرى ما يؤلمنى, استرخيت لحظة فوق ظهرى, وأنا أرى نفسى بقوة فوق لوح شاحنة الكواء الصغيرة. حاولت أن تتجنبنى وأن تنحرف نحو اليسار, لكن ما لبثت أن ضربتنى نحو اليمين بقوة, بعد فوات الأوان "كواء مالفوان" أشار إلى اللوجو الأزرق فوق خلفية بيضاء, لو استطعت الحركة لضحكت. طرق الرب واضحة للغاية وهى تحدد مسارها.. أفكر فى مانويلا, التى لم تتخيل حتى أيامنا الأخيرة فى أن الموت كواء, وأنه ليس سوى عقاب مزدوج, لخطايانا الكبرى, صرت مذنبة.. استبد بى الألم, ألم الجسد, مشعاً, متدفقاً, يلف بى بقوة ليس لها مثيل. تتسرب فى كل مكان حيث أستطيع أن أحس بشئ ما, ثم ألم الروح, فيما بعد, لأننى فكرت فى مانويلا, وأننى سوف أتركها وحدها, ولن أراها بعد ذلك, ولأن هذا يصنع فى القلب جرحاً غائراً.

يقال إنه فى لحظة الموت نرى كل حياتنا, لكن أمام عينى الواسعتين المفتوحتين اللتين لا تميزا أبعد من الشاحنة الصغيرة, ولا سائقتها الشابة التى تعمل بالكى بالبخار التى قدمت لى الفستان الكتانى الأسمر, أنها تبكى الآن, وتنعى حظها السيئ, ليس المارة الذين يهرولون بعد الصدمة, ويتكلمون إلىَ كثيراً دون أن أفهم أى معنى – أمام عينىَ الكبيرتين المفتوحتين اللتين لا تريان أكثر من هذا العالم بوجوه متأثرة, ولكل واحد منهم. تكونت لدى فكرة مشتتة.

وأنا أتصفح الوجه أولا, هناك خرطوم, نعم, راح ذهنى أولاً إلى قطى ليس لأنه

الأكثر أهمية من الكل، لكن لأنه سيقابل المتاعب الحقيقية والوداعات الحقيقية، فأنا فى حاجة أن أتأكد من مصير رفيقى ذى المخالب. ابتسمت فى نفسى، وأنا أفكر فى القط البدين الضخم، الذى ظل يصحبنى طوال السنوات العشر الأخيرة من الترمل والوحدة، وحتى الموت؛ فأنا قريبة من حيوانات الصحبة التى تشاركنا فى تصغير مسار الحياة اليومية، فلولاهم تصبح الحياة كارثة. عشر سنوات من الحياة تبلورت فى ليو، وأنا أقيس كم أن هذا القطط السخيفة والبدينة التى تعبر وجودنا بكل هدوء، واختلاف عن الأغبياء هى مواقف اللحظات الطيبة والسعيدة لتراكم السعادة، وأيضاً تحت قبة الالم، وداعاً ليو، قلت لنفسى وأنا أقول وداعاً لحياة لا أعتقد أننى أمسكها إلى هذا الحد.

ثم رحت أضع كلبى فى الحسبان وهو بين يدى أوليمب سان – نيس، مع التخفف العميق المولود من الثقة التى مثلها بالنسبة لى.

الآن، أستطيع أن أواجه الآخرين.

مانويلا صديقتى.

عند أعتاب الموت، أرفع الكلفة عنك أخيراً.

هل تذكرين أكواب الشاى فى حرير المحبة؟ عشر سنوات من الشاى، والمعايشة على طرف الحساب، حرارة فى صدرى، وهذا الجميل المستعاد نحو لا أعرف من ولا ماذا. الحياة، ربما، من النعمة أن أكون صديقتك. هل تعرفين أنها قريبة منك وأن لدىَّ أجمل الأفكار؟ هل يجب أن أموت كى أبلغ الوعى.. كل هذه الساعات من الشاى، وهذه الشواطئ الكبيرة من المتعة، هذه السيدة العادية الضخمة. بدون مظاهر ولا قصور، وبدونها فإن مانويلا لن تكون بوابة، بينما أنها العدوى لأن أرستقراطية القلب هى مشاعر معدية، لقد جعلت منى امرأة قادرة على المحبة.. هل سوف أستطيع، بكل سهولة، أن أحول عطشى الفقير إلى متعة الفن وأن أحتفظ بالخزف الأزرق، من الأبواق عالية الصوت، الكاميليا الطحلبية، وكل هذا الخلود السعيد عبر القرون، وكل هذه الجواهر الغالية فى حركة النهر الدائمة، إذا لم يكن أمامك سوى أسبوع بعد آخر، فاقضيه معى، وأنت تقدمين لى قلبك، أثناء الشعائر المقدسة لتناول الشاى؟

كم أفتقد ذلك.. فى كل صباح، أفهم أن الموت يعنى ساعة الاختفاء، إنهم الآخرون

الذين يموتون بالنسبة لنا لأننى هناك, نائمة فوق البلاط البارد قليلا, أسخر من نفسى فى الموت, هذا ليس أكثر من شعور أمسية من الأمسيات, لن أرى أكثر ممن أحب. وأن أموت هو المأساة كما تقول.

مانويلا, أختى التى لا يريد القدر أن أكون بالنسبة لك ما فعلته بالنسبة لى: حارس مجنون من المأساة ضد الابتذال, استمرار وحياة, وأنا أفكر فى نفسى فى بهجة. لكن, فى قلبى, ألا أراك قط هو متاعب النهاية.

وها هو, لوسيان, فوق صورة مصغرة, فى أيقونة أمام عينى ذكرياتى, أنت تبتسم, أنت تصفر, هل تحس أيضاً أنه موتى وليس موتك. عندما يموت من يعيشون معاً منذ زمن طويلا جداً؟.. جربت اليوم مشاعر جادة, هى أن أخونك, وأموت, لا يكفى أن أبرهن أننا نحس أن الآخرين يبتعدون, يجب أن نجلب إلى الموت هؤلاء الذين لن يعيشوا أطول منا. ومع ذلك أنت تبتسم, أنت تصفر. وفجأة أنا أبتسم, يا لوسيان.. لقد أحببتك, اذهب, ولهذا ربما, أستحق الراحة, سوف تنام فى سلام فى مقبرة صغيرة فى بلادنا, بعيدا. لن نلمس النهر معاً. سوف نصطاد فيه السردين وأيضاً النجوم, سيأتى أطفال كى يلعبوا هنا, وهم يصرخون رأسا برأس, وفى المساء, عندما تغرب الشمس, نسمع صلاة التبشير.

وأنت كاكورو.. عزيزى كاكورو الذى جعلنى أؤمن بإمكانيات زهرة كاميليا.. ليس هذا سوى هروب أننى أفكر فيك اليوم, بضعة أسابيع لا تكفى كأننى لم أعرفك أبداً, ولم كل ما تفعله بالنسبة لى. سماوى طيب, مغارة معجزة, ضد يقين القدر. هل يمكن أن يكون شيئاً آخر؟ من يعرف.. لا أستطيع أن أمنع القلب أن يكون مزموماً من هذا الشك. وماذا؟ لقد جعلتنى أضحك وأتكلم وأبكى, وأن أغسل كل هذه السنوات من قذارة الخطأ, وأن أستعيد أختى ليزيت. فى مساهمة حب غير متوقع, سعادتها المفقودة.. يا لها من شفقة لن تراها بعد ذلك.. يلزمنى أن أتخلى عن محاولة التعرف الدائم على إجابة من هذا النوع.

هل هذا هو الموت؟ هل هى المأساة, وكم من الوقت إذن؟

عناق, إذا لم أكن أعرف دوماً.

بالوما يا ابنتى, إننى أتجه نحوك, أنت الأخيرة.

بالوما، يا ابنتى. ليس عندى أطفال، لأن هذا لم يحدث، هل أعانى؟ لا، لكن إذا كانت عندى ابنة؛ فستكون أنت، وبكل قوتى سوف أطلق رجاءً من أجل حياتى بأكثر مما تسمحين به.

ثم، ها هو التنوير. تنوير حقيقى، أرينى وجهك الجميل المهيب النقى، وعينيك ذاتي الحواف الوردية، وهذه الطريقة التى نتعامل بها من أسفل صديريتك، النظر يمينا فى العينين، ومداعبة القط الذى يكاد أن يتكلم. وأنا أبدأ فى البكاء، البكاء من الفرحة الداخلية فى أعماقى، ماذا يرى المتسكعون المعلقون فوق جسدى المحطم؟ لا أعرف. لكن فى داخلى توجد الشمس.

كيف يقررون إذن قيمة الحياة؟ قالت لى بالوما يوماً: "ماذا يهم. ليس هو الموت". لكن ماذا نفعل فى هذه اللحظة التى نموت فيها، ماذا نفعل فى لحظة الموت؟ لا أسأل بإجابة جاهرة فى حرارة كلمتى.. ماذا فعلت؟.. قابلت الآخر ومستعدة للحب.

بعد أربعة وخمسين عاما من الخواء العاطفى والروحى، مطلية لتوى بحنان لوسيان الذى لم يكن قط بالنسبة لى سوى الظل المستسلم، بعد أربعة وخمسين عاما من السرية، والانتصار الصامت فى الداخل المسكون بروح وحيدة. بعد أربعة وخمسين عاماً من كراهية العالم، وفريق الصحبة، هأنذا أهرب من إحباطاتى التافهة، بعد هذه السنوات الأربعة والخمسين من لا شئ، لم ألتق بشخص ولم تكن لى علاقة قط مع الآخر.

دائماً مانويلا

وأيضاً كاكورو

وبالوما، أختى الروحية

وزهور الكاميليا

سوف أتناول معكم كوب الشاى الأخير

إذن, كلب ذهبى, آذان, وألسنة معلقة, تعبر حقل رؤياى, إنه أمر غبى.. لكن هذا يعطينى الرغبة فى الضحك. الوداع يا نيبتون, أنت كلب أبله لكن يجب أن تؤمن أن الموت يجعلنا نفقد القليل من الإيقاع. ربما أننى أفكر فيك فى اللحظة الأخيرة, وإذا كان لهذا معنى, فإننى أهرب من نفسى تماماً.

أوه. لا, خذ

صورة أخيرة

كم هذا جاد.. لم أعد أرى المزيد من الوجوه.

إنه الصيف, الساعة السابعة فى كنيسة القرية تدق الأجراس, وأرى أبى وظهره المحنى, وذراعيه متهدلين تعودان إلى أرض يونيه حيث الشمس, وأبى يقوم ويجفف جبهته بظهر كمه, ويعود نحو الدار.

نهاية الاجتهاد.

إنها تقريبا الساعة التاسعة

أموت, فى سلام

آخر فكرة عميقة

ماذا أفعل

أمام الأبد

هل على أن أبحث

دوماً

فى بعض النقاط السرية؟

هذا الصباح, ماتت السيدة ميشيل, ضربتها شاحنة صغيرة تابعة للكواء قريبا من شارع "باك", لا أصدق أننى أكتب هذه الكلمات.

إنه كاكورو الذى أبلغنى الخبر, ظاهرياً, بول سكرتيره خرج إلى الشارع فى هذه اللحظة, وشاهد الحادث من بعيد عندما حدث. تأخر الأمر, أرادت أن تنقذ المتشرد جيجين, الذى كان فى ركن من شارع باك والذى كان مستديراً مثل البرميل. جرت وراءه لكنها لم تر الشاحنة الصغيرة, بدا أنه يحاول أن يصحب السيدة إلى المستشفى, كانت فى قمة الأزمة العصبية.

جاء كاكورو, وقال: "لا توجد أى وسيلة كى أفاديك هذه المعاناة, يا بالوما, سأقول لك كيف حدث هذا, لقد أصاب حادث رينيه منذ ساعة, نحو الساعة التاسعة, إنه حادث جسيم, لقد ماتت"..

بكى, وهو يمسك يدى بقوة, سألت أمى وهى خائفة: "لكن, من هى رينيه؟".. أجبتها: "السيدة ميشيل" تخففت أمى, وهو يقول "أوه", ثم استدارت, وقالت لى: "بالوما, يجب أن أهتم ببعض الأشياء.. سوف نرى ذلك فيما بعد, مفهوم؟".. هززت رأسى, وضغطت بيدى بقوة أيضاً. وأديت تحية صغيرة على الطريقة اليابانية, انحناءات سريعة, لقد فهمت أن هذا مؤلم جداً.

عندما رحل، كان الشئ الوحيد الذى أردته، هو أن أتجنب أمى، فتحت فمها، لكننى أصدرت إشارة بيدى، الكف المرفوع نحوها كى أقول: "لا تحاولى أبدا" هزت رأسها هزة خفيفة، لكنها لم تقترب، تركتنى أذهب إلى غرفتى، هنا بدأت أدور فوق سريرى، وطوال نصف ساعة ظلت أمى تطرق الباب برقة، وأنا أقول "لا" لكنها لم تلح.

عشرة ساعات مرت، الكثير من الأشياء أيضاً مرت فى البناية، ألخصها: أوليمب سان – نيس أسرعت إلى المسكن عندما علمت بالخبر "جاء حداد ليفتحه" كى يأخذ ليو ليبقى عندها، فكرت أن السيدة ميشيل، أن رينيه، أعتقد أنها أرادت هذا مما خفف على. السيدة دو بروجلى اتجهت نحو غرفة العمليات، بناء على أوامر عليا من كاكورو. إنه غريب أن هذه العجوز كانت تشبهنى تقريبا، قالت أمى غاضبة لصديقتها الجديدة: "كانت فى السابعة والعشرين عندما جاءت إلى هنا. سوف نفتقدها".. ورتبت على الفور حزمة من الزهور، وكلفت أن تتصل بأعضاء أسرة رينيه ترى هل هناك أحد منهم؟ لا أعرف، لكن السيدة دو بروجلى سوف تبحث عنهم.

الأكثر من ذلك، أن السيدة لوبس، وقد أخبرتها السيدة دو بروجلى عندما جاءت فى الساعة العاشرة لعمل خدمة المنزل، ظاهرياً، ظلت هناك ثانيتين دون أن تفهم، ويدها على فمها، ثم وقعت، وعندما عادت إلى بيتها، بعد ربع ساعة، همست: "معذرة، آه معذرة".. ثم استعادت وشاحها، وعادت إلى منزلها.

القلب مأزوم. وأنا؟.. أنا، بماذا أحس؟ ثرثرت حول الأحداث البسيطة للعقار رقم 7 شارع جرنيل، لكننى لم أكن شجاعة، خفت أن أذهب فى نفسى، وأن أرى ما حدث، كنت أشعر بالعار، أفكر أننى أريد أن أموت، وأن أجعل كولومب تعانى وأيضاً أمى وأبى لأنه لم تسبق لى المعاناة قط، أو بالأحرى، لقد عانيت دون أن يصيبنى الألم، من ناحية فإن مشاريعى الصغيرة، هى يافعة دون مشاكل. ومن تأميم الفتاة الصغيرة التى تريد ممارسة أهميتها.

لكن، هناك وللمرة الأولى، أحسست بالألم، الألم التام، قبضة فى بطنى، النفس مقطوع، الضربة القاضية. القلب يعتصر، المعدة مهترئة تماماً، ألم طبيعى غير محتمل، تساءلت إذا كنت سوف أستسلم يوماً، هذا الألم، أحسست بالرغبة فى الصراخ، لكننى لم أصرخ. ما أحسه الآن هو أن الألم هناك دوماً وأنه لن يمنعنى من المشى أو الكلام، إنها مشاعر من الضعف والعبثية الكاملة، أليس كذلك؟ فجأة

انطفأت كل الامكانات؟ حياة مليئة فى الشارع, والنقاشات بدأت تقريباً, الرغبات لم تتكامل. انطفأت لثانية, لا شئ, لا شئ نفعله. ألا يمكن أن نعود إلى الوراء؟

ولأول مرة فى حياتى, أحسست بكلمة "أبداً" فعلا, إنها مرعبة. نطقت بالكلمة مائة مرة لكننى لا أعرف ماذا تعنى قبل أن أواجه حقيقة اسمها "أبداً مطلقا"..

وأخيراً هناك دائماً الوهم الذى يسيطر على ما يحدث, لا شئ يبدو لنا محدداً. يجب أن أقول لنفسى طوال هذه الأسابيع الأخيرة أننى سوف أنتحر قريبا, هل أنا أؤمن حقا؟ هل جعلنى هذا القرار أحس بمعنى كلمة "أبدا"؟ مطلقا. بل جعلنى أحس بقدرتى على الفرار. فكرت أنه فى بضع ثوان أن أمنح الموت لنفسى, أنتهى إلى "أبدا" ستظل أيضاً كلمة فارغة, لكن عندما يحب أحد الموت.. إذن يمكن أن أقول لكم إننى أحس ما يراد أن يقال وسيكون هذا سيئاً جداً جداً, جداً مثل الألعاب النارية التى تنطفئ فجأة ويصبح كل شئ مظلماً. أحس وحدى بالمرض. أحسست بالألم فى قلبى, مع كل حركة تكلفنى مجهودات شديدة.

ثم حدثت بضعة أشياء.. إنها أشياء معقولة فى يوم حزين, نزلت مع كاكورو, نزلنا فى الساعة الخامسة إلى مسكن السيدة ميشل "أعنى رينيه" لأنه أراد أن يأخذ ملابس تخصها كى يعطيها إلى معرض الجثث بالمستشفى. دق الجرس, وطلب من أمى أن يكلمنى. لكننى خمنت أنه هو: كنت هناك, بالتأكيد, أردت أن أصحبه, أخذنا المصعد نحن الاثنين, دون أن نتكلم, بدا عليه التعب, أكثر تعبا مما هو حزين.

تساءلت: كيف أن هذه المعاناة تظهر على وجه حليم, لم تظهر. لقد أعطت الإحساس بتعب شديد جداً. هل أنا أيضاً أبدو متعبة؟

لقد نزلت إلى المسكن, مع كاكورو, لكن ونحن نعبر الفناء. توقفنا نحن الاثنان فى الوقت نفسه. هناك شخص ما يعزف بيانو, سمعنا العزف جيداً, إنها ساتى, على ما أعتقد. أخيراً, لست واثقة, لكن على كل حال, (كانت موسيقى كلاسيكية).

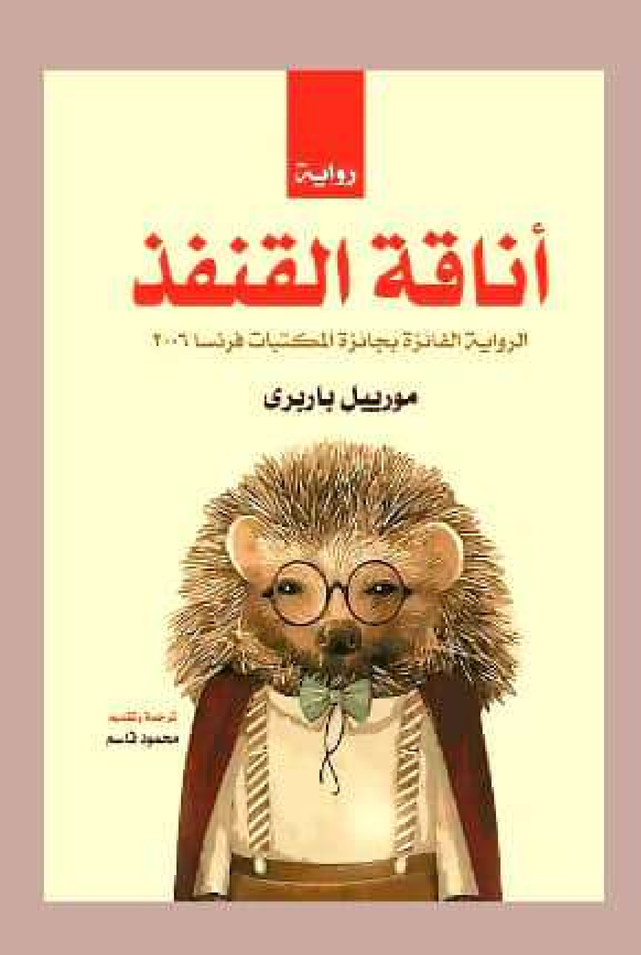
لم أفكر بعمق فى الموضوع, من ناحية أخرى كيف تكون لى فكرة عميقة, عندما تستريح أختى الروحية فى ثلاجة المستشفى؟ أعرف أننا توقفنا نحن الاثنتان ونحن نتنفس ونترك الشمس تسخن وجهينا, نسمع الموسيقى التى تأتى من أعلى. قال كاكورو: أفكر أن رينيه كانت تحب هذه اللحظة. ظللنا هكذا بضع دقائق, نستمع إلى

الموسيقى, كنت متفقة معه, ولماذا لا؟

وأنا أفكر فى ذلك. هذا المساء, بدا القلب والمعدة أشبه بالمربى. ربما لأن هذه هى الحياة, الكثير من اليأس, لكن هناك أيضاً لحظات جميلة حيث الزمن, بالنوتة الموسيقية تصدر هذا النوع من الأقواس فى الزمن, ومن هناك وهنا فى الوقت نفسه, "دائماً" فى "أبداً". نعم, دائماً فى "أبداً".

لا تخشي يا رينيه, لن أنتحر ولن أحترق أبداً, لأنه من أجلك سوف أطارد من الآن كل "دائماً" فى "أبدا".

الجمال فى هذا العالم.


رواية
أناقة القنفذ
الرواية الفائزة بجائزة المكتبات فرنسا ٢٠٠٦
موريل باربري
ترجمة وتقديم
محمود قاسم